أخلاق

الملك عبد العزيز آل سعود

طيب الله ثراه

" لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم ...
ألا قد بلغت، اللهم فاشهد "

عبد العزيز آل سعود

د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي

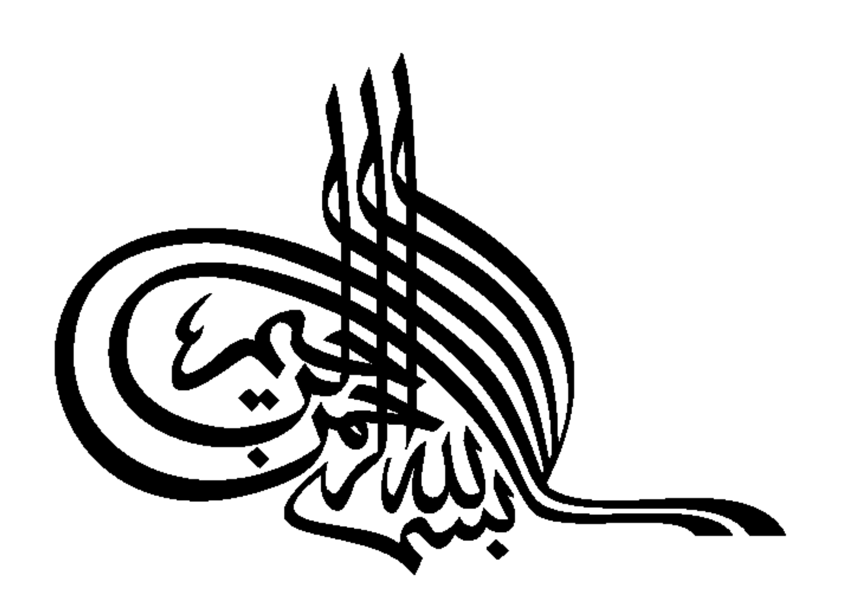
أخـلاق

الملك عبدالعزيز آل سـعود

طيّب الله ثَراه

تأليف

د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

((طُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ))

حديث شريف رواه ابن ماجه

أتشرَّف بإهداء هذه الصفحات المشرقة بقبس من نور أخلاق الملك عبدالعزيز طيَّب الله ثراه، إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك **عبدالله بن عبدالعزيز** حفظه الله تعالى، وأيَّد به الإسلام وأهلَه، وقد شرَّفني - في لقاء أبَوِيٍّ كريم - بسماع كلمات صَدَرَت عن قلبه الكبير، قائلًا: **(لم أر كتابًا عن أخلاق الملك عبدالعزيز!)**؛ فكان ذلك توجيهًا ساميًا، وأمانة غالية، تشرَّفتُ بحملها، وَهَأَنَذَا أؤدي الأمانة، وأَشْرُف بإنجاز الوعد، واضعًا بين أيديكم الكريمة هذا الكتابَ جهدًا متواضعًا، متضرِّعًا إلى الله تعالى أن يكتبَكم ووالدِيكُمْ عنده فيمن كتبهم للخير، وأن يتقبَّل هذا العملَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يحفظكم ذخرًا للإسلام والمسلمين.

ابنكم
خالد بن عبدالرحمن الجريسي

شكر وتقدير

إلى مَن أحاط النهضةَ العلمية والمسيرة الثقافية في بلادنا الحبيبةِ بوافر عنايته ومزيد دَعْمه؛ إلى مقام صاحب السمو الملكي الأمير **سلمان بن عبدالعزيز** أمير منطقة الرياض، حفظه الله تعالى وسدَّد خُطاه - أتشرَّف برفع أسمى آيات الشكر، وفائق الاحترام والتقدير؛ لما أَوْلانيه من تأييد معنوي ومساندة، سائلًا المولى العليَّ القدير أن يجزيَه عن العلم وأهلِه خيرَ الجزاء.

ابنكم
خالد بن عبدالرحمن الجريسي

المقدمة

الحمد لله الملك الحقِّ المبين، الذي امتنَّ علينا فجعلنا من عباده الموحِّدين، وشرَّفنا ببعثة خاتَم النبيِّين وإمام المرسلين، سيِّدِنا محمد طيِّبِ الأعراق كريم الأخلاق، الصادقِ الوعد الأمين، مَن زكَّاه ربُّه في محكم التنزيل؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله المُطهَّرين، وصحبه الغُرِّ الميامين.

أمَّا بعد:

فلقد استرعى النجاحُ الباهر للملك عبدالعزيز آل سعود - طيَّب الله ثراه - انتباهَ المؤرِّخين كافة؛ فحاولوا جاهدين تعليل عظمة هذا الإنجاز التاريخي وسرعته، لكن انحصر اهتمام كثير منهم في دراسة الجوانب العملية لسيرة هذا الملك، فكان من جملة ما تناولوه بالبحث: مواقفه السياسية المتميزة، وتنظيمه الفريد لشؤون الحكم، وعنايته البالغة بالمحافظة على حدود الشريعة وإقامة الشعائر الدينية، وقليل منهم الذين تعرضوا لما يُعدّ بحقٍّ جانبًا من أهم جوانب شخصية الملك عبدالعزيز ؒ؛ ألا وهو الجانب الإنساني؛ وبخاصة تلك الأخلاق السامية التي تجلَّت في مواقفه المتميزة طوال مسيرة حياته، وقد يعود اقتصار أكثر الباحثين على ما ذُكِر آنفًا إلى أسباب عديدة؛ لعل من أهمها:

١- انبهار القاصي والداني بما تحقق على يد الملك عبدالعزيز ؒ من

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

إنجازات كبرى في زمن قياسي؛ ما يجعل ذلك أقربَ إلى المُحال منه إلى الواقع.

٢- صعوبة الإحاطة بجميع جوانب شخصيةٍ متميزة بهذا القدر؛ حيث إن القاصد لتلك الإحاطة يلزمه التعرف على دقائق مسيرة حياة الملك عبدالعزيز ﷺ؛ ما يستلزم تتبع الأسس الخُلُقيَّة والفكريَّة التي قامت عليها تلك الشخصية الفذة.

إلى غير ذلك من الأسباب التي ربما حالت دون تعرض كثير من الباحثين للجانب الإنساني في شخصية الملك عبدالعزيز ﷺ؛ لكنني - مستعينًا بالله - أحببت أن أتلمَّس معالم تلك الشخصية، وأن أَخُصَّ الجانب الأخلاقي منها بالبحث؛ رغبة مني في التعرُّف على هذا الجانب، الذي يعطي - ولا ريب - صورة واضحة عن تلك العبقرية الفذة.

ولم تكن الأخلاق في مفهوم الملك عبدالعزيز مُثُلًا إنسانية وحسب، بل إن مرجعَها عنده التزامُه تعاليمَ الشريعة السمحة، هذا - في الحقيقة - هو السر الكامن في ذلك الإجماع المنعقد عليه من أهل بلاده؛ ذلك أنهم رَأَوْا في سيرته قدوة عملية تتمثل فيها تلك المكارم الخُلُقية التي دعا إليها الإسلام، كما تمثلت لهم في مواقفه تلك السجايا العربيةُ الأصيلة، أضف إلى ذلك كلِّه اتصافه بتلك الهيبة الممتزجة بتواضع جمّ؛ ما جعل منه ﷺ قائدًا من القادة الأفذاذ على مرّ التاريخ؛ وهذا ما قرره الكاتب محمود أبو الفتح[1] صاحب صحيفة (المصري)، إذ يقول: "ليس ابن سعود من

---

(١) محمود بن أحمد بن حسين، من آل أبي الفتح (١٣١٠ - ١٣٧٨هـ = ١٨٩٣ - ١٩٥٨م)، كاتب مصري، من كبار الصحفيين، عمل مدة في جريدة الأهرام وغيرها، ثم أصدر جريدة المصري الوفدية بالقاهرة، وكان من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن قامت ثورة ١٩٥٢م، فابتعد عن مصر، وسكن تونس، وتوفي في ألمانيا، ودفن حسب وصيته في تونس.
=

أعظم رجال القرن العشرين فحسب؛ بل هو من أعظم رجال التاريخ"[١].

لقد كان الملك عبدالعزيز رحمه الله قويَّ الإيمان بربِّه، ينسب الفضل في نجاحاته الباهرة إلى الله تعالى، فكان كثيرًا مّا يردد في تواضعٍ جمّ قولَهُ:

"لقد فَتَحْتُ هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن «التجدد» غير التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؛ فنصرني الله نصرًا عزيزا"[٢].

إن زخرفَ الحياة ومتاعَها لم يكن ليَصرفَ الملك رحمه الله عن هدفه الأسمى في تأسيس كِيَانٍ قِوامه الأخوَّة والمحبة والتكافل، وقد كان ذلك هو الأساس المتين لإنشاء حضارة أصلها ثابت، لم تزعزعها - على تطاول الزمن - رياح التغيير الفكري الهدّام، وأنَّى لها ذلك، وقد أُسِّس بُنيانُها على تقوى الله تعالى ونصرة شريعته، لا على طلب مُلْكٍ دنيوي عَوَّدَتْنا أحداثُ التاريخ المطَّردةُ سرعةَ زواله؟!.

لقد تعددت الصفات الأخلاقية الكريمة في شخصية الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكثر تمثلها فيه، ومع ذلك فإنها - في الوقت عينه - لم يطغ منها جانب خُلُقي على آخر، كما أن جانبًا منها لم يَبْدُ ضامرًا ألبتَّة؛ بل كان كلُّ خُلُق كريم فيه كأنه عَلَمٌ بذاته، وما ذاك إلا لكونه ارتضى التمسك بالسُّنَّة

= الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٩٧م، الجزء السابع، ص: ١٦٥.

(١) الموجان؛ عبدالله بن حسين، الملك عبدالعزيز آل سعود بين نصره لله ونصر الله له، كنوز المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ٧٩.

(٢) مختارات من الخطب الملكية؛ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص: ٤٢.

النبوية قولًا وعملًا؛ فكانت أخلاقه بذلك قدوةً عملية لشعبه، ما يزال صداها المحبَّب يتردد في جَنَبات قلوبهم إلى يومنا هذا.

إن دراسة شخصية الملك عبدالعزيز ﵀ بتمام جوانبها، لتحتاج منا - دون مبالغة - إلى تدوين مجلدات؛ لذلك أقتصر في هذا الكتاب على استعراض الجانب الخُلُقي في شخصيته من خلال خمسة فصول؛ في كلٍّ منها عدد من المباحث:

أما **الفصل الأول** فهو تمهيد ركزتُ فيه على التعريف بالملك عبدالعزيز والظروف المحيطة بنشأته الكريمة، وأهمِّ الأحداث التاريخية التي واكبت ظهور شخصيته، والعواملِ التي أثرت في تكوينها، إضافة إلى استعراض نماذج من سياسته في الحكم.

وأما **الفصل الثاني** فهو قطب الرَّحَى من هذا الكتاب؛ حيث يُظْهِرُ ما يتعلق بشخصية الملك عبدالعزيز، وبخاصة الجانب الأخلاقي منها، ويشتمل على استعراض لأهم صفاته الخِلْقِيَّة، وإبراز الجانب الإنساني المتمثل في شخصيته وأخلاقه، مع ذكر عدد من المواقف الدالة على ذلك.

ويتناول **الفصل الثالث** عَلَاقة الملك عبدالعزيز برعيته وأسرته؛ وذلك ضمن مباحث ثلاثة، هي: علاقته بالرعية وعطفه عليهم، ورعايته للأيتام، وصلته للأرحام وذوي القرابة؛ مظهرًا أخلاقه الكريمة في التعامل معهم.

وأما **الفصل الرابع** فإنه يبين اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم والعلماء، ويشمل هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي: ثقافته الإسلامية وتأثيرها فيه، وجهوده البارزة في نشر التعليم وتطويره، وحرصه على مشاورة العلماء وذوي الخبرة.

وفي الفصل الخامس نذكر وفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - ونعرض نماذج من عظيم ثناء الناس عليه.

ثمَّ الخاتمة، وقد ضمَّنتها خلاصةً لأهم ما ورد في الكتاب.

هذا؛ وقد جعلت المصادر والمراجع المتخصصة في تاريخ المملكة مقدَّمة في جمع المادة العلمية لهذا العمل، فإذا وجدتُّ في غيرها ما يتفرد بخدمة هذا الموضوع عمدت إليه، وربما احتجت إلى التصرف في بعض المفردات عند نقلي من هذه المصادر إذا اقتضى الأمر تصويب الأسلوب، ثم إنه - والحق يقال - لمَّا تتبَّعت في هذا العمل تفصيل ما يتعلق بشخصية الملك عبدالعزيز وأخلاقه الإسلامية الفاضلة، ظهر لي أنني بين يَدَيْ عَلَم من أعلام قادة الأمَّة الكبار.

ومهما بذلت من جهد، فما هو إلا جهد المُقِلّ، أردت به تقرير مدى إعجابي ومحبتي لهذا الملك المؤسِّس الموحِّد، وبيان هذا الجانب الأخلاقي من شخصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فاللهم إن قصَّرت فإنّما ذاك لكوني من البشر، وإن وُفِّقْتُ في مسعاي فذاك مردُّه إليك، فمنك الفضل وإليك، والخير كلُّه في يديك، إنك على كل شيء قديرٌ.

د/ خالد بن عبدالرحمن الجريسي

الفصل الأول

نبذة تاريخية

- المبحث الأول: الملك عبدالعزيز آل سعود: النسب والمولد والنشأة.
- المبحث الثاني: نماذج من سياسته في الحكم.

المبحث الأول

الملك عبدالعزيز آل سعود
النسب والمولد والنشأة

إن إنجازات الملك عبدالعزيز الباهرة لم تأت من فراغ، بل جاءت لكونه وريث دعوة ودولة قامتا على الإسلام، وذلك بعد قرون عاشتها الجزيرة العربية في صراع دامٍ عنيف، شُيِّدت خلاله دولتان سعوديتان حاولتا بكل الجهد أن تبسطا العدل وترسِّخاه على أرض قام فيها العدل من قبلُ ومنها انتشر في أرجاء الدنيا.

وسجَّل التاريخ صفحاتٍ مجيدةً لرجال هذه الأسرة السعودية على مدى حكمهم لهذا الجزء من جزيرة العرب، وبما أن دورة التاريخ تسير دَأَبًا بغير توقف - مع أنها تشهد أحيانًا أطوارًا من الرُّقيِّ، وأخرى من الانحطاط - فإن التاريخ الحديث لجزيرة العرب يعتبر مثالًا حيًّا يشهد لهذه السُّنَّة التاريخية المُطَّردة؛ ففي حين شهد النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة أحداثًا غيَّرت وجه تاريخ هذه الجزيرة؛ وذلك حين قامت الدولة السعودية الأولى تحت راية أمير الدِّرْعِيَّة الإمام محمد بن سُعُود رحمه الله[1] الذي ارتضى حماية

(١) محمد بن سُعُود بن محمد بن مُقْرِن بن مَرْخان بن إبراهيم بن موسى بن رَبِيعة بن مانع ابن ربيعة المُرَيْدي، مؤسس الدولة السعودية الأولى، كان مقامه بالدِّرْعية، وَلِي الإمارة عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، وفي عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب صاحب الدعوة الإصلاحية، فتبايعا على أن يكون ابن سعود "حارسًا للدين، وناصرًا للسُّنَّة"، وأن يستمر ابن عبدالوهاب على الجهر بدعوته، واتسعت الإمارة فشملت أكثر نَجْد، توفي بالدرعية عام ١١٧٩هـ - ١٧٦٥م بعد أن حكم أكثر من أربعين سنة، قضاها في الفتح والعمران، وحماية العقيدة الإسلامية.
الزِّرِكْلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ١٣٨. =

دعوة الإصلاح التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رحمه الله[١]، هذه الدولة - عند تأسيسها في الدِّرْعِيَّة[٢] - لم يلبث أن والاها أمراء بعض بلدان نَجْد وشيوخ قبائلها، كما عارضتها الدولة العثمانية آنذاك، وهي التي لم تدع سبيلًا يفضي إلى القضاء على الدولة الناشئة إلا سلكته؛ ظنًّا منها أن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب خطرًا عليها وعلى سلطانها في المنطقة، بل في العالم الإسلامي أجمع؛ فعملت على القضاء على هذه الدعوة

= وينظر: عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، (د.ن)، (د.ت)، الجزء الأول، ص: ٥٢ - ٦٣. والرويشد؛ عبدالرحمن بن سليمان، الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية، ويليها: الفهرس الأبجدي العام، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ١١- ٢٠.

(١) محمد بن عبدالوهَّاب بن علي بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرَّف التَّمِيمي (١١١٥ - ١٢٠٦هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) إمام النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العُيَيْنة بنَجْد، وشرع في طلب العلم على والده، ثم رحل مرتين إلى الحجاز، ومكث في المدينة مدة قرأ فيها على بعض أعلامها، ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد، فسكن حُرَيْمِلاء، ثم انتقل إلى العُيَيْنة، ناهجًا منهج السلف الصالح، داعيًا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وما علق بالإسلام من أوهام. وناصره أمير العيينة عثمان بن مَعْمَر ثم خذله بعد ذلك، فقصد الدِّرْعِية سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره، وتأثر بدعوته عدد كبير من رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، توفي بالدرعية، وأحفاده اليوم يعرفون "بآل الشيخ"، ولهم مقام رفيع عند آل سعود.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، الجزء الأول، ص: ١٢٥ - ١٢٨.
والزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ٢٥٧.
وابن غنام؛ حسين، تاريخ نجد، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل: عبدالعزيز بن محمد الشيخ، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٨١.

(٢) ابن بشر؛ عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه: محمد بن ناصر الشِّثْري، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص: ٣٤ - ٣٥ .

الإصلاحية وعلى الدولة السعودية الأولى في آنٍ واحد، وتناسى رجال الدولة العثمانية آنذاك أن دعوات الحق لا تُهزم بممارسة سياسة القهر ضدها، بل إن ذلك يزيد حتمًا في انتشارها ويحقق التمكين لها، وها هي الأحداث التاريخية تؤكد ذلك الأمر؛ فأعمال التنكيل التي مارستها الدولة العثمانية على يد محمد علي باشا (والي مصر) ضد أتباع الدولة السعودية سرعان ما انقلبت مرة أخرى سببًا غير مباشر لقيام الدولة السعودية الثانية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م بقيادة الإمام تركي، ولم تَسْتَكِنِ الدولة العثمانية لهذا الأمر، بل عملت لإذكاء نار العداوة والفتنة بين الناس، حتى كان عهد الإمام فَيْصَل بن تُرْكِي[1] الذي دَبَّ الخلاف بين أبنائه، وذلك بعد وفاته عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م[2]، وكان ذلك إرهاصًا بقرب نهاية الدولة السعودية الثانية، التي ما لبثت أن تلاشت بخروج الإمام عبدالرحمن بن فَيْصَل[3]، وأبنائه، وأبناء

---

(١) فَيْصَل بن تُرْكِي بن عبدالله بن محمد بن سعود (١٢٠٣- ١٢٨٢هـ = ١٧٨٨- ١٨٦٥م)، إمام شجاع حازم، قاد جيش أبيه بضع سنين، وتولى الإمارة بعد مقتل والده، واصطدم بجيوش محمد علي، وبعد معارك كثيرة اتُّفِق على الصلح، واشتُرط فيه أن يسافر فيصل إلى مصر، فوافق وسُير إليها سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، فظلَّ في مصر معتقلًا إلى سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، واتصل ببعض أنصاره، فهيؤوا له سبيل الفرار؛ فعاد إلى نجد، واستعاد الحكم من عبدالله بن ثنيان، وشملت دولته الأحساء وبعض الجهات في ساحل عمان (البريمي). وكُفّ بصرُه، وتوفي بالرياض.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٦٤. وينظر: العثيمين؛ عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الجزء الأول، ص: ٢٦١-٢٨٤.

(٢) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص: ٣٤٢، ٣٤٤ - ٣٤٦.

(٣) عبدالرحمن بن فَيْصَل بن تُرْكِي بن عبدالله بن محمد بن سعود (١٢٦٧ - ١٣٤٦هـ= ١٨٥٢- ١٩٢٨م)، والد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، اتفق أهل الرياض على مبايعته بالإمامة بعد وفاة أخيه سعود، ثم نزل عنها لأخيه الأكبر عبدالله، بعد أن =

عمومته، عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م[1] من الرياض على إثر صراعات مع محمد ابن عبدالله بن علي بن رَشِيد[2]، وبوفاة محمد بن عبدالله بن علي بن رَشِيد في عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م[3]، تولى إمارة حائل وما حولها من بعده ابنُ أخيه عبدُالعزيز بن متعب بن عبدالله بن رَشِيد[4]، الذي والى العثمانيين موالاة تامة، غير أنهم قد تخلَّوا عنه مرارًا في مدة إمارته[5].

= تولاها مدة سنة حقنًا للدماء. ودارت معارك كثيرة بينه وبين محمد بن رَشِيد الذي انتصر لعامله ابن سَبهان، كان آخرها في حُرَيْمِلاء، وظفر بها ابن رَشِيد فرحل عبدالرحمن إلى بادية الأَحْساء، وأرسل أهله إلى قَطَر ثم إلى البَحْرَيْن، واستقر بعد ذلك في الكويت، وعاد إلى الرياض بعدما قام ابنه عبدالعزيز باستردادها.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٣٢٢.

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٧م، الجزء الأول، ص: ٥٦.

(٢) محمد بن عبدالله بن علي بن رَشِيد (٠٠٠- ١٣١٥هـ = ٠٠٠ - ١٨٩٧م)، من شَمَّر، أكبر أمراء آل رَشِيد أيام حكمهم في حائل وما حولها، وفي عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م كان أبوه عبدالله قد لجأ إلى آل سعود وأقامه الأمير فيصل بن تركي أميرًا على حائل، وتوطدت له الإمارة، وتوفي عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م بحائل.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ٢٤٤.

(٣) الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق ودراسة: عبدالرحمن بن عبدالله الشُّقَيْر، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٣٧٦.

(٤) عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن علي بن رَشِيد (٠٠٠- ١٣٢٤هـ = ٠٠٠- ١٩٠٦م) من أمراء آل رشيد، كانت له وقائع وغارات كثيرة مع ابن صُبَاح حاكم الكويت، ومع الملك عبدالعزيز آل سعود، وفي أيامه استرجع الملك عبدالعزيز مدينة الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، وظل ابن رشيد يصاول خصومه، حتى فاجأه الملك عبدالعزيز في غارة قُتِلَ بها، وذلك في معركة "روضة مُهَنَّا" (من ملحقات القَصِيم شرقي بُرَيْدة).
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٢٥.

(٥) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٤٤ .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية أن أصبحت الجزيرة العربية محلًّا للفوضى، ومرتعًا للنهب والسلب، وظل الأمر كذلك حتى ظهر في الجزيرة من يعمل على إصلاح ما فسد فيها، وكان ذلك على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله.

فالملك عبدالعزيز هو المؤسِّس الذي عرف كيف يؤسِّس ويوطِّد دعائم كيان راسخ، عُرِفَ باسم المملكة العربية السعودية، وكان يدرك رحمه الله أنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكان داعية عقيدة في المقام الأول، ولا غرابةَ في ذلك، فهو سليل الأسرة السعودية التي التزمت - منذ اتفاق الدِّرْعِية بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب - بحماية عقيدة التوحيد، ولقد هداه الله إلى العمل على ترسيخ التوحيد الخالص الذي تتلاشى أمامه نعرات العصبيات والقوميات[(١)]؛ ومما يشهد لذلك قوله: "كان هدفنا قبل أن نوحِّد الأرض أن نوحد النفوس، وأن نوحد الأفكار، ولن تنجح هذه الأمة على امتداد رقعتها الجغرافية طالما بقيت ممزَّقة"[(٢)]. وتبعًا لأصالة دعوته هذه فقد تحقق على يديه ما لم يكن في الحسبان؛ إذ صارت تلك القبائل المتناحرة شعبًا موحَّدًا، تعاهد على نصرة الملك المؤسِّس ودعوته المباركة.

والآن، فلنبحر قليلًا في نبذة يسيرة من خضم واسع من سيرة ذلك الملك المؤسس، للتعرف على نسبه ومولده ونشأته:

---

(١) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٣٦ - ٣٧.

(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ١١.

أولًا: النسب:

هو: "عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فَيْصَل بن تُرْكِي بن عبدالله بن محمد ابن سُعُود بن محمد بن مُقْرِن بن مَرْخان بن إبراهيم بن موسى بن رَبِيعة بن مانع بن ربيعة المُرَيْدي"[1].

وعلماء الأنساب كلهم متفقون على نسبة الأسرة السعودية الكريمة إلى مانع المُرَيْدي - مؤسِّس الدِّرْعِية - كما اتفقوا أيضًا على صحة نسب آل سعود إلى رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عَدْنان، ثم اختلف بعضهم في تحديد نسبتهم، هل يُنسبون إلى عَنَزة أم إلى بني حَنِيفة؟ ولتحقيق هذه المسألة، فإننا نشير إلى أن ما ذُكر من نسبة آل سعود إلى بني حنيفة - القبيلة الكريمة - هو قول معروف عن بعض مؤرخي نَجْد، وبعض الباحثين من آل سعود كالأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وذلك لا يتنافى وانتساب الأسرة إلى قبيلة عَنَزة[2]، مع أن اسم عَنَزة لم يرد في سلسلة النسب السعودي، من وائل إلى نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان؛ إذ إن وائلًا هو ابن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، وعَنَزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار، فوائلٌ وعَنَزة يجمعهما ربيعة، ولعلنا هنا نتساءل: كيف صار

(١) الرويشد؛ عبدالرحمن بن سليمان، الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية، مرجع سابق، ص: ١١- ٢٠.

(٢) الجاسر؛ حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القسم الأول، ص: ٣٤٨، والقسم الثاني، ص: ٨٠٢ - ٨٠٣.
والشريفي؛ إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، الخالدية، الكويت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الجزء السادس، ص: ٢١٩٤ - ٢١٩٦.

انتساب كثير من الوائليين إلى عنزة، وهو ليس جَدًّا لهم؟

ويمكن الإجابة عن ذلك استنادًا إلى ما بيَّنه المؤرخ النسَّابة حَمَد الجاسر[(١)]، بقوله: "إنه من عادة العرب إذا اشتهر فرع من فروع القبيلة التي يجمعها أصل واحد، فإن بقية الفروع تنتسب إلى ذلك الفرع، وهذا الأمر تدفع إليه الحياة التي كانت قبائل العرب تحياها داخل الجزيرة؛ فهي بحاجة إلى العصبية لكي تحمي نفسها قبل استتباب الأمن في هذه الربوع، بقيام الحكم السعودي الميمون فيها، وقُلْ مثلَ هذا في ربيعةَ: الجِذْم العظيم من العرب العدنانية؛ فقد تفرعت منه قبائل كثيرة منها بكر ووائل وعَنَزة وعبدالقيس والنَّمِر، ومن وائل: بنو عَنْز الذين دخلوا في قبائل عَسِير في جنوب الجزيرة، وبنو حنيفة الذين استقروا في واديهم منذ عصر ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر؛ حيث لاتزال أسر كثيرة في قرى هذا الوادي من بني حَنِيفة، ومعظم فروع بني وائل هاجرت من الجزيرة، ولم يبق فيها

---

(١) حمد بن محمد الجاسر (١٣٢٧ - ١٤٢١هـ = ١٩٠٩ - ٢٠٠٠م)، ولد في قرية (البُرود) بإقليم السِّرِّ، تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزءًا من القرآن الكريم، أرسله والده إلى الرياض عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م؛ فقرأ بعض المؤلفات المختصرة على المشايخ، ثم عاد إلى قريته، ثم إلى الرياض مرة أخرى عام ١٣٤٦هـ/ ٢٧-١٩٢٨م، واستقر في (بيت الإخوان) لطلب العلم على مشايخ الرياض، ثم انضم للدراسة في المعهد الإسلامي السعودي، وتخرج منه عام ١٣٥٣هـ/ ٣٤-١٩٣٥م، وعمل بالتدريس والقضاء ثم الصحافة، فأنشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ونشر من خلالها العديد من مؤلفاته وتحقيقاته، وأصدر مجلة العرب، وتوفي في أحد مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية بعد حياة حافلة بالعطاء، ونقل جثمانه إلى المملكة السعودية، ودفن في مقبرة النَّسيم بالرياض.

انظر: إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية؛ حمد الجاسر: دراسة لحياته مع ببليوجرافية لأعماله المنشورة في الكتب والمجلات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٥٦)، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص: ١١-٢٠.

من ربيعة في البادية سوى فروع يسيرة منها: عَنَزة في حِرَار خيبرَ ونواحيها، ومنها: بنو حَنِيفة في واديها، يجاورهم أناس متحضِّرون من أبناء عمومتهم من بني بكر بن وائل، وبما أن قبيلة عَنَزة هي القبيلة التي بقيت داخل الجزيرة متمسكة بمميزاتها القبلية، بعد التحضر الذي حصل لبعض القبائل، كان لابد أن تنتسب إليها الفروع التي تَمُتُّ إليها بصلة من بني وائل، حتى وإن كانت من قبيلةٍ أكثر شهرة منها كقبيلة بني حَنِيفة، فكان لابد لهم من الاعتزاء إلى أحد فروع القبيلة التي يجمعهم بها الجد الأعلى وهو ربيعة؛ وهذا أمر متعارف عليه بين العرب قديمهم وحديثهم.

مما ذُكر آنفًا يمكن القول بأن ما قرره الأمير عبدالله بن عبدالرحمن من نسبة آل سعود إلى بني حنيفة أمر لا يتنافى مع القواعد المعروفة عند علماء النسب قديمًا، فآل سعود من بني بكر بن وائل، وحنيفة: ابن لُجَيْم بن صَعْب ابن علي بن بكر بن وائل، وعليه؛ فإن الفرعين - آل سعود، وبني حَنِيفة - يجمعهما أصل واحد: هو بكر بن وائل، كما يجمعهما بِعَنَزة جدٌّ واحد هو ربيعة»[1].

وعليه، فقد ذهب معظم النسَّابين إلى تقرير انتساب الأسرة السعودية الكريمة إلى قبيلة بني حنيفة من بني بكر بن وائل بن أسد بن ربيعة، وقد يتجوَّز بعضهم فينسبونهم إلى عمِّهم الأعلى عَنَزة بن أسد بن ربيعة؛ إذ إن قبائل بكر بن وائل - ومنهم حنيفة مع عَنَزة - جميعًا من أصل واحد.

وحيث إن المقام هنا لا يحسن فيه بسط تحقيق الأنساب، فإننا نكتفي بما أوردناه، ومن شاء الاستفاضة في نسب الأسرة السعودية الكريمة فله الرجوع

---

(١) الجاسر؛ حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، مرجع سابق، القسم الثاني، ص: ٧٩٩ - ٨٠٣.

إلى الكتب التي اختصت بأنساب أُسَر أهل الجزيرة، وبخاصة ما ذكره المؤرخ حمد الجاسر في كتابه "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد".

ثانيًا: المولد:

ولد الملك عبدالعزيز في الرياض في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، حين آذنت الدولة السعودية الثانية بالزوال، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولد الملك عبدالعزيز؛ فاقتضى ذلك إمعان النظر في أشهر تلك الأقوال لترجيح أقربها إلى الصواب، وقد اشتهر من بين ذلك قولان:

الأول: أن الملك عبدالعزيز ولد في ١٩ من ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ، الموافق ٢٤ من ديسمبر عام ١٨٧٦م.

الثاني: أنه ولد في ١٠ من ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ، الموافق ١٢ من نوفمبر عام ١٨٨٠م.

وقد استدل أصحاب الرأي الثاني بما يروى عن الملك عبدالعزيز نفسه أنه حين خرج مع والده وإخوته من الرياض عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١٨٩١م؛ كان آنذاك غلامًا صغيرًا قد بلغ الحادية عشرة من عمره، وأن ذلك يقتضي أن يكون - يوم أن عاد إلى الرياض واستردها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م - لم يتجاوز العشرين من عمره إلا بعام واحد(١).

أما أصحاب الرأي الأول فيستندون إلى أن الدلائل وقرائن الحال تفيد بأنه ولد في ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م؛ ومما أوردوه في ذلك:

١- ما ذكره خير الدين الزِّرِكْلي في كتابه "شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز" إذ يقول:

---

(١) راغب؛ عبدالواحد محمد، فجر الرياض، دراسة تاريخية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص: ٢٩.

تناقل أكثرُ من كَتَبَ عن الملك عبدالعزيز في حياته، أنه ولد في سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م؛ حتى إن المؤرخ الأديب خالد بن محمد الفَرَج وضع حسابًا لذلك بالحروف الأبجدية، مقرِّرًا أن تاريخ مولده يوافق هذه العبارة: "الإمام عبدالعزيز بن الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود"؛ حيث جاء مجموع هذه الحروف ١٢٩٧[1]؛ ومع كون هذه الرواية في تاريخ المولد

(١) الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص: ٣٦٤-٣٦٥.
وإن ما فعله الأديب خالد الفَرَج تعرف قواعده بـ(حِسَاب الجُمَّل)؛ وهو اصطلاح قديم للتعبير عن الأرقام بالحروف، ويُستخدم في العَدِّ والتأريخ بالكلمات والجُمَل؛ إذ تُقابَل فيه الحروف العربية على ترتيب "أبجد هوز..." بالأرقام: آحاد، وعشرات، ومئات؛ وألوف؛ هكذا: أ= ١، ب= ٢، ج= ٣، د= ٤، هـ= ٥، و= ٦، ز= ٧، ح= ٨، ط= ٩، ي= ١٠، ك= ٢٠، ل= ٣٠، م= ٤٠، ن= ٥٠، س= ٦٠، ع= ٧٠، ف= ٨٠، ص= ٩٠، ق= ١٠٠، ر=٢٠٠، ش= ٣٠٠، ت= ٤٠٠، ث= ٥٠٠، خ= ٦٠٠، ذ= ٧٠٠، ض= ٨٠٠، ظ=٩٠٠، غ= ١٠٠٠، والمغاربة يخالفون في ترتيب الكلمات التي بعد (كلمن) فيجعلونها: (صعفض قرست ثخذ ظغش)؛ وهذا يؤكد أن حساب الجمل ليس دليلًا تاريخيًّا على ما يؤرَّخ به؛ إنما هو مجرد اصطلاح. ومع ذلك فإن فيه أحيانًا طرافةً وموافقاتٍ عجيبة؛ منها الجملة التي ألفها خالد الفرج، وهي كالآتي: الإمام = ١١٣، عبدالعزيز = ٢٠١، بن =٥٢، الإمام = ١١٣، عبدالرحمن =٤٠٦، الفيصل=٢٤١، آل سعود =١٧١، وبحساب جمع ما سبق يكون الناتج ١٢٩٧.
ينظرَ في حساب الجُمَّل: الداني؛ أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عدِّ آيِ القرآن، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص: ٣٣٠-٣٣٣. والزَّبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني؛ تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، الجزء الثامن والعشرون، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠، مادة (ج م ل).
هذا، وقد قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عدِّ «أبي جاد»، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصل له في الشريعة».
العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت)، الجزء الحادي عشر، ص: ٣٥١.

مؤيَّدة بما نقل عن الملك ﷺ، من أنه كان غلامًا حين خروجه من الرياض، غير أن المتصلين بالملك عبدالعزيز من زمن طويل يذكرون أنه - بما جُبل عليه من حيوية - كان يكره أن يُشعِر نفسَه بالاقتراب من سن الشيخوخة أو دخولها؛ فما زال يكرر أنه يوم هجرته مع أبيه من مسقط رأسه كان ابن إحدى عشرة سنة، حتى تقرر ذلك عنده، على أني[١] بعد وفاة الملك عبدالعزيز ﷺ، رجعت إلى أديب آل سعود وعالِمهم الأمير عبدالله بن عبدالرحمن أخي الملك، فسألته، فأجاب: كان ﷺ يود أن يقال: إن مولده سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، ولكن الصحيح أنه ولد في أواخر عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.

ثم يستطرد خير الدين الزركلي قائلًا: ورأيت في قيود عندي أنه لما ولد كان أبوه عبدالرحمن في بلدة ضَرْمى، وبُشّر بولادته ليلة ١٩ من ذي الحجة، فأضفت هذا إلى ذاك ورجحت أنه الصواب[٢]، أي: أنه ولد ليلة ١٩ من ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ، الموافق ٢٤ من ديسمبر ١٨٧٦م.

٢- ما أثبته الأمير طلال بن عبدالعزيز في كتابه "صور من حياة عبدالعزيز"، بقوله: الحقيقة التي أعرفها عن والدي أنه ولد سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ولقد سمعته أكثر من مرة يقول: نحن أهل نجد نُدمدم - أي نخفي - أعمارنا، لقد دمدمت ثلاث أو أربع سنوات من عمري[٣].

بناءً على ما سبق، فإنه يرجح أن يكون تاريخ مولد الملك ليلة ١٩ من ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ، الموافق ٢٤ من ديسمبر ١٨٧٦م، وإن ثمة

---

(١) القائل: خير الدين الزركلي.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٨ .

(٣) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، دار الشواف، الرياض، ١٤١٩هـ، ص:٢٦.

اعتبارات لقرائن الحال تجعلنا نميل إلى كون ذلك صوابًا، منها ما يأتي:

١- يقول فؤاد حمزة[١]: سألت الملك عبدالعزيز عما إذا كان قد تقابل مع محمد بن رشيد، فقال: نعم، قابلته وعزَّاني في أخي فيصل، وقال لي: عسى أن يجعلك الله عوضًا عنه[٢].

ومن المعلوم أن فيصل بن عبدالرحمن أخا الملك عبدالعزيز قد توفي أواخر عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م في الرياض، وهذا يقتضي أن يكون الملك عبدالعزيز وقتها فتى يافعًا، بحيث يُعمد إلى تعزيته؛ ويرجح أن يكون بالغًا من العمر أربعة عشر عامًا؛ بخلاف ما لو كان بالغًا من العمر عشر سنوات.

٢- أن الملك عبدالعزيز كان أحد الذين خرجوا لمفاوضة محمد بن عبدالله بن رشيد وعَقْد الصلح معه، حين قدم وحاصر الرياض أوائل عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١٨٩١م، وذلك في الفترة الثانية لحكم الإمام عبدالرحمن للرياض، وكان يبلغ من العمر وقتها خمسة عشر عامًا - بناء على أن مولده في عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م وهو سن يجعل الفتى الطموح ناضج الفكر، أهلًا لِأَنْ ينوب عن أبيه، وأن يكون عضوًا في وفد، قادرًا على المحاورة والمناقشة، على أن بعض المصادر التاريخية تذكر أن التعزية كانت في هذه المقابلة[٣].

---

(١) فؤاد بن أمين بن علي حمزة، أبو سامر (١٣١٧ - ١٣٧١هـ = ١٨٩٩ - ١٩٥١م)، كاتب، باحث، ولد وتعلم في عبية بلبنان، كان يحسن الإنجليزية فعين مترجمًا خاصًا للملك عبدالعزيز، وتقدم عنده فجعله وزيرًا للشؤون الخارجية، وأشخصه وزيرًا مفوضًا إلى باريس، ومنها إلى أنقرة، ثم استقر بعد ذلك مستشارًا في خدمة الملك، ومنح لقب سفير ثم وزير دولة. توفي في بيروت ودفن في عبية.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٥٩.

(٢) حمزة؛ فؤاد، البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص: ١٥ .

(٣) المرجع السابق، ص: ١٥.

٣- أنه تزوج للمرة الأولى سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، ومعنى هذا: أنه تزوج وهو في سن التاسعة عشرة، بافتراض أن مولده هو عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وهو سن مقبول عُرفًا للزواج، بخلاف ما لو كان في سن الخامسة عشرة.

٤- التحركات والسفارات والمفاوضات، واعتماد والده في ذلك كلِّه عليه، يدل بوضوح أن سنه آنذاك كان قد تجاوز خمسة عشر عامًا[1].

مما ذكر آنفًا يتبين لنا أن الراجح في تاريخ مولد الملك عبدالعزيز هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أنه كان في ١٩ من ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ، الموافق ٢٤ من ديسمبر ١٨٧٦م.

ثالثًا: النشأة:

يتفاعل الإنسان بطبيعته مع بيئته متأثرًا بها ومؤثرًا فيها، ويختلف التأثر والتأثير باختلاف مراحل النمو والتطور، ففي مراحله التكوينية يتأثر بما يحيط به إيجابًا وسلبًا، وقد تبقى آثار ذلك معه مدة طويلة، أما المراحل التالية فتكون فرص التأثير في البيئة مفتوحة، ويتوقف مدى التأثير على شخصية الفرد ومكانته وإمكاناته.

فلنعرِّج إذًا على عدد من الظروف والعوامل ذات العلاقة بتنشئة الملك عبدالعزيز، وأثرِها في تكوين شخصيته وأخلاقه.

١ - البيئة:

وُلِدَ الملك عبدالعزيز لأبوين اتصفا بكثير من الأخلاق الفاضلة، فأحاطاه بكل طهر ونقاء قولًا وعملًا، وربياه على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة؛ فوالده أحد أئمة نجد وأبطالها المعلمين، ووالدته

(١) راغب؛ عبدالواحد محمد؛ فجر الرياض، مرجع سابق، ص: ٣١ - ٣٣.

سارة بنت أحمد بن محمد السُّديري[(١)] كانت من أكمل النساء عقلًا ودينًا وحكمة وتدبيرًا، فنشأ الملك عبدالعزيز في كنف هذه الأسرة؛ فورث عن أبيه الحزم والرجولة والشجاعة والجرأة، وورث عن أخواله آل السُّديري الرصانة وحسن تدبير الأمور[(٢)].

ولقد درّبه أبوه منذ طفولته على الفروسية، وعوّده التقشف وخشونة البادية، وتحمُّلَ آلام الجوع والعطش، والصبرَ على المكاره، وشجّعه على ارتياد الصحراء من أجل تعلُّمِ الفروسية والرماية والتعرُّفِ على أحوال القبائل[(٣)].

كما عهد به والده إلى فقيه من فقهاء الخَرْج كان مقيمًا في الرياض، هو القاضي عبدالله الخَرْجي؛ ليلقنه مبادئ القراءة والكتابة ويُقرئه القرآن الكريم؛ ليُحْكِم بذلك الصلة بينه وبين مولاه، فلم تمض على ذلك أربع سنوات حتى ختم القرآن الكريم، ثم قرأه كاملًا على الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم عهد به أيضًا إلى الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ[(٤)] فتلقى عنه بعض أصول

---

(١) سارة بنت أحمد السُّديري؛ من بلدة الغاط في سُدَير بين المَجْمَعة والزُّلْفِي، اشتهر والدها أحمد السُّديري بحسن خدمته وإخلاصه لآل سعود، وكانت هي من فضليات النساء، توفيت في أواخر عام ١٣٢٧هـ - ١٩١٠م في الرياض، رحمهم الله.
حمزة؛ فؤاد، البلاد العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ١٣.

(٢) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٨٥.

(٣) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، سيرته، بطولته، سر عظمته، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص: ٥٠.

(٤) الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٦٥ - ١٣٣٩هـ = ١٨٤٩ - ١٩٢١م)؛ ولد في الهفوف، كان مرجع النجديين في أمور دينهم، وشارك في سياستهم وحروبهم، واشتهر بالكرم والدهاء. توفي بالرياض.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢١٥ - ٢٣٠.
=

الفقه والتوحيد[(١)]؛ وهذا من علامات الخير الذي أراده الله بهذا الملك رحمه الله؛ فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

كما كان والده يحرص على مرافقته له في مجالس الرجال، ومشاركته لهم في الرأي؛ ليتعود الصراحةَ في القول والجرأةَ على الكلام، بل ويصحبه معه في أكثر الغزوات، ويزجُّ به للقتال معه في الساحات[(٣)].

ولقد توجَّه الملك عبدالعزيز إلى حياة الفروسية، وإعداد نفسه للمشاركة الفاعلة في الأحداث، وأقبل على ذلك بجِدّ وشغف، فأجاد استعمال السيف، وركوب الخيل، فبزَّ أترابه وتفوق عليهم في هذه الفنون، وقد علَّمه والده كذلك آداب الأسرة وأسمعه تاريخَها؛ فأُولِع بسماع تاريخ جدِّه الإمام فيصل بن تركي وشجاعته وصولاته؛ فكان ذلك الأسلوبُ الرَّصِين - في التنشئة الدينية والدنيوية القائمة على الإيمان القوي بالله - أحدَ الروافد التي استمد منها الملك عبدالعزيز آل سعود قوة الإرادة والثقة بالنفس[(٤)].

= والزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٩٩.

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٧.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الحديث (٧١) وأطرافه فيه، ومسلم؛ أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الحديث (١٠٣٧).

(٣) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٠.

(٤) عبدالرحيم؛ عبدالرحيم عبدالرحمن، أثر قوة إرادة الملك عبدالعزيز في تكوين المملكة العربية السعودية، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي عُقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، الجزء الأول، ص: ١١٠- ١١١.

نشأ الملك عبدالعزيز في محيطٍ سياسيٍّ سادته النزاعات والانقسامات؛ حيث تفرَّقت كلمة آل سعود، وانقسَمَ الإخوة أبناء الإمام فيصل بن تركي على أنفسهم، واحتدَمَ القتال بين الإمام عبدالله وأبناء أخيه سعود؛ وهي أمورٌ كانت تُنْذِرُ بالفشل، واحتمال سلب مقاليد الحكم من بين أيديهم[١]؛ كما هو مؤدّى التنازع الذي حذَّر المولى عزّ وجلّ منه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[٢].

ولا شك في أن الأحداث التي عاصرها الملك عبدالعزيز في حداثة سِنِّه، والتي كانت متعلقة بالسلطة والولاية، قد أعطته انطباعًا بأن الولاية متى ما تسرب إلى جنباتها الاختلاف والتفرق انهار صرحها مهما كان شامخًا، وأن حفظ الولاية هو مقدَّم مسؤوليات الوالي أو الراعي؛ أضف إلى ذلك أن معايشته للانقسامات التي تعرضت لها الأسرة قد أضفت عليه - منذ حداثة سنِّه - حِسًّا سياسيًّا يُعَدُّ عاملًا بالغ الأهمية في تكوين شخصيته.

٢ - حياة البادية:

خرج الملك عبدالعزيز في صحبة والده وأفراد أسرته من الرياض إلى الصحراء؛ حيثُ انضمُّوا جميعًا إلى قبيلةِ بني مُرَّة[٣] على أطراف الرُّبْعِ الخالي عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١٨٩١م، وكانت هذه المرحلة بالغة الصعوبة، تدرَّب فيها الملك عبدالعزيز على حياة البادية؛ حيثُ الشَّظَف، والخشونة في العيش، والصبر على المكاره، واختبار تقلبات الزمن وطبائع الناس، وقَوَّتْ

---

(١) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٤٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) بنو مُرَّة: من قبائل جُشَم من يام، وهم من أهل القوة والشجاعة، ولهم قبائل كثيرة منها: آل جابر، والغفران، وآل علي.
الشريفي؛ إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص: ٢٩٩٠ - ٢٩٩١.

هذه الحياةُ من إرادته وزادت من ثقته بنفسه إلى حدٍّ ساعده على اجتياز كثير من المصاعب فيما بعد؛ لذلك فإن هذه المرحلة تُعدّ من الروافد التي أثَّرت في نشأة الملك عبدالعزيز(١).

وفوق ذلك كلِّه: فقد عايش الملك عبدالعزيز صراعات القبائل حول المياه والمراعي؛ إضافةً إلى عمليَّات السَّلْبِ والنَّهْبِ، وأَثَرِ ذلك على الأَمْنِ؛ وهو الأمر الذي أعطاه القناعةَ التامَّةَ بالحاجةِ إلى الوَحْدة، وفرضِ الأمن بوصفه حاجةً اجتماعيَّةً وسياسيَّة؛ فقد كان يعايش ويشاهد صراع البدو القاسي للحصول على لقمة العيش، ويشاهد المجهودات اليومية التي يبذلونها في سُقْيَا القُطعان وتغذيتها، فتعرَّف عن قرب على قسوة حياة البادية، وخَبَر أعرافَهم وعاداتِهم القديمة في شؤون المراعي ومصادر المياه وعادات الضيافة(٢).

ونظرًا للتنشئة الدينية التي حظي بها الملك عبدالعزيز، فقد تبينت له حقيقة القسوة والظلم المتمثلة في إقرار ظاهرة الفخر والعصبية القبلية، ورأى - بنظرة الشاب الواعي - هذه النواحي المظلمة الخاصة بهذه الحياة البدوية، كما كان والده يهتم بلفت نظره إلى هذا الواقعِ المُرِّ؛ فتستوعب روحه الشابة كلَّ الأمور الجديدة، وينصت ضميره الحي - بكل اهتمام - إلى مناقشة شيوخ القبيلة مشكلاتهم حول نار المخيم، وتَذَاكُرِ شعرائهم ورواتهم الأعمالَ البطولية لرجال بني مُرَّة في غزواتهم في الماضي، وبذلك عَرَف حياة البادية وسَبَر أغوارها؛ وهذا منحه مهارة في طرق التعامل مع البدو، ومن ثَمَّ كَسْب تأييدهم.

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٩م، ص: ١٩-٢٠.

(٢) مولين؛ فان در، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، ترجمة ويسي آي. سي، علق عليه: فهد بن عبدالله السماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٤٣.

٣ - سِفَاراته وتنشئته السياسية:

لقد حرص الإمام عبدالرحمن بن فيصل على أن يجمع لولده - منذ نعومة أظفاره - إلى جانب التربية الدينية تنشئةً سياسية أيضًا؛ جعلت منه بعد ذلك عبقريًّا سياسيًّا منقطع النظير؛ فمن ذلك:

حرصه على مشاركة الملك عبدالعزيز وهو في مقتبل عمره ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١٨٩١م، في الوفد الذي ضم كُلًّا من محمد بن فيصل، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ حمد بن فارس[١]، بالإضافةِ إلى الملك عبدالعزيز؛ وذلك لمقابلة محمد بن رَشِيد وعقد صلحٍ معه، وتعد هذه السفارة هي الأولى له[٢].

وكانت السفارة الثانية بعد موقعة المليداء بين ابن رشيد وأهل القصيم في الثالث من جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ/ يناير ١٨٩١م، التي تغلَّب فيها ابنُ رَشِيد، ثم بلغت الأخبار بأنه في طريقه إلى الرياض لمجابهة الإمام عبدالرحمن بن فيصل، الذي جمع أهله وأبناءه وبعض رجاله وغادر الرياض إلى البادية موغلًا فيها[٣]، وذلك في منتصف شهر رمضان ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م؛ حيث نزَلَ

(١) الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن رميح النجدي الحنبلي (١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م/ ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م)، عالم بالعربية والفرائض وغيرها من العلوم، تولى حفظ بيت المال للإمام عبدالله آل فيصل ثم للإمام عبدالرحمن، ثم للملك عبدالعزيز.

(٢) آل سعود؛ سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، مطابع المدينة - الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج٢، ص٤٨.

(٣) لم يكن خروج الإمام عبدالرحمن بأبنائه من الرياض يمثل نهاية المطاف بالنسبة لنشاطه؛ ذلك أن إبراهيم بن مهنا أخا أمير بُريدة السابق وصل إليه مع عدد من أهل تلك البلدة عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، فشجع ذلك الإمام، وهاجم بأتباعه بلدة الدلم، ثم سار بمن انضم إليه إلى الرياض ودخلها، لكنه لم يمكث فيها طويلًا، بل غادرها إلى إقليم المحمل، وقام محمد بن رشيد بتعبئة جيوشه، وتقابل مع عبدالرحمن بن فيصل في حُرَيْمِلاء، فلم يكن النصر حليف عبدالرحمن وأتباعه، وكان هذا آخر لقاء بينهما، كما سيأتي. =

على قبائل آل مُرَّة والعُجْمان[١]، بين يَبْرِينَ[٢] والأحساء، ووضع رحاله في البادية، وسواء ذهب الإمام عبدالرحمن إلى الأحساء أو كان قريبًا منها، فما يهمنا من ذلك هو أن "عاكف باشا" المتصرف العثماني في الأحساء وقتها قد انتدب طبيب جيشه "زخور عازار" اللبناني لمفاوضة الإمام عبدالرحمن ومعه ابنه عبدالعزيز، وليعرض شروط الدولة المتمثلة فيما يأتي:

- أن يتولى الإمام عبدالرحمن حكم الرياض من قِبَل الدولة العثمانية.
- أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية.
- أن يقوم بدفع الخراج السنوي لها[٣].

ورفض الإمام عبدالرحمن هذه الشروط، وأرسل ابنه الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عيسى بن خليفة[٤] شيخِ البحرين يستأذنه في إقامة النساء والأطفال

= العثيمين؛ عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣١٢.

(١) العُجْمان: هم قبيلة من قبائل يام من القحطانية، ومنازلهم في النقرة من الطف إلى العقير، ويتوغلون حتى القصيم والخرج، وهي قبيلة كبيرة من أشد القبائل بأسًا.
الشريفي؛ إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ٢٠٥٠ - ٢٠٥١.

(٢) يَبْرِين: واحة كثيرة النخل والعيون العذبة، تقع على مسافة مئة وستين ميلًا من الأحساء جنوبًا، ومئة وخمسة وسبعين ميلًا شرقي جنوب الرياض. ويقال فيها أيضًا: أَبْرين.
الحموي؛ ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص: ٧١ - ٧٢. والجزء الخامس، ص: ٤٢٧.
والريحاني؛ أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م، ص: ١٢٣.

(٣) الريحاني؛ أمين، تاريخ نجد الحديث، مرجع سابق، ص: ١٠٥، ١٠٦.

(٤) عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد، من آل خليفة: أمير البحرين، ولد ونشأ فيها وانتقل إلى قطر بعد مقتل أبيه، فأقام إلى أن اختاره أهل البحرين للإمارة عام ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٠٦.

بجواره؛ حيث لا ضير عليه من محمد بن رشيد ما داموا بعيدين عنه، وذهب الملك عبدالعزيز وعاد ناجحًا في مسعاه[١].

أما الإمام عبدالرحمن فقد تفرغ لمصاولة من في الرياض وما حولها من رجال آل رشيد، وجمع أنصارًا من أعراب البادية في سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، واستولى على الدِّلَم، وطرد من كان فيها من أتباع ابن رشيد الذي بلغته الأخبار وهو في حائل، فأسرع بجيشه، ودارت بينهم معركة حُرَيْمِلاء، انهزم فيها الإمام عبدالرحمن، وقفل عائدًا إلى مخيمه في البادية، وأرسل ابنه عبدالعزيز إلى الهفوف (مركز الأحساء)، وكانت تابعة للدولة العثمانية ليفاوض العثمانيين (الترك)؛ ليسمحوا له ولرجاله بالإقامة فيها أو في جوارها، ولكنهم أَبَوْا إيواءهم، وبهذا لم تفلح هذه السفارة[٢].

وبعد تلك المفاوضات أراد الإمام وأولاده الرحيل إلى الكويت، فمنعهم الشيخ محمد الصُّباح من الدخول إليها، فعادوا إلى البادية، وأقاموا بضعة أشهر مع العُجْمان، وكتب الإمام عبدالرحمن إلى قاسم بن ثاني شيخ قطر في ذلك الوقت يصف ما هو فيه، وأجابه قاسم بن ثاني مرحِّبًا، وانتقل الجميع إلى قطر، وأقاموا بها شهرين، ثم رحلوا إلى الكويت مرة أخرى، وسواء أكانت العودة إلى الكويت بناء على اتفاق قد أبرمته الدولة العثمانية عن طريق حافظ باشا متصرِّف الأحساء مع الإمام عبدالرحمن؛ لكي تَأْمَنَ تحركاته مقابل ستين ليرة شهريًّا إضافة إلى استقراره في الكويت، أو بناء

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٣.
وعبدالرحيم؛ عبدالرحيم عبدالرحمن، أثر قوة إرادة الملك عبدالعزيز في تكوين المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ١١١ - ١١٢.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٣ - ٦٤.

على مساعدة الإمام عبدالرحمن لجيش حافظ باشا في الانسحاب من المعركة التي دارت بينه وبين شيخ قَطر، فما يهمنا هو أن استقرار الأسرة أصبح في الكويت بموافقة الدولة العثمانية آنذاك[١].

وهكذا وجد الملك عبدالعزيز نفسه - وهو في ريعان شبابه - يُجْري مفاوضات ويقوم بالسفارات؛ فكان لذلك كبيرُ الأثر في تكوين شخصيته وتقوية إرادته وثقته بنفسه، وقد أكسبته هذه السفارات حنكة سياسية كان لها أثرها في حياته المستقبلية[٢].

٤ - حياة الكويت ومعركة الصَّريف[٣]:

يرى بعض المؤرخين أن بداية العمل السياسي في مسيرة الملك عبدالعزيز كانت إبان إقامته في الكويت؛ وحجتهم في ذلك أن الانقسامات الداخلية فيما بين آل صُباح في الكويت، التي شهدها الملك في مطلع شبابه، قد مثلت لديه المرحلة الأولى من النضج السياسي، إلا أن التاريخ يؤكد لنا أنه قد وعى خطورة الخلاف والفرقة - سياسيًّا - قبل رحيله إلى الكويت؛ حيث أدرك أن تفرق كلمة آل سعود، بفعل تلك الانقسامات الداخلية التي عصفت بأبناء الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، كانت سببًا مباشرًا ورئيسًا لسلب إمارتهم وذهاب ملكهم، وإذا كان ثَمَّةَ من يقرُّ بأن الملك عبدالعزيز قد عايش تلك الأحداث، أو على الأقل بعضًا منها، إلا أنه لم يمارس السياسة فعليًّا إلا في الكويت، فيمكن مناقشة هذا الرأي

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٧ - ٦٨.

(٢) عبدالرحيم؛ عبدالرحيم عبدالرحمن؛ أثر قوة إرادة الملك عبدالعزيز في تكوين المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ١١١ - ١١٢.

(٣) لقد أضفنا إلى نشأة الملك عبدالعزيز هذه الجزئية؛ باعتبار أن ما قبل استرداد الرياض يندرج تحت نشأته، أما موضوع استرداد الرياض فلن نخوض فيه، نظرًا لأن الكثير من المؤرخين قد كتبوا عنه باستفاضة كبيرة، كما أنه لا يندرج ابتداءً تحت موضوع هذا الكتاب.

بما أثبته التاريخ من أن الملك عبدالعزيز قد مارس ذلك قبل ذهابه إلى الكويت؛ حيث قام بالسفارات العديدة بعد خروجه من الرياض، أضف إلى ذلك مشاركته في المفاوضات مع ابن رشيد وعقد صلح معه، كل ذلك يؤكد أن السياسة العملية كانت بين يديه واقعًا ملموسًا، لكن - مع تقرير ذلك - يبقى أن مرحلة الكويت هي في رأي كثير من المؤرخين تمثل مرحلة غاية في الأهمية؛ نضج فيها فكر الملك السياسي؛ حيث اطلع آنذاك على تلك الأحداث الفاصلة التي كانت تموج بها المنطقة ما بين شدٍّ وجذب من قبل القوى السياسية الأجنبية، والصراع المحتدم على النفوذ الذي تمثل في تضارب مصالح دولٍ منها: بريطانيا وألمانيا والدولة العثمانية وروسيا، كل هذه الأحداث قد عملت على صقل موهبة الملك عبدالعزيز القيادية، كما أكسبته خبرة وحنكة سياسية.

ونحن بدورنا نرى أن الملك عبدالعزيز كان سيكتسب مثل هذه الخبرة السياسية حتى لو لم يكن قد عايش تلك الأحداث في الكويت؛ إذ إنه من الواضح أن النضج في الحس السياسي لديه لم يكن مرتبطًا بمكان بقدر ما كان كامنًا في متابعته الأحداث، وتطلعاته، وما جُبل عليه من روح قيادية؛ فهو ﷺ كان يمتلك ابتداءً تلك النواة الأساس؛ هذه النواة التي صُقِلت بالتجربة المريرة للصراع الذي وقع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي وأفقد الأسرة حكمها وألجأها إلى الكويت، ثم ازدادت تجربته نضجًا بمعايشته للأحداث في الكويت، وإن كان ثمة من يقرر بأن الرافد الأساس في تكوين رؤية الملك السياسية كان مقتصرًا على فترة وجوده في الكويت، وحضوره مجالس الشيخ مبارك الصُّباح[1]، فنحن نرجع ذلك إلى أمرين:

(١) مبارك بن صباح بن جابر بن عبدالله بن صباح (١٢٥٤-١٣٣٤هـ = ١٨٣٨-١٩١٥م)، وهو سابع أمراء الكويت من آل الصباح.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ٢٧٠.

الأول: استشارة الشيخ مبارك للإمام عبدالرحمن الفيصل في كثير من الأمور التي تَعرِض له.

الثاني: أن ملازمة الملك عبدالعزيز لوالده كانت تفوق ملازمته لمجالس الشيخ مبارك الصُّباح.

وتأسيسًا عليه، فإن من البدهي أن يكون الملك عبدالعزيز قد تأثر برؤى والده السياسية وتجاربه، قبل تأثره بالمداولات في تلك المجالس وما ينجم عنها.

نعم، إن أيام الشيخ مبارك الصُّباح كانت مملوءة بالمناورات والمحاورات السياسية على المستوى العالمي، فيما بين الدولة العثمانية التي لها السيطرة الاسمية على بلاد العرب يومئذ، وبريطانيا التي كانت تهيمن بنفوذها على شواطئ الخليج العربي، وألمانيا وروسيا اللتين كانتا تسعيان لإيجاد منفذ لهما على الخليج، وكانت الكويت آنئذٍ مسرحًا لتلك التيارات السياسية العالمية، بالإضافة لظهور أطماع عبدالعزيز بن متعب بن رشيد في الكويت نفسها، بغرض الاستيلاء عليها ليشرف من خلالها على الخليج، وقد سعى لاختلاق شتى الذرائع والأسباب التي تمكّنه من ذلك.

وكان الملك عبدالعزيز يَرْقُب كلَّ ذلك ويتابعه عن كَثَب، ويمعن فيه العقل والفكر، وهو على مقربة من مجلس مبارك الصُّباح الذي كان يستشير الإمام عبدالرحمن بن فيصل في كثير من تلك الأمور، فاطَّلع بذلك على أمور السياسة العالمية وشؤونها؛ فأضاف ذلك كلَّه إلى ما تعلمه ونشأ عليه من قبل، وكان امتزاج هذا بذاك يمثّل أحد الروافد الرئيسة لشخصية الملك عبدالعزيز، التي كان من أبرزها: التديُّن، والإباء، والإقدام، والحكمة، وتعقل الأمور[1].

---

(١) راغب؛ عبدالواحد محمد؛ فجر الرياض، مرجع سابق، ص: ٣٧ - ٣٨. وينظر: الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٢ - ٧٣.

ومع كون الملك عبدالعزيز قد عايش ذلك كلَّه، واستنبط منه العبر بطريقته الخاصة في التحليل والتعليل، إلا أن ذلك برُمَّته لم يكن يعنيه مباشرة كما كانت تعنيه حوادثُ الشيخ مباركٍ نفسِه مع عدوه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، الذي أرسل فرسانًا أغاروا على الكويت تمهيدًا لهجومه هو عليها بالعدد الأوفر، ونهض مبارك فبحث عن الأنصار، وكان أقربَهم إليه نزيلَا الكويتِ؛ الإمامُ عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز؛ فدعاهما إلى محالفته في قتال عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وكانت الفرصة التي ما انفكا يترقبانها السنين الطوال، وقد نَفِد صبرهما على ذلك أو كاد، وبدأت المجابهة بين مبارك وعبدالعزيز بن متعب بن رشيد بمعركة حامية الوطيس، هي معركة الصَّريف، فيما بين الصَّريف والطَّرْفية في الشمال الشرقي من بريدة يوم ٢٧ من ذي القعدة ١٣١٨هـ، الموافق ١٧ من مارس ١٩٠١م، وانتصر فيها عبدالعزيز بن متعب بن رشيد[١].

وتعد هذه المعركة أولى المعارك التي أظهرت عبقرية الملك عبدالعزيز وحنكته العسكرية المبكرة، بل كانت من المعارك المهمة التي مهدت الطريق له للقيام باسترداد الرياض فيما بعد؛ وذلك لأسباب منها:

- ما ذكره خير الدين الزركلي عن ثقات الملك عبدالعزيز؛ من أنه لم يكن يتوقع النصر لجيش مبارك الصُّباح في هذه المعركة قبل نشوبها، وأنه - أي الملك عبدالعزيز الفتى المغامر - أبى، وهم في الشوكي[٢] أن يخاطرَ

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٢ - ٧٦.

(٢) الشوكي: واد صغير بالقرب من الدهناء تجتمع فيه مياه الأمطار في شمالي الرياض، يبعد عنها ١٩٥ كيلو مترًا، وهو المكان الذي فارق فيه الملك عبدالعزيز جموع مبارك الصباح قبيل معركة الصريف عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م. =

بسمعتِه وبذوي قرباه من آل سعود في المشاركة بمعركة خاسرة، ووُفِّق إلى فكرة الانفصال عن جيش مبارك الصُّباح، وذهب إلى الرياض وحاصرها مدة أربعة أشهر، ولكنه عاد إلى الكويت بعدما علم بهزيمة ابن صُباح في معركة الصَّريف، فلما قابل ابنَ صُباح فيها، نظر إليه ابن صُباح وقال - موجهًا الكلام للإمام عبدالرحمن -: إن ولدك سيثأر لك[(١)].

- أن معركة الصَّريف هذه تعدُّ من أكبر المعارك التي دارت في شبه الجزيرة العربية، أو على الأقل في بلاد نجد في بداية القرن الرابع عشر الهجري؛ حيث استعملت فيها أسلحة حديثة، وحُشِدَ فيها حَشْدٌ هائل من قوات الطرفين، وتابعَتْها باهتمامٍ بالغٍ الدولُ التي لها نفوذ وسيطرة على المنطقة[(٢)].

- أنها أتاحت للملك عبدالعزيز فرصة للتعرف عن كَثَب على معالم الرياض وأسلوب حراستها، ومكامن الضعف والقوة في تلك الحراسة؛ فمكَّنه ذلك من استغلال تلك النقاط في تخطيطه لاستردادها في العام التالي، كما وضع أيضًا في تخطيطه - أولًا وقبل كل شيء - الاستيلاء على حصنها المنيع (المَصْمَك)[(٣)]؛ فقد عرف أن الاستيلاء على المدينة أمر غير ذي

= الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٩٧.

(١) المرجع السابق، الجزء الأول، ص: ٧٦.

(٢) راغب؛ عبدالواحد محمد؛ فجر الرياض، مرجع سابق، ص: ٤٩.

(٣) المَصْمَك، قيل: كان أصله المَسْمَك؛ من السماكة وهي القوة والمتانة؛ وهو قصر محكم مربع ذو بروج وجُدر سميكة، ظل مقرًّا للحكم في العهد الرشيدي حتى عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م؛ حيث استولى عليه الملك عبدالعزيز في مغامرته التاريخية المعروفة. خَمِيس؛ عبدالله بن محمد، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، الجزء الثاني، ص: ٣٧٢.

جدوى دون سقوط الحصن؛ لذا فقد فاجأ الملك عبدالعزيز عجلان بن محمد العَجْلان ومن معه من حامية الحصن؛ فأصيبوا من هول المفاجأة بصدمة أربكتهم وحالت بينهم وبين السيطرة على الموقف، وظنوا أن المدينة قد استسلمت وهم في غفلة نائمون، وعرف من تحصن في الجزء الأعلى للمصمك أنْ لا سبيل للنجاة سوى الاستسلام؛ وبخاصة بعد موت قائدهم، فماذا يكون الحال لو وضع الملك عبدالعزيز خطته بأن يستولي على المدينة أولًا - كما هو الحال في محاصرته لها إبَّان معركة الصريف - ويترك الحصن للنهاية؟! لا شك أن النتيجة ستكون مغايرة تمامًا لما حدث ليلة المَصْمَك، وهذا يدل بمجمله على براعة الملك عبدالعزيز ونبوغه المبكر في الميدان الحربي[(١)].

- أن معركة الصَّريف أَضفَتْ على الملك الثقة بنفسه وبعمله، وأنه استنتج من خلال موقف مبارك عند الشوكي أنه لا يمكنه الاعتماد على قيادته، وأن عليه أن ينفرد بوضع خططه بنفسه مستقبلًا، وبخاصة التفكير مليًّا في وضع الخطة لاسترداد الرياض[(٢)].

- وعلى الجانب الآخر فقد أظهرت هذه المعركة ازدياد قوة عبدالعزيز ابن متعب بن رشيد الذي اندفع بعدها نحو الكويت لمعاقبة شيخها، آملًا في أن تطلق الدولة العثمانية يده في الكويت، لكنها لم تستطع مساعدته مخافة أن يجرَّها ذلك إلى الصدام مع بريطانيا[(٣)].

---

(١) راغب؛ عبدالواحد محمد؛ فجر الرياض، مرجع سابق، ص: ٥٠ - ٥١.
(٢) المرجع السابق، ص: ٥١.
(٣) العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز "١٣٤٣-١٣٧٣هـ، ١٩٣٤-١٩٥٣م"، دراسة تاريخية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ٣٠.

- كما ساعدت هذه المعركة على مضاعفة الخلاف القائم بين ابن رشيد والإمام عبدالرحمن بن فيصل؛ إذ تعاهد الإمام مع مبارك الصُّباح لمحاربة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، هذا بالإضافة إلى مساندة رئيس عشائر المُنْتَفِق(١) سعدون باشا أبو عجمي(٢) لهما، وقيامه بالإغارة على بعض القبائل الخاضعة لعبدالعزيز بن متعب بن رشيد(٣).



(١) المنتفق: من أهم قبائل العراق؛ منازلها في المناطق الواقعة بين البصرة وبغداد، وتتجول في الجزيرة بين دجلة والفرات.
كحالة؛ عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الجزء الثالث، ص: ١١٤٤.

(٢) سعدون باشا بن منصور بن راشد بن صالح بن ثامر السعدون، أبو عجمي (١٢٧٤ - ١٣٣٠هـ = ١٨٥٧ - ١٩١٢م)، من أسرة عراقية منازلها في جهات المنتفق، أول ما عرف عنه توسطه بين الحكومة العثمانية وبني مياح من عشائر العراق؛ لإعادتهم إلى الطاعة فأطاعوا، وكوفئ برتبة باشا سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م؛ واشتهر بغاراته على قبائل شَمَّر وحربه مع عبدالعزيز بن متعب عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، وانتهى أمره بأن اعتقل بعض رؤساء البدو من قبيلة عَنَزة، ثم قتلهم، فتألبت عشائر المنتفق على حربه، فعبر شط العرب، وذهب إلى البصرة مستنجدًا، فقبض عليه واليها، وأرسله إلى بغداد، ثم إلى حلب، وتوفي قبل انتهاء محاكمته.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٨٩.

(٣) الريحاني؛ أمين، تاريخ نجد الحديث، مرجع سابق، ص: ١١٧.

المبحث الثاني

نماذج من سياسة الملك عبدالعزيز في الحكم

أولًا: فكره السياسي:

استطاع الملك عبدالعزيز أن يجمع بين المهارة العسكرية والحنكة السياسية؛ تلك الحنكة التي تجلَّت في أبهى صورها عند مفاوضته مع جيرانه من الدول الأخرى - واضعًا في حسبانه أدق تفاصيل الموقفين الدولي والإقليمي داخل المشرق العربي والجزيرة العربية - وعند مواجهته مشكلات داخلية في وقت كانت فيه البلاد قيد التأسيس، هذا مع تقديره لقدرات ممثِّليه من المفاوضين[1].

وذلك جعل بعض الخبراء الدبلوماسيين البريطانيين في ذلك الوقت يعدُّونه واحدًا من أهم المفاوضين السياسيين في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي؛ والدليل على ذلك تلك المكاسب التي حققها لحماية حدوده، مع عدم التنازل عن حبة رمل واحدة، حتى أصبح من يفاوضه يتمنى أن يوقف التفاوض، مفضِّلًا نشوب القتال من جديد، عسى أن يحقق أي مكسب - ولو كان وهميًّا - أمام الملك عبدالعزيز؛ لأن المفاوض لن يأخذ حتى هذا الوهم من الملك عبدالعزيز إذا استمر في التفاوض!

وإذا علمنا أن بريطانيا كانت هي نفسها صاحبة الهيمنة السياسية على

---

(١) الجريسي؛ خالد بن عبدالرحمن، من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الجزء الأول، ص: ٢٤، ٣٢.

معظم مناطق العالم والمشرق العربي بخاصة، فقد استطاع الملك عبدالعزيز أن يطوِّع تلك السياسة في المنطقة لخدمة مصالحه، وعندما فاوضته بريطانيا لم تستطع أن تكسب منه سوى حياده في بعض المشكلات الخاصة بها في المنطقة، وهذا ما حدث فعلًا عندما وقَّعت معه معاهدة دارِين عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م(١)، وبرغم ما وُجِّه من نقد لهذه المعاهدة إلا أنها حققت فائدة للملك

---

(١) وقِّعت هذه المعاهدة في جزيرة دارين المواجهة للقَطِيف بين الملك عبدالعزيز والسير برسي كوكس، ويطلق عليها أيضًا معاهدة القَطِيف، وذلك في ١٨ صفر ١٣٣٤هـ - ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م؛ وتتلخص بنود هذه المعاهدة فيما يأتي:
اعتراف بريطانيا بأن الأحساء والقَطِيف والجُبَيْل وملحقاتها والمرافئ التابعة لها هي للملك عبدالعزيز، مقابل سماحه بفتح الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة، مع عدم التخلي عن هذه الأماكن، أو بيعها أو رهنها بأي صورة من الصور، وعدم منح أي امتياز لأي دولة أجنبية إلا بعد استشارة بريطانيا، إضافة إلى ذلك قيام الملك عبدالعزيز باحترام كل من له معاهدة مع بريطانيا من دول الخليج، وفي حال أراد أبناء الملك عبدالعزيز بعد وفاته الاستمرار في هذه المعاهدة، فيشترط فيمن يخلفه أن يكون منتخبًا من قبل الإمام الحاكم، وألا يكون مخاصمًا لإنجلترا بوجه من الوجوه. وقد تعرض الكُتَّاب فيما بعد لنقد هذه المعاهدة؛ حيث وصفها فؤاد حمزة: بأنها معاهدة جائرة سقطت قيمتها قبل إلغائها بسنوات عديدة، وقال حافظ وهبة: لقد تجلَّى في هذه المعاهدة قصر نظر مستشاري ابن سعود بما يجري في العالم، والاستفادة من الفرص، وقال خالد الفرج: وهي - على ما فيها من قيود - تَحُدّ من استقلال عبدالعزيز؛ فإنها كانت بحسب الظروف شَرًّا لابد منه؛ فالإنكليز لم يكونوا ليعترفوا بضم الأحساء والقَطِيف والجُبَيل وسائر الساحل بدونها. هذا، وقد نُقدت هذه المعاهدة في بريطانيا أيضًا، ومنهم من وصفها بالعقم، قالت م. ف سيتون وليمز: لم تكن هذه المعاهدة - لسوء الحظ - ناجحة نجاحًا كبيرًا من وجهة النظر البريطانية؛ لأنها لم تتمخض عن اتخاذ ابن سعود خطوات فعَّالة ضد الأتراك، عمومًا فإن هذه المعاهدة ظلت مرعية إلى أن ألغيت رسميًّا، حين عقدت معاهدة جدة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.
الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٠ - ٧٣. والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٨٥، ٢٩٨.

عبدالعزيز تمثلت في أنها دعمت مركزه في وقت كان يواجه فيه مشكلات مع كلٍّ من الكويت، والشريف حسين بن علي[١]، وابن رشيد، والعثمانيين، وزودته بريطانيا بالمساعدات المالية والعسكرية التي استفاد منها في كسر شوكة منافسه ابن رشيد، ولعب بالورقة البريطانية الرابحة آنذاك ضد العثمانيين الذين أجلاهم عن الأحساء إلى الأبد، واعترفت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة بأقاليم الملك عبدالعزيز واستقلاله[٢]؛ ومن ثَمَّ فقد أدت هذه المعاهدة إلى اعتراف بريطانيا بأهمية الملك عبدالعزيز المتزايدة؛ بوصفه حاكمًا قويًّا في الجزيرة العربية، وبات واضحًا أن الملك عبدالعزيز قد قام بتوقيع هذه المعاهدة حتى يضمن بقاء بريطانيا إلى جانبه، وهي التي ستكون ثقلًا موازنًا للعثمانيين، ومما يجدر ذكره هنا: أن هذه المعاهدة لم تمثل أي تحوُّل بارز في السياسة البريطانية في الخليج العربي، إلا أنها كانت - ولا شك - نقطة تحوُّل

---

(١) الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون (١٢٧٠ - ١٣٥٠هـ = ١٨٥٤ - ١٩٣١م)، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك عام ١٩١٦م، وساعده الإنجليز، ووجه ابنه فيصلًا إلى سورية، وأرسل ابنه الثاني عبدالله بجيش ضخم لإخضاع واحَتَي تُرَبَة والخُرْمة في شرقي الطائف، والتحم مع جيش ابن سعود، وهُزم عبدُالله، وبادر ابن سعود بمصافاة الحسين، لكنه استهان به واشتد في مطالبه، ولم يأذن لأهل نجد بدخول الحجاز لأداء الفريضة؛ ولذلك أقبلت جموع من نجد وتربة والخرمة إلى مدينة الطائف، ومزقت جيش الحسين المرابط فيها واحتلتها، واجتمع ذوو الرأي من أهل جدة ومكة على توجيه النصح للحسين بالتخلي عن العرش لكبير أبنائه (علي)، ففعل وانتقل من مكة إلى جدة عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ثم إلى العقبة، ثم إلى جزيرة قبرص عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ثم انتقل إلى عمَّان، ووافته المنية، فحمل إلى القدس، ودفن فيها.

الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) هـ س. أرمسترونج؛ عبدالعزيز آل سعود؛ سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم: البروفسور يوسف نور عوض، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ص: ١٢٠.

في العلاقات البريطانية السعودية؛ لأنها غيَّرت موقف بريطانيا تجاه هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية[١]؛ ومن ثَمَّ فإن المرء يدرك مدى ما كان عليه الملك عبدالعزيز من عبقرية في التفاوض واستغلال انتصاراته، ليس فقط لكسب أراضٍ جديدة لضمها وبسط نفوذه عليها، بل أيضًا لكي يقف على أرض صُلْبة تُمَكِّنه من المفاوضة ومضاعفة المكاسب؛ لأنه كان يعلم جيدًا أنه في ظل الصراعات الدولية كان الحق دائمًا عند أفواه المدافع.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان يحيط به آل رشيد في حائل، والشريف حسين في الحجاز، وكلاهما خطرٌ كبيرٌ عليه[٢]، وبدأت المعارك تأخذ دورها واضعةً لغةً للتفاهم والخطاب على هاتين الجهتين، جهة الحجاز، وجهة شَمَّر[٣]، وقبل أن يُحسم الأمر في أي منهما انعقد مؤتمر في الرياض لعلماء الدين ورؤساء العشائر، وأعلنوا أن لقب عبدالعزيز آل سعود هو: "سلطان نجد وملحقاتها"، واعترفت بريطانيا به[٤].

---

(١) آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية (١٣٤١-١٣٥١هـ = ١٩٢٢-١٩٣٢م)، دراسة وثائقية، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص: ٢٩، ٣٠.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢١٥. وانظر: آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، مرجع سابق، ص: ٢٩.

(٣) شَمَّر: قبيلة طائية قحطانية تحيط ديارها بجبلي أَجَأ وسَلْمَى، ومركزها مدينة حائل، ومنهم قسم كبير في العراق، ولها تاريخ حافل في نجد والعراق، برز منها إمارات قوية وشيوخ كبار؛ مثل آل الجرباء في العراق، وآل رشيد في الجزيرة العربية، وآل طوالة وغيرهم.
الحربي؛ فائز بن موسى البدراني، من أخبار القبائل في نجد، خلال الفترة من ٨٥٠ - ١٢٠٠هـ، ١٤٤٥ - ١٧٨٥م، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، الجزء الأول، ص: ٢٦٦.

(٤) موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٢٥.

وظلت الأحداث تتوالى والملك عبدالعزيز في موقف لا يُحسد عليه، خاصة إذا علمنا أن العراق أصبح مملكة تحت حكم فيصل ابن الشريف حسين(١)، وشرق الأردن أصبح إمارة تحت حكم عبدالله(٢) ابن الشريف حسين(٣)، إضافة إلى أن الشريف حسينًا - حاكم الحجاز - أعلن نفسه ملكًا على العرب بعد أن حارب الدولة العثمانية إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، وكان يتوقع المساندة القوية من جانب

---

(١) فيصل بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي أبو غازي (١٣٠٠-١٣٥٢هـ = ١٨٨٣ - ١٩٣٣م)، ولد بالطائف، واختير نائبًا عن مدينة جدة في مجلس النواب العثماني عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، وحين ثار والده على الترك عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، تولى فيصل قيادة الجيش الشمالي، ثم سمي قائدًا عامًّا للجيش العربي، ودخل سورية عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م بعد جلاء العثمانيين عنها، ونودي به ملكًا دستوريًّا على البلاد السورية سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، وبعد وقعة ميسلون واحتلال فرنسا لسورية، رحل فيصل عنها، وتنقل في عدة دول في أوروبا، وفي عام ١٩٢١م دعته إنجلترا لحضور مؤتمر عقدته في القاهرة، وتقرر ترشيحه لعرش العراق، وصار ملكًا عليها عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، وتوفي في سويسرا عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، ونقل جثمانه إلى بغداد، ودفن بها.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٦٥.

(٢) عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي (١٢٩٩ - ١٣٧٠هـ = ١٨٨٢ - ١٩٥١م)، أمير شرقي الأردن، ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ولد بمكة وتلقى مبادئ العلوم في الآستانة أيام إقامة أبيه فيها، وعاد إلى الحجاز عام ١٣٢٧هـ، وسمي نائبًا عن مكة في مجلس النواب العثماني، قام مع والده في الثورة على الترك عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، فقاد جيشًا حاصر الحامية العثمانية في الطائف حتى استسلمت، شغل منصب وكيل وزارة الخارجية، ونشأ خلاف بين أبيه والممثل البريطاني، فجنح عبدالله إلى اللين، فعنفه أبوه، فاستقال عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، وتقابل مع تشرشل ووضعا أسس الإمارة في شرقي الأردن، وسمي ملكًا عليها عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، وقتل في المسجد الأقصى بالقدس.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٨٢.

(٣) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٧.

حلفائه البريطانيين[١].

وجد الملك عبدالعزيز نفسه في موضع اختبار صعب، وماذا عساه أن يفعل أمام هذا الحصار الهاشمي من الشمال ومن الجنوب الغربي، وما توقعه قد حدث فعلًا؛ فقد بدأت بعض القبائل على الحدود العراقية تتجاوز خطوط الحدود المعهودة وتعتدي على أراضي نجد؛ ومن ثَمَّ فإن الملك عبدالعزيز لم يجد بُدًّا من إعمال عبقريته العسكرية، فأمر جنوده بضم منطقتي تُرَبة والخُرْمة[٢]؛ ليحسم بذلك الخلافَ الناشئ بينه وبين الشريف حسين حول أحقية كُلٍّ منهما في هاتين الواحتين، وبذلك تمكن من تأمين حدوده الغربية، وتفرَّغ بعدها للدفاع عن المناطق الشمالية[٣].

وما يجدر ذكره أن الملك عبدالعزيز بعد ضمه تُرَبة والخُرْمة شرع بالتفاوض من موقعه المتميز، وأرادت بريطانيا الوصول إلى تسوية للمشكلات

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣١٥-٣١٦.

(٢) تُرَبة والخُرْمة: قريتان أو واحتان بين الحجاز ونجد؛ ترتفعان عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدم، وهي قديمًا من طرق التجارة بين الحجاز ونجد، وكان الحسين يرى القريتين من قرى الحجاز، بينما يراهما ابن سعود من قرى نجد؛ ومن ثَمَّ نشأ الخلاف.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣١٧.
وحمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٢.
ويقول حمد الجاسر عن تُرَبة: بلدة معروفة في واد بهذا الاسم يتبعها عدد من القرى ومناهل البادية بمنطقة إمارة مكة، وبها حدثت معركة تربة عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م.
الجاسر؛ حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص: ١٩٥.

(٣) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٥ .

بين فيصل ملك العراق، وعبدالله حاكم الأردن، وحسين حاكم الحجاز، جميعهم من جهة، والملك عبدالعزيز من جهة أخرى، واقترحت الاجتماع بهم في آن واحد، إلا أن الملك عبدالعزيز - بنظرته السياسية الثاقبة - رفض ذلك مفضِّلًا التفاوض مع كلٍّ على حدة؛ تجنُّبًا لما قد يحدث من خلط للأوراق، واحترازًا من أي مؤثرات سياسية خارجية تذهب بمجريات عملية التفاوض إلى غير صالحه؛ وقد وجدت بريطانيا نفسها مضطرة للإذعان لمطلب الملك عبدالعزيز؛ فقد فاوض الملك بعدها فيصلًا ملكَ العراق، وأُبرمت اتفاقية المُحَمّرة[1] في ٧ رمضان ١٣٤٠هـ - ٥ مايو ١٩٢٢م التي عالجت مسألة الحدود، والمسائل القبلية والتجارية[2]، على أن الملك عبدالعزيز رفض التوقيع[3] على هذه الاتفاقية في بادئ الأمر، لكنه أقرها فيما بعدُ عند

---

(١) المحمّرة: بلدة من شواطئ الخليج؛ شهدت عقد اتفاقية حملت اسمها؛ وذلك بعد أن أحيط الملك عبدالعزيز بالشريف حسين وأبنائه من جهات ثلاث؛ الحسين في الحجاز، وفيصل في العراق، وعبدالله في شرق الأردن، إضافة إلى تفاقم المشكلات على الحدود العراقية النجدية، وقد ساعد على ذلك عوامل؛ منها قبائل شَمَّر التي لجأت إلى العراق بعد ضم حائل، وشنّت الغارات على نجد، وقبائل الرُّولة التي كانت تخابر الأمير عبدالله في شرق الأردن؛ للقيام بحركات جديدة، هدفها مدّ السيطرة الهاشمية إلى الجوف، فأراد الإنجليز وضع حد لهذه المشكلات؛ حتى يسود الأمن والاستقرار في المناطق الخاضعة لنفوذهم؛ لذلك عُقد مؤتمر نجدي عراقي بريطاني لحل قضية القبائل، وأسفر عن معاهدة المحمّرة.
حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٧-٣٨٨.
والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٢) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٧، ٣٩١ .

(٣) رفض الملك عبدالعزيز إبرام هذه المعاهدة ولم يوافق عليها؛ بسبب أن مندوبه الأمير أحمد بن ثنيان من آل سعود تجاوز حدود صلاحيته في إمضاء هذه الاتفاقية أو المعاهدة قبل أن يعرضها على الملك عبدالعزيز؛ الذي رأى أن مندوبه قد ترك =

توقيعه على بروتوكولَي العَقِير[١] في ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٠هـ - ٢ ديسمبر ١٩٢٢م[٢]، وهذا الرفض يبدي لنا جانبًا آخر من عبقرية الملك عبدالعزيز السياسية؛ فإنه كان يرمي من وراء تأخير التوقيع إلى كسب بعض الوقت؛ ليحرز بذلك موقفًا أكثر تميزًا على الحدود بسياسته مع القبائل؛ وبخاصة شَمَّر، والعِمَارات[٣]، والمُنْتَفِق، وحينما تحقق له ما أراد وقَّع الاتفاقية.

وثمة مفاوضات أخرى برز فيها تميز الفكر السياسي للملك الهادف إلى

= للعراق قبائل ما كان له أن يتخلى عنها؛ مثل العِمَارات، والظُّفير، والمُنْتَفِق، وكانت قديمًا من رعايا عبدالله بن سعود الكبير.

الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣٦٦.

(١) العَقِير: ميناء في الجنوب الغربي من القَطِيف على نحو سبعين كيلو مترًا من الأحساء، كان الاجتماع فيه بين كلٍّ من الملك عبدالعزيز ومن معه من المستشارين وبين الوفد البريطاني برئاسة برسي كوكس، والوفد العراقي برئاسة صبيح نشأت، ونتج عن ذلك أمور جوهرية أهمها: تعيين الحدود بين نجد والعراق، غير أن العراق لم يحترم بنود تلك المعاهدة، وعاد الخلاف مرة أخرى؛ وهو ما حتم عقد مؤتمر الكويت عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م؛ لتسوية الخلاف، إضافة إلى تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن، والنظر فيما بين الحجاز ونجد، وفشل المؤتمر أيضًا، وعُقد اجتماع حافل في الرياض؛ لتقرير السياسة التي يجمل بأهل نجد أن يسيروا عليها في علاقاتهم مع الحكومة الهاشمية.

حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٨٨ - ٣٨٩.

والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٢) آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، مرجع سابق، ص: ٦٣، ٦٥.

(٣) العِمَارات: فخذ من أفخاذ عَنَزة، وكانوا يسكنون نجدًا؛ خصوصًا القَصِيم، ومشايخهم ابن هذال وابن شعلان وهم من رعايا آل سعود؛ ومن بني عمومتهم.

الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٨٩.

تأمين حدوده؛ فقد أراد تأمين المناطق الشمالية مع العراق والكويت في وقت واحد؛ كي يفوِّت بذلك الفرصة على الاضطراب في تفسير بنود المعاهدات، وهو ما كان شائعًا في ذلك العهد، وبالفعل فقد وقَّع الملك عبدالعزيز - في يوم توقيع بروتوكولات المحمّرة - معاهدةَ الحدود مع الكويت[١].

إن المتتبِّع لأسلوب الملك عبدالعزيز في التفاوض يجد أنه قد تميز بعبقرية في إدارة المفاوضات، ومما يشهد لذلك: الظروف التي عقدت فيها معاهدة "بَحَرة"[٢] بينه وبين بريطانيا نيابة عن العراق، في ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤هـ - أول نوفمبر ١٩٢٥م؛ حيث إن ثمة بنودًا مختصة بالتجارة والأمن في اتفاقية "المحمّرة" (١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م) لم تكن قد وُضِعت بعدُ موضعَ التنفيذ، فكان لابد من حلٍّ ما تعسَّر حلُّه في تلك الاتفاقية، وفي المدة الفاصلة بين الاتفاقيتين "المحمّرة" و"بَحَرة" (١٣٤٠ - ١٣٤٤هـ، ١٩٢٢ - ١٩٢٥م)، استطاع الملك عبدالعزيز أن يغير من مسار السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية؛ فهو لم يهدف إلى جعل هذه السياسة في صالحه بقدر ما أراد ألا تكون

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٢) قام الجنرال جلبرت كلايتن مندوبًا عن بريطانيا، ومخولًا أن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع، ومعه توفيق السويدي باسم حكومة العراق؛ بعقد اتفاقيتين مع الملك عبدالعزيز، الأولى عرفت باتفاقية "بَحَرة" وهي إحدى القرى القريبة من مكة المكرمة من الناحية الغربية؛ وعولجت فيها مشكلات القبائل على الحدود النجدية العراقية، والثانية عرفت باتفاقية "حَدّة" (بالحاء المهملة)، وهي من قرى الطريق بين مكة وجدة، ومن أعمال إمارة مكة، وفيها إمارة من إماراتها، وكانت تُعرف قديمًا باسم حداء، وفي هذه المعاهدة زِيدَ تعيين الحدود بين نجد وشرق الأردن.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٩٤ - ٢٩٥.
والجاسر؛ حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مرجع سابق، القسم الأول، ص: ١٤٢، ٢٩٦.

في جانب خصومه المتربصين بدولته، وقد نجح الملك عبدالعزيز في سياسته مع بريطانيا، واستطاع تعديل موقفها الداعم دومًا للشريف حسين الطامح بمنصب الخلافة، وبخاصة بعد إلغائها في تركيا عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م[١]، فقبيل توقيع معاهدة "بَحَرة" كان الملك عبدالعزيز قد ضَمَّ الطائف، وزَحَفَ إلى بقيَّة الحجاز، ويعد هذا الأمر (أي ضم الطائف) من الأمور المهمة التي تكشف لنا بجلاء مدى ما كان يتمتع به الملك عبدالعزيز من ذكاء وحنكة سياسية؛ لأنه بضمه الطائف سوف تتضح له النوايا الحقيقية لبريطانيا قبل أن يقوم بعمليات عسكرية على نطاق واسع، ووقتها سيكون أمر الانسحاب صعبًا للغاية؛ ومن ثَمَّ فإنه قرر أن يكون الطائف هو الهجوم الأول له[٢].

ويعد ضم الطائف دخل مكة المكرمة؛ حيث تمت تنحية الشريف حسين رسميًّا عن الحجاز في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٢٤م[٣].

كذلك فقد استعمل الملك عبدالعزيز سياسته المثمرة مع بريطانيا كي تحمل عبدالله ابنَ الشريف حسين حاكم شرق الأردن على التزامِ الحياد إزاء ضم الملك عبدالعزيز للحجاز، وقد رأت بريطانيا في زحف الملك عبدالعزيز على الحجاز فرصة ذهبية لها؛ من أجل إقناعه بعقد اتفاقية "بَحَرة" لحل بعض المشكلات القائمة بينه وبين العراق، وبخاصة منها المسائل المتعلقة بالحدود، وهو أمر طالما سعى الملك عبدالعزيز إلى تأجيله؛ ومن أجل أن تلزم بريطانيا جانب الصمت حيال زحفه نحو الحجاز كان لابد من رد فعل

---

(١) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٩٠، ١٩٤. ومولين؛ فان در، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، مرجع سابق، ص: ٨٣، ٨٥.

(٢) آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، مرجع سابق، ص: ٧٧.

(٣) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٩٣.

إيجابي من جانب الملك عبدالعزيز؛ تقديرًا لمواقفها الأخيرة منه؛ لذا قرر توقيع اتفاقية "بَحَرة" مع العراق[١] ليكمل بذلك طوق الحياد، فكما أنه حيَّد عبدالله حاكم شرق الأردن من قبل، فإن هذه الاتفاقية الجديدة سوف تحيِّد فيصلًا ملك العراق عن إبداء أي رد فعل تجاه ضمه للحجاز.

ويبلغ الملك عبدالعزيز قمة النضج الفكري السياسي والعبقرية في التفاوض، وندرك ذلك حين نتأمل طريقته وأسلوبه في التعامل مع اتفاقية حَدَّة التي وقعت بينه وبين بريطانيا نيابة عن إمارة شرق الأردن في سنة ١٥ ربيع الآخر ١٣٤٤هـ - ٢ نوفمبر ١٩٢٥م[٢]؛ فقد كان تصميم الملك عبدالعزيز واضحًا على الضم الفعلي للمناطق الشمالية: الجَوْف، ووادي السِّرْحان، كاف، وتعرف باسم قُرَيَّات الملح، في حين ادَّعت شرق الأردن أنها أحق بالسيطرة على كاف وأغلب المناطق الشمالية؛ ومن ثَمَّ فقد أرسلت بريطانيا السير جلبرت كلايتن[٣] إلى الملك عبدالعزيز - الذي كان يحاصر جُدّة آنذاك - لعقد اتفاقيتي "بَحَرَة" و"حَدَّة"، وفي ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٤هـ/ ١١ أكتوبر ١٩٢٥م، وأثناء المفاوضات كانت التعليمات الصادرة إلى جلبرت كلايتن من وزارة المستعمرات البريطانية تقضي بأن يكون اهتمامه منصبًّا فقط على مسائل الحدود بين شرق الأردن من جهة ونجد من جهة أخرى، إضافة إلى المشكلات القائمة بين العراق ونجد ولم تُحَلَّ في مؤتمر

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٠٢.

(٣) جلبرت فلكانجهام كلايتن؛ بريطاني الأصل، وكان مفوضًا من قِبَل ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وإمبراطور الهند، للتفاوض مع الملك عبدالعزيز في بعض المسائل السياسية، ومنها: معاهدة جدَّة واتفاقية حَدّة.
الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص:٢٩٦- ٢٩٩.

الكويت، وبدأت المناقشات بعرض مسألة الجَوْف، وكان كلايتن قد تلقى تعليمات أساسية، منها السعي إلى ضم الجَوْف إلى حدود شرقي الأردن، وعدم الفصل بين العراق وشرقي الأردن بإقليمٍ نجديٍّ متداخل بينهما، وأُعلم كلايتن أيضًا بألا يتطرق في المفاوضات معَ الملك عبدالعزيز إلى الحرب الدائرة في الحجاز.

بدأ جلبرت كلايتن المفاوض البريطاني بمناقشة قضية وادي السِّرْحان وكاف، على الرغم من علمه يقينًا بأن الملك عبدالعزيز لن يتوانى في المطالبة بضم هذه المناطق، لكنه بدأ بها من أجل اختبار صلابة موقف الملك عبدالعزيز في هذه المسألة؛ وذلك حتى يُمْكِنَهُ التشدُّد في بقية المسائل المطروحة على طاولة المفاوضات، وإمعانًا منه في تحطيم دفاعات الفكر السياسي التفاوضي للملك عبدالعزيز وتشتيته؛ فقد ذهب جلبرت كلايتن يعزف على وتر حاجة الملك عبدالعزيز للصداقة البريطانية؛ حيث إنه محاط بالنفوذ البريطاني في أغلب النواحي في الخليج العربي، وفارس، ومصر، والعراق، وفلسطين، وشرق الأردن، وجنوب اليمن.

أما عن موقف الملك عبدالعزيز فقد أبدى عدم رضاه عن ضم منطقة كاف إلى شرق الأردن؛ لأنه في حال ضمِّها فإن ذلك سيؤدي إلى الربط بين الهاشميين في شرق الأردن والعراق، في الوقت نفسه لن تتمكن نجد فيما بعدُ من الاتصال مع سورية، كما أنه رأى أن وادي السِّرْحان إقليم واحد لا يمكن تقسيمه، ومناطق كاف، أو قُرَيَّات الملح أجزاء مكملة لوادي السِّرْحان[1].

وفي نهاية المفاوضات لم يتمكن جلبرت كلايتن من جذب الملك

(١) حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص٣٨٦ - ٣٨٨.
وآل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، مرجع سابق، ص: ٩٢.

عبدالعزيز نحو التنازل عن بعض الأراضي، بل على العكس فقد اضطر هو إلى تسليم منطقة الجَوْف ووادي السِّرْحان وكاف إلى الملك عبدالعزيز، بشرط ألَّا ينشئ مراكز محصَّنة هناك، أو أن يستخدمها كمركز عسكري، ووافق الملك حينها على ذلك[١].

فهل من الممكن حقًّا التخمين بالذي حدث في هذا اللقاء التفاوضي بين الملك عبدالعزيز وجلبرت كلايتن، حتى تكون النتيجة المدهشة لصالح الملك عبدالعزيز؟! لقد حصل الملك فعلًا على نصر دبلوماسي منقطع النظير؛ حيث تم له ما أراد، بسيطرته على وادي السِّرْحان بما في ذلك كاف؛ فضمن بذلك حدودًا شمالية آمنة، كما ضمن حرية مرور قوافله التجارية إلى سورية دون دفع أي رسوم جمركية إلى شرق الأردن، وأنْ يتم ذلك المرور تحت حماية وضمانة المندوب السامي البريطاني نفسه في شرق الأردن.

ومن المواقف التي تشهد بعبقرية الملك عبدالعزيز وحنكته السياسية: ما قام به من إغلاق الحدود ومراقبتها من قِبَل كلٍّ من بريطانيا والأردن ومصر أثناء تمرُّد حامد بن رِفَادة[٢]؛ فمن خلال الخطابات المتبادلة بين وزير الحربية المصري ووزير الخارجية ومدير مصلحة الحدود من جهة، وبين مدير مصلحة الحدود ورئيس وزرائه من جهة أخرى، يتبين لنا أن مصر قامت على الفور

---

(١) آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية، مرجع سابق، ص: ٩٣ .

(٢) حامد بن سالم بن رفادة؛ متمرد من قبيلة بلي من سكان الوجه أحد شواطئ الحجاز، كان من رعايا الملك عبدالعزيز، ثم جنح إلى العصيان سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، وفر إلى القاهرة، ثم توجه إلى عمَّان عاصمة الأردن، واتصل بأميرها الشريف عبدالله بن الحسين، وعاد إلى مصر واتصل بملكها أحمد فؤاد، ولقي منه كل العطف والعون، وفي أواخر ربيع الأول عام ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، اشتبك بمن معه مع جنود الملك عبدالعزيز، وانتهى ذلك بموته.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٦١.

بإغلاق ميناءي السويس والطور في وجه كل من يُشَكُّ فيه، وفي وجه أي سفينة أو مركب يرى أنه يحمل مؤنًا أو سلاحًا لخدمة أي فتنة تدبَّر ضد الحجاز؛ خصوصًا وأن الكلام قد كثر في الوسط السياسي آنذاك عن قيام مصر بمساعدة حامد بن رِفَادة في تمرُّدِه المعروف؛ فكان مضمون أمر رئيس الوزراء المصري إلى مصلحة الحدود المصرية صريحًا وشديدًا بضرورة ضبط كل سفينة أو مركب متجهة إلى الحجاز؛ فاستفاد الملك عبدالعزيز من ذلك استفادة عظيمة؛ إذ رُوقبت حدوده الطويلة على البحر الأحمر وحُرست دون أي أعباء مادية أو بشرية، وعمل الملك حينئذ على النهوض بالبلاد وتعميرها[١].

هنا تظهر عبقرية الملك عبدالعزيز السياسية في حسن التعامل مع أيسر الأحداث وتحويلها لصالح وطنه وشعبه؛ مثلما تعامل سابقًا مع الأحداث الجسام، فقد تعامل بحنكة مع فتنة حامد بن رفادة، وقد كان بإمكانه القضاء عليها ببعض جنوده في وقت قصير، لكنه أراد تأمين حدوده الممتدة، وكشف نيات شركاء الحدود ومَن خلفهم؛ حتى يقطع عليهم خط الرجعة في العمل على تشجيع أي فتنة ضد الدولة السعودية بعد ذلك.

هذه نماذج من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه بعض القضايا، وثمة نماذج أخرى كثيرة موثَّقة لسياسته وحكمته، سواء في التعامل مع شركة الزيت الأمريكية ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، أو مع قرارات الجامعة العربية، أو مع الدول الأخرى، إلى غير ذلك من سياسته الحكيمة؛ وهذا ما جعل معظم الدول تسارع إلى إقامة علاقات سياسية معه[٢]، هذا ولم تكن المشكلات

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة ١٢٢، ملف ٨/ ٤٩، عدة وثائق داخل الملف، عام ١٩٣٢م.

(٢) الجريسي؛ خالد بن عبدالرحمن، من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٤- ٣٢.

الداخلية أقل خطرًا من المشكلات الخارجية، بل كانت في بعض الأحيان أدهى وأمرّ، حتى إن بعضها كان بإمكانه أن يُودِيَ بمنجزات الملك عبدالعزيز وانتصاراته أدراج الرياح، ولكن سياسته الحكيمة قضت أن يتعامل مع هذه المشكلات بحكمة وروية؛ وهذا ما يدعونا إلى معرفة المزيد عن شخصية الملك عبدالعزيز، وذلك باستعراض نبذة يسيرة لما تميز به ﷺ من عبقرية وفراسة أثناء تصديه للمشاكل الداخلية التي واجهته.

ثانيًا: عبقريته في تأمين الاستقرار والإصلاح الداخلي:

يمكن القول بأن الملك عبدالعزيز قد استمد عبقريته من أمرين:

الأول: ما اكتسبه بالتلقي والتحصيل والتمرُّس؛ وهذا الشِّق يتسم بالدقة والتنظيم وثراء التجربة، والإجادة المتدرِّجة.

والثاني: هو القوة الفياضة المستشرية في المَلَكات والشعور؛ فقد كان من طبيعته الابتكار والإنشاء[(١)].

والدلائل على عبقرية الملك عبدالعزيز متكاثرة متضافرة؛ فبالإضافة إلى مواقفه على الصعيد الدولي المشار إليها آنفًا، فقد كانت لديه مواقف متميزة على الصعيد المحلي، كان من أهمها:

١ - توطين البدو:

لم يكن الملك عبدالعزيز من الذين يرتجلون الحلول في أعماله، لكنه كان يعمد إلى التفكير مليًّا قبل الشروع في أية خطوة، مستعينًا بالله على تصريف أموره؛ لذا فقد كان التوفيق حليفه في أهم مراحل حياته الخطيرة والدقيقة؛ ومن أبرز الأمور التي أمعن الفكر في تحقيقها - وهو يسير قُدمًا

---

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٧١٣.

في إنشاء مملكته -: توطين البدو، فقد أدرك بثاقب فكره وعقله أن حياة البداوة غير المستقرة تمثل عائقًا أساسًا يحول دون إنشاء الدولة التي يريدها، كما كان يعلم جيدًا أن هذا الصرح الذي يريده لن يكتمل إلا إذا واصل النضال على جبهتين في آن واحد:

الأولى: مواصلة العمل السياسي؛ حتى يستطيع الثبات في وجه المتغيرات العالمية التي تتصارع على حدوده.

والثانية: ضرورة القيام بعملية التغيير الاجتماعي، أو بالأحرى الإصلاح الاجتماعي؛ حتى يستطيع بذلك تحقيق الاستقرار الداخلي ثم التفرغ لبناء هذا الكيان، ففكر في قواعد انقلابية في مجتمعه حوَّلها بعد ذلك إلى قواعد عملية، منها استقرار البدو[1].

بدأ الملك عبدالعزيز هذا المشروع فعلًا في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، لكن التخطيط له سبق ذلك بكثير، حيث تأمَّل مليًّا - في مقتبل عمره - حال العشائر، وعرف مشكلات مجتمعهم، فوجد أن من المشكلات الرئيسة التي كانوا يعانون منها: الناحية الاقتصادية؛ لذلك فقد عمل على تخفيف وطأة الفقر عنهم بتوجيههم نحو الزراعة، ووقع اختياره على منطقة الأَرْطَاوِيَّة[2]

---

(١) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجاري، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص: ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) الأَرْطَاوِيَّة: نسبة إلى شجر الأَرْطَى، وتقع هذه المنطقة على الطريق بين الزُّلْفِي والكُوَيْت، ويحدها من الشمال الزُّلْفِي والمَجْمَعة، ومن الشرق الدَّهْناء، ومن الغرب الضُّوَيْحِي، وهو نُفُود رمال يقال لها: نفود مجزَّل، ومن الجنوب شعبا العُرْمة، وقد أسسها سعد بن مثيب من حرب، ثم أعطيت لفيصل الدويش وجماعته من مطير.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤.

لتكون بداية لهذا المشروع، فقام بتوزيع الأراضي من هذه المنطقة على فريق من أهل العشائر، وفي مُقدَّمهم مُطَير[١]، وانصرف الأعراب في بناء أول بلدة فيها[٢]، كما عمل على توطين أعداد كبيرة منهم في محلات متناثرة بنيت لهم في إقليم زراعي في شمال منطقة نجد، وفي مساكن مبسطة أضيفت إلى بعض القرى الصغيرة في المنطقة نفسها، وعرفت هذه المستوطنات الجديدة بالهِجَر[٣]، ويعد نجاح تنفيذ هذه الفكرة في نطاق ضيق قرر الملك التوسع فيها بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها، فأنشئت بالتدريج هِجَرٌ أخرى حتى بلغ عددها اثنتين وسبعين هِجْرَة على أرجح الأقوال، جميع سكانها من عَشْر قبائل أو أكثر، وأمكن تنظيم ٧٦,٣٠٠ رجلٍ منهم فيما بعد، بما يسمى جند التوحيد[٤].

لكن الملك عبدالعزيز واجه صعوبات أخرى بعد عملية التوطين الخاصة بالبدو؛ حيث وجد أنهم بدؤوا يهملون واجباتهم في الزراعة، منصرفين إلى

---

(١) مُطَيْر: مجموعة قبائل متحالفة، بعضها من قحطان، وبعضها من عدنان، تقيم في أماكن معلومة في العارض، والوَشْم، وسُدَير، وأما منازلها فهي من حدود الكويت والخليج العربي إلى قرب القصيم غربًا، وديار العُجْمان وبني خالد جنوبًا، وتنقسم في الوقت الحاضر إلى بطنين: علوة، وبرية.
الشريفي؛ إبراهيم جارالله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص: ٣١١٥ - ٣١١٩.

(٢) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٩٠.

(٣) الهِجَر: جمع هِجْرة، والمقصود بها هنا: الأماكن الغزيرة المياه، الكثيرة المراعي في أنحاء نجد كافة، والتي عيَّنها الملك عبدالعزيز لأهل البادية فهاجروا إليها.
الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص ٤٧٧.

(٤) الساعاتي؛ حسن، سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ، الجزء الثالث، ص: ٩٩٣.

الصلاة، معتكفين في المساجد، تاركين مهمة العناية بالفلاحة والزراعة للنساء!

فكيف يحوِّل الملك عبدالعزيز مفهومهم هذا إلى مفهوم يسوده التعاون، فيرسِّخ لديهم مبدأ العمل لأمور الدين والدنيا معًا؟

لقد أمعن الملك عبدالعزيز الفكر؛ فوجد أن الأمر وثيق الصلة بالمنحى الديني في المقام الأول؛ لذا فقد كان علماء الدين الحنيف هم الأقدر على تصحيح هذا المسار، وأصدر العلماء فتاوى مفادها أن كسب المادة لا يتنافى بحال مع التزام أحكام الشرع الشريف، بل العكس هو الصحيح؛ فإن الدين الإسلامي قد حث المسلم على العمل والسعي في طلب رزقه الحلال بكل السبل، والرسول ﷺ كان يعمل ويستعيذ بالله من الفقر؛ وكانت النتيجة أن أقلع المغالون عن مغالاتهم، وازدهرت حالة الهِجَرِ وتكاتف سكانها، واستهوت الحياة القروية أهل البادية؛ خاصة وأن الملك قد وفَّر لهم جميع سبل العيش الكريم، التي تمثلت فيما يأتي:

- 'استكثر من حفر الآبار؛ لاستيعاب البدو المجاورين لها، وحثهم على العمل بالزراعة.

- جعل لقبائل البادية سجلًا في ديوانه، وسهَّل لكل منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات.

- بثَّ الدعاة في أفراد القبائل؛ يعلِّمونهم الطاعة لله في اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه؛ وبذلك عمل على تهذيب سجاياهم بإرساء القيم الدينية في نفوسهم.

- أحكم رابطة القبيلة بشيوخها، واعتبر أفرادها جميعًا جُنْدًا له،

وزعماءها مسؤولين عن رعاية الأفراد.

- جَعَل القبيلة كلَّها متضامنة متكافلة في المسؤولية عن وقوع أي جريمة في هِجْرتهم أو في جوارها»[١].

ومما يزيد في إعجابنا ويؤكد عبقرية الملك عبدالعزيز في التنظيم الاجتماعي: أنه لم يعمل على إنشاء الهِجَرِ فحسب؛ بل عمل داخل هذه الهجر على التواؤم التام بين أفراد القبائل المختلفة، خاصة إذا علمنا أن كل قبيلةٍ أو كل فَخِذٍ لم يكن لهم في الغالب هِجْرة مستقلة بهم؛ بل إنه حدث في أغلب الهِجَر أن شاركت بعض أفخاذٍ من قبائلَ مختلفةٍ في سُكنَى الهجرة الواحدة والعيش فيها في إطار مجتمع محلي واحد، وكانت النتيجة أن ترسَّخ التضامن والتكافل الاجتماعي فيما بينهم.

لا شك في أن الملك رحمه الله قد تعلم ذلك من سيرة رسول الله ﷺ؛ حين قرر مبدأ التآخي بين المهاجرين والأنصار، وجعله أساسًا من الأسس العامة للأخلاق في الإسلام، وإذا كان الدين الإسلامي قد أكد على ضرورة استقرار المجتمع المسلم، فإن ذلك لا يتاح - واقعًا - إلا باستتباب الأمن واستقرار النظام، وهذا بدوره لن يتأتَّى إلا بتقويم الأفراد وإصلاحهم وإلزامهم بكمال السلوك وفضائل الأخلاق.

كان الملك عبدالعزيز مدركًا لذلك، كما كان يدرك أيضًا أن الإنسان إذا عاش في بيئة صالحة، فإنه سوف يكتسب منها - بطريق القدوة - ما يسودها من أخلاق وعادات وتقاليد وكافة أنواع السلوك السوي، وذلك بطريق المحاكاة والتقليد؛ حيث يكتسب الفرد تلقائيًّا أخلاق الجماعة التي

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٤٩ - ٤٥١.

ينتسب إليها وينخرط فيها؛ وبناءً على ذلك فقد شرع في التأكيد على ضرورة توافر الأمن والاستقرار في البلاد كي يتسنَّى له حماية تلك المكاسب الاجتماعية، وكانت وسيلته في ذلك ضبط السلوك الاجتماعي بأحكام الشريعة الإسلامية، فلم يعمد ابتداءً إلى سلطان القهر لفرض ذلك الأمن، لكنه جعل السيف مسلطًا على من يخالف تعاليم الشرع، ويَتَجَرَّأ على العبث بأمن البلاد[١]؛ وفي مثل هذا يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله:

"إن البلاد لا يُصلحها غير الأمن والسكون؛ لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة، وإني أحذِّر الجميع من نزغات الشيطان والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار؛ فإني لا أراعي في هذا الباب صغيرًا أو كبيرًا، ولْيَحْذَرْ كلُّ إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره"[٢].

والذي يحار فيه المرء هو: كيف تمكّن الملك عبدالعزيز من فهم هذا الجانب النفسيِّ من علم الاجتماع؟! ومتى تعلمه؟! وأين قرأه؟! وهو الذي ملأ وقته بالسعي جاهدًا لتوحيد بلاده!

لعل الإجابة عن ذلك، تكمن في حُسن توفيق الله له أولًا، ثُمَّ في توافر صفات في شخصيته ثانيًا، ساعدته على تحقيق ذلك، منها:

- تمسكه بالكتاب والسُّنَّة، وحرصه على إقامة شرائع الحق والعدل.

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٥٦.

(٢) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مجموعة من خطابات وكلمات ومذكرات وأحاديث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص: ٣٠٧.

- فهمه العميق للتاريخ.
- فهمه العميق لنفسية البادية وأعرافها وعاداتها.
- امتلاكه لكثير من فضائل الأخلاق الحميدة.

وما يجدر ذكره - في هذا المقام - أن الملك عبدالعزيز لم يكن يهدف من تأمين استقرار البدو إلى إضعاف الروح العسكرية لديهم، بل إلى تهذيبها وضبطها؛ حيث عمل على تقوية هذه الروح لديهم، شرط انضباطها بأحكام الشريعة الإسلامية، فقسَّم كل هِجْرة إلى ثلاث فئات:

الأولى: فئة ذات جاهزية عالية، تكون دومًا حاضرة لتلبية أمر الجهاد متى أصدره الإمام، وفي أي وقت يراه مناسبًا؛ فأفرادها بمثابة المرابطين، وكل فرد منهم يجب أن يكون مسلحًا، ولديه ناقة يمتطيها، بالإضافة إلى الذخيرة التي تلزمه.

الثانية: هي التي تُدْعى عندما يعلن الإمام أن الجهاد "مثنى"، ويكون كلٌّ من أفرادها مكلفًا بإحضار مجاهد آخر من رفاقه يردفه خلفه على جَمَلِه.

الثالثة: هي التي تلبي دعوة الجهاد عندما يعلن العلماء - بناء على اقتراح الإمام - النفيرَ العامَّ للدفاع عن الوطن، فيشترك فيه كل الذكور البالغين.

وقد أثبت النظام العسكري المشار إليه كِفَاية عالية في أثناء المعارك، والحروب التي خاضها الملك عبدالعزيز(١).

---

(١) الخريجي؛ عبدالله محمد، السياسة الاجتماعية للملك عبدالعزيز في توطين البدو، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ص: ٣٣٠ - ٣٣١.

هذا؛ وقد كان لِمَا أقدَمَ عليه الملك عبدالعزيز من تحضير العشائر وتوطينهم نتائجُ وآثارٌ واضحة في الأوضاع الاجتماعية والدينية والاقتصادية للسكان؛ ولتعدُّدِها لا يتسع المقام هنا لبسطها، خصوصًا وأنها قد دُرست دراسة وافية من قِبَل بعض الباحثين(١)، وقد يكون من أهم تلك النتائج: أن هذا المشروع قد أسهم إسهامًا فاعلًا في تلاشي النزاعات القبلية التي كانت تسود المجتمع حينذاك، بل إن هذه التجربة كانت ذات أثر واضح في تماسك المجتمع السعودي بدوه وحضره، حيث أضحَوْا جميعًا وحدة متكاملة، وجماعة متماسكة، فتحقق بذلك للملك إنجازٌ غير مسبوق في حكم البلاد.

٢ - الأخذ بأساليب التمدُّن الحضاري:

هذا منحى آخر يُظهر بوضوح مدى عبقرية الملك عبدالعزيز وقوة شخصيته، وامتلاكه الحجج الدامغة المقنعة لشعبه، لقد رأى ﷺ ضرورة إخراج بلاده من عزلتها، وأن ذلك لن يتأتى إلا بالانفتاح المنضبط على منجزات الحضارات الأخرى، ويشمل هذا الانفتاح الناحية التقنية، وبخاصة منها ما يسهم في ربط أرجاء بلاده المترامية الأطراف، وييسر لأبنائها التواصل فيما بينهم؛ وعليه فقد وافق الملك على اعتماد تقنية التلفون والتلغراف واللاسلكي في بلاده، وذلك بالرغم من المعارضة القوية التي واجهها من قِبَلِ بعض العلماء والإخوان في ذلك الوقت، لكن الملك عبدالعزيز الذي اتخذ الدين أساسًا لسياسته يعلم بأن مقاصد الشريعة لا تمنع قطعًا من هذا الانفتاح، بل إنها تدعو للإفادة مما أودعه الله هذه الأرض،

---

(١) انظر مثلًا كتاب: توطين البدو في عهد الملك عبدالعزيز، تأليف حسن عبدالقادر صالح، وكتاب: الهِجَر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز، تأليف موضي بنت منصور بن عبدالعزيز.

وسخَّره لبني آدم عليه السلام؛ ومن ثم فهو يدرك تمامًا مفهوم التطور وعظم النفع في حسن استخدام الوقت والاستفادة منه[١]؛ لذلك فلا عجب إذا ما رأيناه يسعى جاهدًا إلى ضرورة بث الوعي بين أفراد شعبه، كما يسعى في الوقت نفسه إلى الأخذ بعلوم التقنية الحديثة في إطار المحافظة على ما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي، إضافة إلى المحافظة على أصالة الهوية العربية الإسلامية، وهذا المفهوم قد تجلى واضحًا في الخطاب الذي ألقاه في حفل الاستقبال الذي أقيم في مبنى وكالة المالية في الطائف في ١٨ من شهر المحرم ١٣٥١هـ، الموافق ٢٤ من مايو ١٩٣٢م، حيث يقول:

"وأما الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام؛ فنحن نأخذها، ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، أما المُنافي منها للإسلام فإننا ننبذه، ونسعى جهدنا في مقاومته؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام، ولا عِزَّ لنا إلا بالتمسُّك به"[٢].

وها هو رحمه الله يؤكد هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في المأدبة الكبرى التي أقيمت في القصر العالي في مِنَى في ١٠ من ذي الحجة عام ١٣٥٤هـ، الموافق ٥ من مارس ١٩٣٦م، حيث يقول:

"فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوِّينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمنا، فإذا أردنا التقدم يجب أن نتبع الإسلام؛ وإلا كان الشرُّ كلُّ الشرِّ في اتباع غيره"[٣].

---

(١) الدجاني؛ زاهية، عظماء من التاريخ، الملك عبدالعزيز آل سعود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص: ٢٢.
(٢) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٠.
(٣) المرجع السابق، ص: ٩٦.

ومما يبين بوضوح جدوى طريقة الملك في إقناع المجادلين، التي تعتمد ابتداءً على النقاش والإقناع، ومن ثم إقرار المصلحة العليا للبلاد: ما ذُكِرَ أنه أنكر عليه بعض المحافظين استماعه للراديو، واعتماد تقنية اللاسلكي والتلفون؛ لأنهم ظنوا أن في هاتين الوسيلتين شياطين تنقل الحديث!! فسألهم: هل الشيطان يطيق كلامَ الله؟ فأجابوا بالنفي، قال: اسمعوا، فإن الراديو يذاع منه القرآن الكريم بصوت عذب رخيم تعدّ حروفه، وأمر أحد أتباعه بأن يُسمع المعترضين في التلفون بعض آي الذكر الحكيم، فدهشوا وأيقنوا أنه لا شيطان ولا سحر، ولكن ذلك سر العلم، في تقدم التقنية الحديثة[١].

ولما كان ثمة بعض الغلاة ممن لا يتخذ سبيلًا إلّا رأيه، ولا يستحسن إلا ما رآه حسنًا، وجّه إليهم الملك عبدالعزيز قوله:

"إخواني المشايخ، أنتم الآن فوق رأسي، تماسكوا بعضكم ببعض، لا تدعوني أهز رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم! وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرة ثانية؛ مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد، بعد أن ظهرت فائدتهما لي ولبلادي: اللاسلكي والسيارات، وما من دليل في كتاب أو سُنَّة يمنع من استعمالهما"[٢].

هذه القصة وأمثالها ترينا جانبًا مُهِمًّا من جوانب العظمة في شخصية الملك عبدالعزيز، كما تُظْهِرُ لنا بعضًا من معاناته كثيرًا من الصعوبات في سبيل ما نشده من إصلاح؛ وهذه سُنَّة جرت في كل محاولة تجديد في مفاهيم استقرت في مجتمع ما، كما تُظهر هذه الحادثة بوضوح أخلاقيات

---

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص:٧١٣ - ٧١٤.
(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٤٥.

التحاور عند الملك عبدالعزيز، ومدى تقبله واحترامه لرأي ذوي العلم؛ فلقد كان من اليسير عليه أن يقابل المتدخلين منهم فيما لا يعنيهم بالإعراض عنهم، ثم يتابع سيره فيما يعتقد صلاحه لبلاده، لكنه بالحوار أزال ما عَلِقَ في أذهان فريق منهم من أن الآلات الحديثة ضرب من السحر أو عبث من الشيطان(١)، ومنهم من رفضها بداعي أنها من صنع الإفرنج، وحينئذ طلب الملك منهم أن يقوموا بإتلاف وإحراق بنادقهم لأنها أيضًا من صنع الإفرنج، وفي هذه اللحظات سكت المعترضون(٢)، ومضى هو في سبيله يبني ويجدد ويصلح.

إن ما ذُكر آنفًا جزء يسير مما يشهد بعبقرية ذلك الملك؛ فحياته ﵀ مملوءة بالعبر في حُسن معالجته الأمور التي كانت تَعْرِض له في مسيرة بنائه لكيان دولته، على الصعيدين الداخلي والخارجي، وكانت الحكمة وبُعْدُ النظر حليفين له، لم يفارقاه في جميع مواقفه.



(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٤٣.
(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٦٢ - ٦٣.

الفصل الثاني

شخصية الملك عبدالعزيز وأخلاقه

- ❑ المبحث الأول: صفاته الخِلْقِيَّة.
- ❑ المبحث الثاني: شخصيته وأخلاقه.

المبحث الأول

صفاته الخِلْقِيَّة

قد يكون الوصف الأكثر دقة لصفات الملك عبدالعزيز الخِلْقِيَّة ما ذكره أحمد عبدالغفور عطار[١] في كتابه "صقر الجزيرة"؛ إذ يقول:

كان الملك عبدالعزيز أَرْوَعَ[٢]، طويل القامة، ضخم الجُثَّة، سامق البنيان مكينَهُ، مرفوع الذُّرى، يَفْرَعُ رعاياه بطوله المبين الذي يبلغ ستة أقدام وأربع بُوصات[٣]، فهو من أولئك العرب الممتازين بقوة التركيب، ومتانة البناء، وطول القامة، وضخامة الجسم، وله رأس كبير يناسب هذا البناء الشامخ، وجبين متسع ساطع، وحاجبان أسودان يفصل بينهما بَلَجٌ[٤]

---

(١) أحمد عبدالغفور عطار، (١٣٣٧ - ١٤١١هـ = ١٩١٩ - ١٩٩١م)، مفكر، باحث، أديب إسلامي كبير، له مؤلفات عديدة، ولد في مكة المكرمة، أسس جريدة عكاظ عام ١٣٧٩هـ، وتولى رئاسة تحريرها مرتين، نال جائزة الدولة في الأدب ١٤٠٥هـ، وأهدى مكتبته إلى مكتبة الحرم المكي الشريف منذ عام ١٤٠٨هـ. له مؤلفات عديدة.
يوسف؛ محمد خير رمضان، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، المجلد الأول، ص: ٤١ - ٤٤.

(٢) الأَرْوَع والرَّائع: مَن يُعجبك بحسنه، وجهارة منظره، أو بشجاعته؛ والجمع: أرواع ورُوعٌ.
الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الجزء الثالث، ص: ٣١، مادة (ر و ع).

(٣) أي: ما يقارب مترًا وثلاثة وتسعين سنتمترًا؛ إذ إن مقدار القدم = ٣٠,٤٨سم، ومقدار البوصة = ٢,٥٤سم.

(٤) البَلَج والبُلْجة: نقاوة ما بين الحاجبين. المرجع السابق، الجزء الأول، ص: ١٧٨، مادة: (ب ل ج).

واضح، تحتهما عينان صافيتان متألِّقتان دَعْجَاوانِ[١] تُشِعَّان بالنور إذا كان راضيًا، وتتقدان إذا كان غاضبًا، أشمّ الأنف، وتحته شارب يغطي وَفْضَتَه[٢]، شَتِيتَ الثَّغْرِ مُفْتَرَّه، متهلِّل الوجه حَسَنَهُ، تزينه لحية خفيفة، عريض المنكبين، بعيد ما بين الجنبين، شَثْل الكَفَّيْن[٣]، جَليل المُشَاشِ[٤]، كثير التطيُّب، نظيف الملابس، يميل إلى البساطة في كل حياته، كثير الصمت، فإذا تكلم أطنب، ودل على علم واسع[٥].

ومن فضل الله عليه: أن وهبه مثل هذه الصفات التي وضعت له الهيبة في النفوس، حتى إذا قام المرء حِياله تضاءل نفسه أمام جسمه الصلب الوثيق الفارع، وليس أدل على ضخامة الجسم ومَنَعَتِهِ وقوة بنيانه، من شدةِ تحمُّله لآلام الجراح عند إصابته في المعارك التي خاضها؛ ومن ذلك ما يأتي:

أ - ما حدث في وقعة كنزان[٦] بينه وبين قبيلة العُجْمان عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م؛ فقد فاجأه الأعداء ليلًا، وانهزم جنده فرجع معهم، وفي أثناء سيره لحق به اثنان من خدم أخيه سعد بن عبدالرحمن كانا مرافقين له، فسأل عن

---

(١) أي: سوداوان، والدَّعَج والدُّعْجة: سواد العين. الفيروزآبادي؛ مجدالدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٨٧، مادة: (د ع ج).

(٢) الوَفْضة: النُّقْرة بين الشاربين تحت الأنف. المرجع السابق، الجزء الثاني، ص: ٣٤٥، مادة: (و ف ض).

(٣) أي: غليظ أصابع الكفين. المرجع السابق، الجزء الثالث، ص: ٣٨٧، مادة (ش ث ل).

(٤) المُشَاش: العظام؛ جمع مُشَاشة. المرجع السابق؛ الجزء الثاني، ص: ٢٨٦، مادة (م ش ش).

(٥) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٨٦.

(٦) كنزان: جبل يقع على مقربة من مدينة الهُفُوف.
الجاسر؛ حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٠٥٥.

أخيه، فقيل: قُتِلَ!! فقال: أنا أخو نُورة![1] سعد لم يقتل! أصيب وتركتموه وانهزمتم، وأنا يجب أن أرجع له. فقالوا: إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه وقتلوه، ونحن ننظر إليه. فلم يأبه الملك لقولهم، وعاد حيث يوجد أخوه، ولما عرف العُجْمان شخصية سعد، قالوا: إن عبدالعزيز لن يتركه وسوف يعود، فتركوه ملقى على الأرض، وكمنوا حواليه ينتظرون قدوم الملك عبدالعزيز، فلما رأى الملك بياض أخيه سعد في الليل، نزل عن فرسه، وحمله وصار يُقبِّله، فأطلقوا النار عليه، وأصيب الملك برصاصة فتحت جنبه من جهة الكُلْيَة، فأخذ غُتْرته، وربط بها الجرح، ولم يعلم الخَيَّالة المرافقون له بإصابته إلا في الصباح عندما عاينوا الدم، فسألوه، فقال: «مخش[2] بسيط في فخذي في الجلد»، لكن الجرح لم يكن كذلك؛ بل كان فتحة في جنبه، يقال: إن طولها قد بلغ خمسة عشر سنتيمترًا، وعندما وصل لنخل القُصَيْبي في ضواحي الأحساء، بعث خَيَّالًا ليأتي له بملابس وقماش شاش، وربط الشاش على الإصابة، ولم يكن ثمة أطباء، وغيَّر ملابسه وركب فرسه ودخل الأحساء، وجلس في القصر مباشرة، ويذكر أنه خطب في تلك الليلة امرأة من الأحساء وتزوج بها؛ ولم يكن ذلك رغبة منه في الزواج، ولكن لإيهام الجميع أن إصابته خفيفة[3].

---

(١) انظر حديثنا عن علاقته بأخته نوره، ص: ١٧٥-١٧٦.

(٢) لفظة عامية، وفصيحها: خَمْش، بتقديم الخاء على الميم، فلعلَّه من باب القلب المكاني بتقديم عين الكلمة على فائها؛ وقد ورد في "تاج العروس": خَمَشَ وجهه يَخْمِشُه ويَخْمُشُه - من حدِّ ضَرَبَ ونَصَرَ -: خَدَشه في وجهه، وقد يستعمل في سائر الجسد. الزبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء السابع، ص: ١٩٣.

(٣) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢٣ - ٩٢٤. والريحاني؛ أمين، تاريخ نجد الحديث، مرجع سابق، ص: ٢٢٥ - ٢٢٦.

ب - ومن ذلك أيضًا أنه كان راكبًا جَمَلَه في بعض غزواته، فلكزه بعصاه فركض الجمل، ووقع الملك على الأرض، فوَطِئَتْهُ جِمالُ رجاله، ولكنه استطاع أن يركب، ويحارب في اليوم التالي[١]!!

ج - ما يرويه الأمير طلال بن عبدالعزيز؛ إذ يقول: إنه أصيب ذات مرة في فخذه برصاصتين غير نافذتين، فلم يكترث بهما والدي ﷺ، غير أنه بعد مضيٍّ سنين على ذلك الحادث - وكان قد نسيهما - شعر بألم، وحين أجرى الطبيب الكشف عليه، وجد أن الرصاصتين هما سبب ألمه، وقرر إجراء العملية لاستخراجهما، فجاء في جملة ما جاء به لهذا الغرض بالمخدِّر.

فقال الملك عبدالعزيز: «ما هذا؟».

قال الطبيب: البنج.

قال الملك عبدالعزيز: «ولماذا؟».

قال الطبيب: للتسكين؛ حتى لا تتألم.

قال الملك عبدالعزيز: «وبعد البنج، ماذا تفعل؟».

قال الطبيب: أشقُّ الجلد بالمِبضَع، وأُخرِج الرصاصتين، ثم أخيط الجلد.

فأخذ منه الملك عبدالعزيز المبضع، وشق موضع الرصاص وأخرج الرصاصتين، ثم نظر إلى الطبيب قائلًا: «تستطيع الآن خياطة الجرح»[٢]!!.

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٩٤ - ٦٩٥.

(٢) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٥٧ - ١٥٩.

والسبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبدالعزيز، مطابع الحرس الوطني، (د.ت)، المجلد الثاني، ص: ٦٩.

د - ومما يدل على شدة تحمله البالغة:

أنه في يوم من الأيام كان جالسًا، وكان عنده فَيْصَل الدَّوِيش[(١)]، وفَيْصَل بن حَشْر[(٢)]، وهَبَّاش بن هَرْشَان[(٣)]، فتسلَّق أحد أفراد العُجْمان نخلة، وأطلق النار عليه، فلما أحسوا بوقع الرصاصة بينهم، قال الدويش: أخو جوزا ! هل أنت سالم يا عبدالعزيز؟ قال: «أنا سالم! ولكن هل أنتم سالمون؟»، ولم يتزحزح عن محلِّه،وبعد لحظة قال للجند المحيطين به: ابتعدوا؛ فإني أريد أن أَخْتَصِر[(٤)] بالجماعة، فلما ابتعد الجند، أَسَرَّ الملك

---

(١) فيصل بن سلطان بن فيصل بن نايف الدَّوِيش (١٢٩٩ - ١٣٤٩هـ= ١٨٨٢ - ١٩٣٠م) من شيوخ "مُطَيْر"، صحب الملك عبدالعزيز في صباه، وخالفه سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ولكنه هُزِم سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م عند ماء يقال له: السبلة بقرب الزلفي، ثم لجأ إلى بادية العراق ومنها إلى الكويت، ثمَّ جيء به على متن طائرة سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م وأرسل إلى سجن "الأحساء"، ومات بعد سبعة شهور من حبسه.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٦٦.

(٢) فيصل بن حشر؛ من قَحْطان، كان من مشاهير الرماة بنجد، توفي حوالي عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٧١.

(٣) هَبَّاش أو هَبَّاس بن هَرْشَان، من قبيلة شَمَّر، ومن عشيرة عَبْدة التي ينتسب إليها ابن رَشِيد، ويعد من خواص عبدالعزيز بن متعب بن رَشِيد، بل يُعَدّ ربيب قصره، ومن أبرز فرسان عصره، وكان عبدالعزيز بن متعب يعتمد عليه في الملمات الحربية الخطيرة، ومما يجدر ذكره أن هَبَّاشًا هذا قد تحول إلى حارس أمين للملك عبدالعزيز في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، في وقعة جراب المشهورة، وهذا يؤكد بالدليل القاطع أن الملك عبدالعزيز كانت لديه المقدرة الكافية على تملك قلوب خصومه وتحويلهم إلى أعظم المخلصين له.
المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الجزء الأول، ص: ١٣٣ - ١٤٢.

(٤) كلمة دارجة في نجد، تعني: أختلي بهم، أو أنفرد بمجالستهم.

إلى من حوله قائلًا: الرصاصة أصابتني في فخذي، ولكني - إن شاء الله - سليم، فأنا سأستند عليكم، بحجة أن رجلي تخدَّرت من الجلوس، إلى أن أدخل الخيمة، وأنت يا هَبَّاش بن هَرْشَان، احمل المفرشة؛ لئلا يرى الجند الدم فيها، ودخل الخيمة، وغيَّر ملابسه وكانت الرصاصة مخترقة الفخذ، فحشا موضع الإصابة بالصَّبِر، وحزمها وغيَّر ملابسه، وخرج على الجند، ومشى على رجليه، وشفي من إصابته، ولم يعلم أحد من الجند بأنه مصاب(١).

ذلك كلُّه دالٌّ - ولا ريب - على أن الملك عبدالعزيز كان يتمتع ببنيةٍ ضَخْمة قويَّة متماسكة مكَّنته من تحمُّل تلك الجراحات بجَلَد عجيب ومصابرة يندر مثيلها؛ فلو كان جسمه عاديًّا، لَمَا أطاق هذه الشدائد كلَّها.



(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢٤.

المبحث الثاني

شخصيته وأخلاقه

الشخصية: هي مجموعة الأخلاق والصفات التي تميِّز فردًا عن غيره، أو: هي العلامات الفارقة بين إنسان وآخر؛ سواء كانت في الخِلْقة أو الخُلُق[(١)].

والخُلُق: صفة مستقرة في النفس، فِطْرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك الظاهري؛ محمودة أو مذمومة؛ فالخُلُق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق، وينهى عن مذمومها[(٢)].

وبناءً على ذلك، فإنَّ تناول أي شخصية بالدراسة والتحليل، يوجب ابتداءً التعرُّف على نشأة تلك الشخصية، ودراسة العوامل التي أثرت في نموها وفي مراحل تكوينها، منذ الولادة حتى مرحلة النضوج العقلي والجسمي، وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون: إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى، كانت مهيأة لقبول ما يَرِد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»**[(٣)]، وبقدر ما سبق إليها من

---

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٨٣.

(٢) الميداني؛ عبدالرحمن حسن حَبَنَّكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص: ١٠ - ١١.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (١٣٥٨)، وأطرافه فيه، ومسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٦٥٨).

أحد الخُلقين - أي: الخير والشر - تبعد به عن الآخر[١].

وعند دراستنا لشخصية الملك عبدالعزيز؛ فإننا نجد أنها شخصية بيِّنة المعالم، متميزة في جانب الأخلاق؛ حيث إنها نابعة من الشخصية الإسلامية القائمة في جوهرها على أن الإيمان مَنُوطٌ بالقلب، طمأنينةً وعقيدة، قولًا وعملًا، وأن ما قدَّره الله كائن لا محالة، وأن تحقيق المطالب مرتبطٌ بقَدْرٍ كبيرٍ بمدى سعي المرء لتحصيلها.

إن ذلك المفهوم الإسلامي هو الذي صبغ شخصية الملك عبدالعزيز، هذه الشخصية التي أكَّدت واقعية المفاهيم الإسلامية في العصر الحديث؛ ولا عجب في ذلك، فقد تجلت فيه جملة من الصفات الحميدة والخِلَال الفاضلة التي يمكن بيان بعضها فيما يلي:

١- طاعته وعبادته:

عُرِفَ عن الملك عبدالعزيز الصلاح، وكثرة العبادة، ودعوة الناس إلى الاهتمام بالعقيدة الصحيحة والعمل بها[٢].

وتؤكد المصادر التاريخية أن الملك عبدالعزيز قد أقام أركان الإسلام اتباعًا لأمر الله، وتُعَدُّ أعماله اليومية دليلًا على ذلك؛ فقد كان يستيقظ من نومه كل يوم قُبيل صلاة الفجر، فيبدأ عمله بالتوجه إلى الله، وتلاوة القرآن،

---

(١) ابن خلدون؛ عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، لتاريخه المسمى بكتاب العِبَر، وديوان المبتدأ والخَبَر، في أيام العَرَبِ والعَجَمِ والبَرْبَر، ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص: ١٢٣.

(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٤٩.

وإقامة الصلاة، وكان له مع ذلك خلوات مع ربه في دُجَى الليل ووقت السَّحَر والناس نيام[١]؛ ويذكر عنه أن لسانه كان رطبًا دائمًا بذكر الله في جميع الأوقات، وكان يكثر من الاستشهاد في معظم مجالسه بآيات الذكر الحكيم، كما كان لا يكتب خطابًا لأحد من الناس إلا بدأه بذكر الله وشكره على جليل نعمه[٢]، ولعل هذا الخضوع لله تعالى والاعتماد عليه كان هو السر في عظمته وتوفيقه، فمن كان مع الله كان الله معه، وفي صدد ذلك يقول أحد الملازمين له في حروبه: كنت في إحدى الحروب أتفقَّد الخيل نصف الليل، فإذا بي أسمع صوت عويل صادر من خيمة "أبو تُرْكِي" (الملك عبدالعزيز)، وكنت حاملًا سلاحي، فتوجهت نحو الخيمة، فوجدت بَوَّابَها إبراهيم الحميدي واقفًا عند مدخلها، فسألته: ما الخبر؟ قال: لقد سلم أربع تسليمات، ثم وقف وسط الخيمة يتضرَّع إلى الله ويبكي كما تراه، فنظرتُ داخل الخيمة فرأيته كما وصف؛ واقفًا رافعًا أكف الضراعة إلى الله يسأله من فضله، ويجهش إلى ربه بالبكاء، والناس نيام[٣].

هذه الرواية تدل على شدة خشيته لله تعالى، وقوة إيمانه به سبحانه، وأيضًا فقد كان يرتجف خوفًا من الله - تعالى - حين كان يقال له: "خَفِ الله يا عبدالعزيز".

هذا السلوك الإيماني من جانب الملك عبدالعزيز كان له وقع مؤثر في نفوس كل من عايشوه، وفي هذا الصدد يروي لنا الأمير عبدالله بن فيصل

---

(١) السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة، مطابع الحرس الوطني، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المجلد الأول، ص: ٧٢، ١٧٦.

(٢) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٠.

(٣) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد؛ من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٢٥.

الفَرْحان: أنَّ رجلًا من أهل المنطقة الشرقية قد أثقل كاهلَهُ دَيْنٌ كبير، فجاء قاصدًا الملك عبدالعزيز يطلب منه، وبعد أن صلى العشاء ظل في المسجد منتظرًا انتهاء الملك من صلاته، وكان الملك قد رآه، وبينما هو كذلك سمع همهمة الملك وهو يطلب من ربه في خشوع، فما كان من الرجل إلا أن قام وانصرف، وسأل عنه الملك بعد انقضاء صلاته فلم يجده، وبعد البحث عنه ويسؤاله، أجاب بأنه قد جاء إلى الملك ليدفع عنه ديونه، وعندما رآه يطلب من ربه استحيا، وانصرف يطلب من ربه مقتديًا بالملك عبدالعزيز[١].

هذه الرواية تُظْهِرُ بوضوح أن سلوك الملك عبدالعزيز قد بات نموذجًا حيًّا يُحتذى به، وأن هذا لم ينتج من فراغ، بل لكون الملك قد اطَّلَعَ على مختلف علوم الدين؛ ويخاصَّة التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، بجانب تلاوته المستمرة للقرآن الكريم، كذلك: فإن الدروس والمجالس العلمية اليومية التي كان يعقدها الملك عبدالعزيز لم يقتصر فيها على نفسه، بل كان يحضرها الكثيرون، وكان درسه اليومي منارة للعلم وسبيلًا لتقوية الجانب المعرفي في إطار البناء السياسي للدولة السعودية التي احتضنت مبادئ الإسلام في نسيجها، وسلوكها، ومنطلقاتها[٢].

إن ثقته بالله عزَّ وجلَّ، والتصديق الكامل بآياته جعلته ﷺ يفني معظم أوقاته في الدعوة إلى الله، وحَضِّ الناس على إخلاص العبادة له؛ وقد حمله

(١) السبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٢٩١.

(٢) السِّماري؛ فهد بن عبدالله، مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ، ص: ١٠ - ١١.
والعمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، دراسة تاريخية وثائقية، مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٨٢.

ذلك على اتباع أوامر الله، وتطبيق أحكامه[١]، وهذا واضح، ليس في أقوال الملك فحسب، بل في أفعاله أيضًا؛ وفي ذلك يُروى أن أحد أبنائه الصغار شوهد يبكي في أحد الأيام، وعندما سئل عن سبب بكائه، أجاب بأن أباه قد وضع أخاه في حصن المَصْمَك - أي: السجن - لأنه لم يُصلِّ الفجر في جماعة! هذا هو الملك عبدالعزيز، لم تأخذه الرأفة بأحد أبنائه الصغار، حين وجد منه تقصيرًا في حقِّ ربه، ولم يكن تعامله هذا مع أبنائه فحسب، بل كان كذلك مع عامة الشعب[٢].

وكان من دأب الملك أن يحتكم إلى الشرع في كلِّ ما يتصل بأمور الدين؛ حتى إنه قد استفتى العلماء في مسألة التلغراف والتلفون واللاسلكي؛ إضافة إلى ذلك، فقد طلب الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية في أمر المِحْمَل المصري.

هذه شواهد تدل بمجملها - دلالة واضحة وصريحة - على شدة تمسك الملك عبدالعزيز بالدين الإسلامي، وخشيته لله في أفعاله وأقواله؛ أضف إلى ذلك حرصه التام على أداء فريضة الحج، وقيادة الحجيج في كل عام منذ أن ضُمَّتِ الحجاز إلى المملكة العربية السعودية، وحتى وفاته - يرحمه الله - ولم يتخلف عن ذلك إلا في سنوات محدودة جِدًّا؛ مثل عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م حين لم يحج توفيرًا للمصاريف لتوزيعها على الفقراء والمساكين،

---

(١) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٦٦.

(٢) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣.
والسبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٣٠٥.

كما لم يحج في أواخر عمره حين أصبح عاجزًا عن القيام بذلك؛ بسبب ضعف صحته[١].

لقد جعل الملك عبدالعزيز الدِّين هدفًا أسمى لحياته؛ فكان دأبه أنه كلما وسَّع ورسَّخ مملكته، عظمت خدمته للإسلام بما كان يقوم به من أعمال جليلة، وقد منحته معتقداته الدينية قوة في مختلف الأحوال، ومع ذلك: فإن تعاظُمَ سلطانه واتساعَ دولته لم يجعلْ منه مختالًا فخورًا بنفسه؛ فقد عرفَهُ الناسُ إنسانًا متواضعًا مؤمنًا بأنَّ كل ما أنجزه كان بتوفيق الله وحده[٢]، وكان دائمًا يقول: "لست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام، وإنما اتكالي على الله، ثم على سواعدنا يتكئ الآخرون، ويستندون إن شاء الله"[٣].

لقد علم الملك عبدالعزيز ذلك كلَّه؛ بما نشأ عليه من ثقافة دينية؛ ومن ثَمَّ فإننا نراه قد تحلَّى بمكارم الأخلاق، وعظيم الشِّيَم والسجايا، رحمه الله بما يرحم به عباده الأبرار.

٢- تواضعه:

التواضع هو: خَفْض الجَنَاح، ولين الجانب، وقبول الحق ممن كان[٤].

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٨٤.

(٢) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ص: ٣١٤.

(٣) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٥.

(٤) ابن القيم؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، الجزء الثالث، ص: ١١٣ - ١١٤.

وهو خُلُقٌ كريم يستثير الإعجاب والتقدير، وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالتحلِّي به فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١)، ونهاه عن نقيضه كما قال على لسان لقمان الحكيم في وصيته لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٣).

والمتأمل في سيرة الملك عبدالعزيز يجد من أقواله وأفعاله ما يؤكد أن التواضع كان سمة بارزة من سماته الخُلُقية الأصيلة التي لم تُفقِده إياها السلطةُ ولا جاه المُلْك.

وهذا شاهد من كلامه رحمه الله إذ يقول: "لستُ ممن يفخرون بألقاب المُلك ولا بأُبَّهته، ولستُ ممن يُولَعون بالألقاب ويركضون وراءها؛ وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشِّرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأَحَبُّ الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل، بأننا نلنا فخرًا يزيد عن فخر المُلك وأبهته. أجل، نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة"(٤).

وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله يرى نفسه فردًا عاديًا؛ فكان من عادته أن يقف لزائريه مبالغة في احترامهم وتكريمهم(٥)، كما كان حريصًا رحمه الله على

(١) سورة الشُّعَرَاء، الآية: ٢١٥.
(٢) سورة لقمَان، الآية: ١٨.
(٣) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٥٨٨).
(٤) مختارات من الخطب الملكية؛ مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٠.
(٥) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤١٥.

إنزال زائريه منازلهم من التكريم والحفاوة، وكان يبدأ حديثه معهم بما يتطلبه الموقف من ترحيب وتبسُّط معهم في الأحاديث الخاصة والعامة.

كما كان ﷺ مع رجاله متواضعًا جد التواضع؛ يعمل عملهم ويعينهم، لكنه كان - في الوقت نفسه - أمام أعدائه مُدِلًّا بشجاعته ذا خيلاء وفخر؛ يريهم أنه لن يخاف جموعهم، وهذا ما تقتضيه مواقف العزة في الحروب.

ومما يدل على عظيم تواضعه: أنه كان يكره أن يعدِّد أحدٌ مآثرَه، أو يحاول مدحه بكلمات الإطراء والإعجاب والهتاف باسمه[١]، ولطالما وقف الشعراء بين يديه منشدين الشعر في مدحه، فكان يصغي إلى ما هو مقبول ومعقول، أما ما زاد عن ذلك؛ فتراه يتململ في مجلسه، ولا يصغي إليه:

يذكر فؤاد شاكر[٢] أنه أنشد الملك عبدالعزيز ذات يوم قائلًا:

إِنْهَضْ إِلَى الْبَيْتِ وارْفَعْ فَوْقَهُ الْعَلَمَا
واسْأَلْ هُنَالِكَ عَمَّنْ أَمَّنَ الْحَرَمَا؟!

فقاطعه الملك وأجابه على الفور: إنه الله سبحانه وتعالى[٣].

---

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٩٢-٦٩٤.

(٢) فؤاد بن إسماعيل شاكر (١٣٢٣ - ١٣٩٢هـ = ١٩٠٥ - ١٩٧٣م)، صحفي، له نظم كثير، مولده ووفاته بمكة، تعلم بها وبالقاهرة، وأصدر جريدة "الحرم" بالقاهرة، ودعي إلى مكة، فتولى تحرير "أم القرى"، ثم أصدر جريدة "أخبار العالم الإسلامي"، وعُيِّن في المراسم الملكية، له عدة مؤلفات؛ منها: دليل المملكة العربية السعودية.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) السِّماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ص: ٤٨.

وفي إحدى زيارات الملك لبلدة الخَرْج في ٧ من ذي الحجة عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، دخل عليه شاعر من أهل نَجْد، وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها، فلما شرع بمطلعها قائلًا: «أَنْتَ آمَالُنَا وَفِيكَ الرَّجَاءُ»، صاح الملك: تخسأ، ثم التفت إلى الشيخ حمد الجاسر، وقد كان حاضرًا في مجلسه، وقال له: "خذه علِّمه التوحيد يا ابن جاسر"[1].

وبالنظر إلى الموقفين السابقين نلحظ ما يلي:

في **الموقف الثاني** نجد أن في رد الملك عبدالعزيز السريع على من مدحه بهذه الكلمات دليلًا على خشيته لربه وخوفه منه، وهذا ما دفعه إلى معرفة قدر نفسه - برغم ملكه وسلطانه - فرفض المدح بهذه الكلمات التي أحسَّ بأنها لا تقال إلا لملك الملوك سبحانه، وأسرع إلى زجر القائل؛ إذ أحسَّ في كلامه المبالغة والإفراط في مدحه؛ حيث جعله موضع الرجاء والأمل، والمسلم الحق لا يكون أمله ولا رجاؤه إلا بالله سبحانه، وأمر بمعالجة الخلل بالتوجيه والتعليم.

أما في **الموقف الأول** فنراه يستنكر قول الشاعر: «وَاسْأَلْ هُنَالِكَ عَمَّنْ أَمَّنَ الحَرَمَا»، ويقاطعه على الفور بقوله: إنه الله سبحانه وتعالى؛ وذلك لعلمه يقينًا بأن الله سبحانه هو المتفضل علينا بنعمة الأمن في حَرَمِه المبارك؛ إذ يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[2].

ومن الشواهد التي تدل على تواضع الملك عبدالعزيز أيضًا: ما يحدثنا به فؤاد شاكر قائلًا:

---

(١) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٤٣.

(٢) سورة العَنكبوت، الآية: ٦٧.

لقد شهدت الملك عبدالعزيز أشد ما يكون غضبًا وثورة وهياجًا ذات صباح، والمَلِك قليل الغضب، إلا فيما يتصل بأمور الدين؛ حيث لا تأخذه فيه لومة لائم، فلقد دخلت على جلالته أستأذنه في دخول هيئة عليا من هيئات بعثات الحج الرسمية، وحين دخلت بهم على جلالته، وهو يتصدر مجلسه وأنا أتقدمهم، فما راعني إلا أني لحظت حركة ثورةٍ عارمة في وجه جلالته، وما أن التفتُّ إلى ورائي حتى رأيت البعثة ورئيسها يحنون رؤوسَهم وقاماتِهم وهاماتِهم إلى ما يشبه الركوع، فإذا بجلالته يصرخ في غضب شديد: لا، لا! ارفع رأسك يا شيخ! ارفع رأسك أنت وجماعتك، هذا حرام! حرام! لا يجوز الركوع لغير الله - سبحانه وتعالى - خالقنا العظيم[1].

فهذه أمثلة من واقع حي، ضربها لنا الملك عبدالعزيز في التخلق بما أوصى به الله تعالى ورسوله ﷺ من وجوب التخلق بخلق التواضع، وتجنُّب الكِبْر؛ فعمل رحمه الله جاهدًا في تطبيق أوامر الشرع واجتناب نواهيه، فكانت النتيجة أن اتصف بتواضع جَمّ، حتى كان هذا الخُلُقُ عَلَمًا من أعلام أخلاقه الكريمة.

٣- عَدْلُه:

العدل: هو إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ ما يعادل حقَّه ويساويه، دون زيادة ولا نقصان[2].

---

(١) شاكر؛ فؤاد، الملك عبدالعزيز، سيرة لا تاريخ، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ، ص: ٥٧.

(٢) الميداني؛ عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٢٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

وقد عَدَّ رسول الله ﷺ الإمامَ العادل أولَ الأصناف من الناس الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه، يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ...»(٢).

ولقد حرص الملك عبدالعزيز آل سعود - طَيَّبَ الله ثراه - على تحقيق العدل؛ فجعله مطمح نظره، ومنتهى غايته من الحياة(٣)، وإن الشيء لا يُستغرب من معدنه؛ فلقد استمد الملك عبدالعزيز عدله من عدة روافد؛ منها: ما هو من التزامه تعاليم دينه، ومنها: ما هو مكتسب من أهله، إضافة إلى ما اكتسبه من عِبَرٍ وتجارِبَ في مسيرة حياته، وذلك كله يمضي في صراط مستقيم إلى غاية واحدة، فَعَدْلُ المَلِكِ عبدالعزيز لم يكن إلا محصِّلة لتلك العوامل مجتمعة.

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي النظام المحكم الأمثل للبشرية جمعاء؛ فقد عمل الملك عبدالعزيز رحمه الله جاهدًا على تطبيقها؛ فكان تثبيت توجيهات الدين - في الحرب كما في السلم - هو غاية ما يسعى إليه؛ فتراه تارة يقاتل المارقين الخارجين على نصوص وتعاليم الشريعة، وأخرى يدعو المجتمع الناشئ إلى التمسك بالفضيلة، ويحثهم دومًا على الأخذ بمبدأ

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (٦٦٠)، وأطرافه فيه، ومسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (١٠٣١).
(٣) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢١.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا فقد كان لتطبيق الشريعة بكامل مقوماتها أثر بيِّن على المجتمع الجديد في شبه جزيرة العرب، وقد تجلَّى ذلك في تثبيت قاعدة الأمن الحازم العادل، وما ذلك إلا لتيقُّنِه أنه ملزم شرعًا - بحكم تسنُّمه سُدَّة الملك - بحسن الإشراف على الشؤون العامة للرعية، بما يحفظ وحدة صفها، ويحقق مصالحها، ولا فرق عنده في ذلك بين غني وفقير، وأمير وغير أمير، والشاهد على ذلك موقفه من رجل ارتكب جريمة قتل، ثم دخل عليه يستجيره، فقال له: "شِفْ يا وَلَد، نحن ما أعزنا الله إلا بإقامة الحدود الشرعية، والشرع لو حكم على أي إنسان كبير ما تأخرنا عن تنفيذ الحكم فيه"[(١)].

لكن للمرء أن يسأل: كيف استطاع الملك عبدالعزيز أن يقيم شرع الله ويحقق العدالة الاجتماعية في فئة من المجتمع - آنذاك - جعلت حياتها مسرحًا للنَّهب والسَّلب؟!

لقد فكر الملك عبدالعزيز جَلِيًّا في ذلك، ثم هداه الله تعالى إلى اتباع طرق أو عوامل عديدة لتحقيق ذلك:

العامل الأول: توفير الأمن والسكينة في البلاد، وذلك لن يتأتى إلا باستقرار البدو[(٢)]، ووضع أسس التقدم التي كانت شاقة في هذه المسافات الشاسعة من البلاد التي تعوَّد أهلها - وأغلبهم من البدو الرُّحَّل - على أنه لا قانون سوى قانون القبيلة؛ ومن ثَمَّ أصبح لزامًا عليه أن يعمل على استقرارهم، فأعطاهم أرضًا وساعدهم في بناء بيوتهم، وهذا الاستقرار في

---

(١) العتيبي؛ إبراهيم بن عويض، الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، تطوره وآثاره، (١٣١٩ - ١٣٧٣هـ = ١٩٠٢ - ١٩٥٣م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٩٩.

(٢) انظر ص: ٥٩.

حَدٍّ ذاته لا يمكن به تحقيق العدالة بأكملها بل كان عليه أيضًا أن يقوم بإرشادهم عن طريق الدعاة وبث الروح الدينية فيهم؛ وبذلك فإن من يذنب منهم يستطيع الملك أن يلحق به العقاب الكافي، لم يكن هذا فحسب بل إنه ألزم شيوخ القبائل بمراقبة أفرادهم؛ وبهذا يمكن القول بأن الملك عبدالعزيز قد عمل على توثيق الترابط الاجتماعي من خلال منظور ديني، حيث كان يُعلِم الجميع بأنه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكعادته في ابتكاره الجديد النافع، ومزجه بالقديم الأصيل المفيد، فقد رأى أن يزاوج بين شهامة البدو ومبدأ التضامن في المسؤولية الجنائية؛ ومن ثم فقد ألزم شيخ كل قبيلة بالبحث عن مرتكبي الجرائم من قبيلته، وإنزال العقوبات الواجبة بهم على الفور، كما أنه قد أبقى على بعض عادات البدو التي تخدم العدالة؛ مثل ظاهرة تتبع الأثر في البادية؛ تلك الظاهرة المعروفة "بالقِيَافَة" التي اشتهر بها آل مُرَّة، وقد استعان ببعضهم في قوات الأمن العام للتوصل إلى مرتكبي الجرائم الفارِّين من العدالة، والقبض عليهم لتقديمهم للمحاكمة[(١)].

اتجه الملك بعد ذلك إلى توطيد **العامل الثاني** من عوامل تحقيق العدالة في المجتمع، وهو إرجاع كل أمر للشريعة الإسلامية؛ وذلك بالعمل على تطوير الجهاز القضائي من هيكليته الأولية البسيطة - الموروثة من الدول السابقة - إلى هيئاته المتعددة والمتداخلة، بما اقتضته تعقيدات الحياة الحديثة؛ ذلك لأن الكيان الذي شيده الملك عبدالعزيز كان ديني المنشأ والتوجه، وفي ذلك يقول ﷺ: "دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ"[(٢)].

---

(١) الساعاتي؛ حسن، سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ١٠٠٠.

(٢) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٥٨.

ويقول أيضًا - طيَّب الله ثراه -: "وقد جعلنا اللهُ أنا وآبائي وأجدادي مبشِّرين ومعلِّمين بالكتاب والسُّنَّة، وما كان عليه السلف الصالح، لا نتقيد بمذهب دون آخر، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به"[(١)].

إذن؛ فالملك كان ينظر إلى القضاء، باعتباره رمزًا لتحقيق العدالة، بصرف النظر عن أيِّ اجتهاد فقهي أتى منه؛ ومن ثَمَّ فقد اهتم ﷺ بتنظيم الجهاز القضائي، وإنشاء المحاكم على اختلاف درجاتها وأنواعها وتخصصها، وتمهيد الطريق لبسط نفوذها في البادية والحاضرة معًا[(٢)].

ونتيجة لهذا الاهتمام: فقد كان الملك يختار القضاة من أكثر العلماء نزاهة وصلاحًا، ويحيطهم برعايته؛ حتى إن تعيينهم وفصلهم ونقلهم كان مقتصرًا عليه شخصيًّا، ولم يسمح لأحد من أسرته، أو كبار المسؤولين في دولته بالتدخل في شؤونهم، أو في شؤون القضاء بعامة، وخير ما يصور لنا حسن رعاية الملك عبدالعزيز للقضاة، هو اختيار درجة تصنيفهم في السُّلَّم الوظيفي لموظفي الدولة، فعندما صدرت التعليمات المؤقتة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، كان القضاة ضمن المجموعة الأولى التي سميت «أركان الدولة»؛ ويؤكد هذا الاتجاه ما صدر في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م من تنظيم لموظفي الدولة؛ حيث كان القضاة من ضمن المجموعة الأولى التي يعينها الملك شخصيًّا، وقد ثبت وضعهم هذا في أول نظام صدر للموظفين عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ولما أعيد تصنيف الموظفين عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، إلى إحدى عشرة مرتبة؛ جعل الملك رئيسَ القضاة وظيفيًّا في المرتبة الممتازة؛

---

(١) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٨.

(٢) العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٥٥.

وباقي القضاة ضمن مجموعة المرتبة الثالثة، وأجزل عليهم المُرَتَّبات الشهرية العالية، إذا قيست بغيرهم من الموظفين[(١)]؛ حتى يتفرغوا لشؤون القضاء والعدالة.

وبلغ من حرصه على تحقيق العدل وضبط الأمور في الدولة: أنْ عيَّن في الرياض قاضيين؛ أحدهما للبَدْو الذين يأتون للبيع والشراء، والآخر للحَضَر، ويبدو أن الحكمة في تعيين قاض للبدو هي أن قضاياهم تستلزم سرعة البتِّ في الحكم؛ لأنهم ليسوا مستقرين في البلد، ويصعب عليهم الانتظار والمراجعة، ولأن نوعية قضاياهم غير معقدة غالبًا؛ إذ إن لهم طبيعة خاصة تجاه هذه الأمور؛ خاصة الذين يأتون للبيع والشراء، وكان الملك عبدالعزيز يعي ذلك جيدًا[(٢)].

مما ذُكر آنفًا يمكن القول بأن الملك عبدالعزيز قد وضع الأسس اللازمة لتحقيق العدالة في المجتمع؛ بإنصاف الناس وتوعيتهم وإرشادهم، ثم لا يُنْزِل العقاب إلا بمن ارتكب جُرْمًا يعاقب عليه الشرع، وعند تطبيقه لهذه الأسس نجده قد تخير لهذه المهام من يثق بهم من ذوي الخبرة والنزاهة، وأوصاهم بتقوى الله، وتحري الحقائق، والأخذ بيد المظلوم، ومناصرة الضعيف.

ويقول فيما يقول:

"إن شَرَّ الناس على الرعية الحُكَّام الذين لا يحكمون بما أنزل الله".

---

(١) العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٨٣.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٢٥ - ٤٢٦.
والعتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٦٠.

ويعود فيقول:

"بل إن الناس جميعًا مسؤولون أمام الله بتركهم مبدأ التناصح لله ولرسوله ولعامة المسلمين؛ فهم مسؤولون أن ينبِّهوا الأمراء إلى مواضع زَلَلِهم، وإن بابي مفتوح للعموم، أُنْصِف المظلومين حتى من أولادي وذوي أقربائي"[١].

ولقد جرت عادة جلالته أن يشرف على شؤون رعيته بنفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وفي ذلك امتثال لما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**»[٢].

وبناء على ذلك فقد كان الملك عبدالعزيز رحمه الله يجلس في صبيحة كلِّ يوم في ديوانه لاستقبال الوافدين إليه من ذوي القضايا والحاجات، فيصغي لشكاية الشَّاكِين، ويقضي حوائج القاصدين. كما كان يعرض عليه رئيس ديوانه كلَّ يوم - صباحًا ومساءً - خلاصة القضايا وعرائض الناس؛ فلم يجرؤ أحد على ظلم أحد؛ خوفًا من وصول الخبر إلى مسامع جلالته، وهنالك يكون العقاب الأليم.

ويشهد حرصُه على إقامة العدل بخوفه من الله؛ فكثيرًا ما كان يأتيه البدوي فيقول له: "يا عبدالعزيز، اِتَّقِ الله، وتراني في ذِمَّتك"، فيأمر بانتداب لجنة للتحقيق في أمر ظلامته، ويقول لأعضائها: "إني أخلي وأبرأ من ذمته، وأضع الأمر في أعناقكم وحسابكم عند الله"، وكثيرًا ما كان يقول لجلسائه من العلماء: "أخشى أن يكون قد صدر مني أمر لا يرضي الله عن

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢٤.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (٨٩٣)، ومسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (١٨٢٩).

غير قصد، فماذا ترونه يكفر ذنوبي، وينجيني من عقابه؟»[(١)].

هذه هي أقوال الملك عبدالعزيز، **أما عن أفعاله ومواقفه** التي تصور مبلغ العدل عنده فهي كثيرة، نذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - ما يلي:

- لقد أتى إليه بدويٌّ ذات يوم يشكو ابنًا من أبناء الملك بأنه ضربه، فأحضر الملك أبناءه ليبين ضاربه، فدَلَّ عليه، وسأل الملك ابنه - وهو غاضب من ظلمه -: أضربته؟ فصمت الابن، ونظر الملك إلى المعتدى عليه وسأله: يا ولد، بم ضربك؟ قال: بعصا يا طويل العمر، قال: قُمْ واضربه، اقتص منه، قم. قال: لا أستطيع، قال له الملك: هداك الله! قم يا رجل، لا تخف؛ إن العدل سوَّى بينك وبينه، بل أنت أعظم منه؛ لأن الحق لك، وهو أصغر منك؛ لأن الحق عليه، اضربه قم! قال الرجل: معذرة يا طويل العمر، يكفيني هذا منك، فقد محا عدلُك ذنبَ ابنك، وما عملتَ خيرُ جزاء، وإني متنازل عن حقي تنازلًا تامًّا[(٢)].

- وهذا موقف آخر يتجسد فيه العدل؛ فلقد اعتدى أحد أبناء الملك على أحد الحراس، وعندما علم الملك بذلك عاقب ابنه أمام الناس، وأمر بحبسه، ولم يشفع له أنه ابن عبدالعزيز، ثم التفت إلى الحارس وسأله، هل أنت راض؟ قال: أطال الله عمرك يا عبدالعزيز، قال الملك: إن ما فعلتُه بابني يجب أن يكون رادعًا له ولغيره من أفراد أسرتي، فأنتم وأبنائي في قلبي بمنزلة واحدة[(٣)].

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢٦.

(٢) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٧٠١.

(٣) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٠٠- ١٠١.

ليس هذا فحسب؛ بل يمكن القول بأن الملك عبدالعزيز قد طبق العدل على نفسه قبل أن يطبقه على الآخرين، فبعد وفاة والده الإمام عبدالرحمن ابن فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذات يوم بعد صلاة الفجر، أتى أحدهم إلى الملك وقال له: لي في رقبة والدك دَيْنٌ قدره مئة ريال فرنسي، فقال له الملك: وهل عندك شهود، قال: شاهدي هو الله، قال له: ولكني لا أستطيع أن أصنع لك شيئًا إن لم يكن عندك ما يثبت ذلك، فأجاب الرجل: بيني وبينك شرع الله، قال الملك: صدقت؛ وانصرف الاثنان إلى منزل القاضي سعد بن عَتِيق[1]، ولما عرف القاضي أن بينهما دعوى لم يدخلهما منزله، بل أجلسهما على الأرض أمام المنزل، وجلس القاضي على عتبة الباب وحكم بينهما، وانصرف الخصم راضيًا بحكم القاضي، والتفت القاضي بعد ذلك إلى الملك عبدالعزيز، وقال له: الآن أنت ضيفي، ثم أدخله إلى مجلسه وشربا القهوة[2].

هذا موقف من مواقف العدالة التي تعرَّض لها الملك، والتي تصوِّر لنا مدى الإنصاف الذي تحلى به؛ كما يبين لنا هيبة القضاة واحترام الملك لهم، وأنهم كانوا على قَدْر كبير من الصلابة في أحكام الشرع، حتى لو تعارض ذلك مع رغبات الحكام.

---

(١) سعد بن حَمَد بن علي بن محمد بن عَتِيق بن راشد بن حُمَيْضة؛ ولد في بلدة الحلوة، وشرع في القراءة على والده، ثم سافر إلى الهند سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، وقرأ على الشيخ نَذِير حُسَيْن الدَّهْلَوي، وغيره من علماء الهند، كما تلقى العلوم في مكة على يد الشيخ شعيب بن عبدالرحمن الدكالي المغربي، وغيره من العلماء، تولى القضاء في الأفلاج مكان والده، وظل بها حتى نقله الملك عبدالعزيز من قضائها إلى الرياض، وجعله قاضيًا في جميع قضايا البادية القريبة من الرياض، أو القادمة إليه، توفي في الرياض عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ودفن بها.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٢٢٠ - ٢٢٧.

(٢) العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة، مرجع سابق، ص: ١٨٧.

- موقف آخر يشهد للملك عبدالعزيز بحرصه على إقامة العدل بين الناس، فقد كان ﷺ يتخير الأمراء والحكام الذين سيُعيَّنون على المدن من الأشخاص الذين يتميزون بالتمسك بتنفيذ أحكام الشرع؛ فهذا محمدُ بن زيد[١] الذي تم تعيينه أميرًا على مدينة الرياض من قبل الملك عبدالعزيز، كانت له واقعة إن دلت على شيء فإنما تدل على التمسك بتنفيذ أحكام الشرع، وإقامة العدل بين الناس، وكما يقول الأمير طلال بن عبدالعزيز: كان محمد بن زيد أميرًا على مدينة الرياض، وكان من أخلص المخلصين للوالد، وللمَهَامِّ الملقاة على عاتقه، وحدث أن أخطأ أحد خدام عمي سعود الذي كان معروفًا بذكائه، وحكمته الفريدة، وله مكانة في قلب الوالد، فأمر محمد بن زيد بسجن الخادم، وحينما علم عمي سعود بالخبر، أخذ الغضب منه مأخذه، وذهب بنفسه إلى محمد بن زيد أمير الرياض منتصرًا لخادمه، واحتدم الجدال بين عمي سعود، ومحمد بن زيد، قال عمي فيما قال: يا ابن زيد، كيف تجترئ على سجن خادمي دون الرجوع إلي؟ قال محمد بن زيد: إن عبدالعزيز عَيَّنَني في هذا المنصب لأنفذ الشرع والعدل الذي هو قوام حكمه، والله لو أخطأْتَ أنت لوضعتك في السجن أيضًا. فبُهِتَ عمي سعود من مثل هذا الجواب، وانصرف ذاهبًا إلى الملك عبدالعزيز، وقال له: يا عبدالعزيز، إذا أردتَّ أن تعين أمراء على المناطق، فعينهم على شاكلة ابن زيد، وقصَّ عليه الخبر، فما كان من الملك إلا أن قام باستدعاء محمد بن زيد، وقال له: ما فعلته اليوم هو ما يفعله الإنسان

(١) محمد بن زيد، أحد موظفي الدولة كان الملك عبدالعزيز يعهد إليه بتصريف شؤون الرياض حال غيبته عنها، في بداية تأسيسه وتوحيده لأجزاء المملكة.
الهيئة العليا لتطوير الرياض، الرياض في خمسين عامًا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص: ١٩.

المخلص لدينه ولبلاده ولعبدالعزيز[١].

هذا هو الملك عبدالعزيز الذي لم يكن تمنعُه قرابةٌ أو منزلةٌ - أو أي شيء آخر - من إحقاق الحق وإقراره، ولم يكن يتوانى عن عزل المقصِّر من المسؤولين؛ فقد اتصل بعلمه يومًا أن أمانة بلدية مكة المكرمة قصَّرت في أداء بعض واجباتها، فاستدعى مجلس الشورى، ولام الأعضاء على سكوتهم مجاملة لأحد الأعيان الذين لهم منزلة عند الملك، ولم يأبه الملك لهذه المنزلة، وعزل المسؤول عن التقصير[٢].

لقد عُرِفَ الملك رحمه الله بالحَزْم، وكان في حزمه وعدله هذا كل الخير للرعية؛ فقد ألزم قضاة محكمة الطائف الشرعية أن يتعجلوا في إنجاز مصالح الناس ومعاملاتهم القضائية؛ ذلك أن امرأة مُسِنَّةً قد وقفت على باب قصره تشكو إليه أمر قضية في ميراث لها، وقالت له: ليس لي من يدافع عن حقوقي، فناداها - تغمده الله برحمته - وأخذ ما بيدها من الأوراق، ووعدها بأنه سيكون وكيلًا لها في الدفاع، وأرسل القضية للمحكمة الشرعية وظل يتابعها حتى قررت المحكمة حكمًا في شأنها، وأبلغ المرأة الحكم وأمر بإنفاذه[٣].

بل إن حرص الملك عبدالعزيز رحمه الله على إقامة العدالة في مجتمعه دائمًا دفَعَهُ إلى أن يقوم في عام ١٣٧٢هـ بإصدار منشور عُلِّق على أبواب المساجد ينص على إرسال البرقيات والشكاوى إليه مَجَّانًا، ويقول أحد الحجاج: إنه بينما كان داخلًا من الباب المجيدي في الحرم النبويِّ في المدينة المنوَّرة، لفت نظره هذا الإعلان المعلق على جدار المسجد، وهذا نصه:

(١) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٠١- ١٠٣.

(٢) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص: ٧٠.

"من عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية، على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلمًا وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي وأحفادي أو أهل بيتي، وليعلم كلُّ موظف يحاول أن يُثني أحدَ أفراد الرعية عن تقديم شكواه مهما تكن قيمتها، أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها: أننا سنوقع عليه العقاب الشديد ... لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يُحمِّلني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم ... ألا قد بلَّغت؛ اللهمَّ فاشْهَد"[1].

رحم الله الملك الذي نحسبه - والله حسيبه - أنه تمسَّك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[2].

٤- شجاعته:

الشُّجَاع: هو الشديدُ القَلْبِ عند البأس[3]، **والشجاعة**: هيئةٌ حاصلةٌ للقوة الغَضَبِيَّة، بها يُقْدَم على أمور ينبغي أن يُقْدَم عليها؛ كالقتال ونحوه[4].

---

(١) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، ص: ٤٢ - ٤٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٣) الزَّبِيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء الحادي والعشرون، ص: ٢٥١، مادة (ش ج ع).

(٤) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص: ١٦٥.

ولقد حَثَّ القرآن الكريم على القوة والشجاعة في الحرب والقتال؛ كما ذَمَّ الجبن والتولي ونهى عنه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[١].

عُرِفَ الملك عبدالعزيز بالشجاعة، ولا أدلَّ على ذلك من أنه استعاد الرياض وليس معه من أصحابه غير نفر قليل[٢].

ولقد دوَّن التاريخ مواقف كثيرة تبرز فيها شجاعة الملك عبدالعزيز لا تتسع لمثلها هذه الصفحات؛ ولذلك نكتفي بالإشارة إلى ما وقع في معركة الحَرِيق[٣]؛ في وادٍ بين جبال جنوب الخَرْج؛ حيث كان أهلُ الحَرِيق ممسكين جوانب الجبال، فعندما هاجمهم جند الملك عبدالعزيز، تَلَقَّوْهم من رؤوس الجبال بوابل من الرصاص، فانكشف الجند، وهُزموا هزيمة لدرجة أن الأخ لم يلتفت لأخيه، وكان الملك عبدالعزيز في مؤخرة الجيش، يمشي على رجليه ومعه سائسه يقود فرسه، وعندما قابله جيشه مهزومين أخذ يبث فيهم النخوة، ويقول لهم: «يا أهل العَوْجَا»، لكن المهزومين لم يلتفتوا إليه، فما كان منه إلا أنْ سَلَّ سيفه، وضرب عَضُد فرسه وقطعه، وقال: «يا أهل العَوْجَا، لا تقولوا: ما رأينا عبدالعزيز؛ فالذي يريد أهله فهم أمامه، والذي يريد طريقي فأنا هاجم وحدي»، وهجم عليهم وحده، مخالفًا قومه، فتوقَّفوا وصاروا ينظرون إليه، ولما وجدوه

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٥.

(٢) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٩٤.

(٣) الحَرِيق: بلدة في أعلى وادي "نَعَام" عامرة بالسكان والنخيل والمزارع، وبها مدارس ومرافق حكومية وإنتاج زراعي جيد.
خَمِيس؛ عبدالله بن محمد، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣١٢ - ٣١٦.

سائرًا وحده، رُدَّت إليهم روحهم المعنوية وهجموا معه، ولم يتوقفوا إلا في داخل البلد(١).

هذا أحد المواقف التي تبرز فيها شجاعة الملك عبدالعزيز، ويمكن القول بحق: إنه بالرغم من شهرته بالجرأة والبسالة إلا أن شجاعته لم تكن مجرد عدم خوف من النوع الذي يستولي على الإنسان في لهيب المعركة فيعميه عن الأخطار المحيطة به، وإنما كانت لديه بجانب الشجاعة حكمة، وصحة رأي، وصلابة هادئة لرجل يرى بوضوحٍ الخطر المُحْدِق في خضمِّ الحدث؛ فيواجهه مواجهة صحيحة(٢)، فكانَ إذا جاءه خبر عن حدوث مخالفة أو عصيان يقول: جهزوا لهم غزوة، وأحيانًا يقول له بعض الناس: لا تهمك هذه القرية أو القبيلة؛ وأمرهما هَيِّنٌ! فيرفع صوته ويقول: لا! لا! أنا أحتزم للثعلب بحزام الأسد(٣).

وهو بذلك يصدق فيه قول أبي الطَّيِّب المتنبِّي:

أَلـرَّأْيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةِ الـشُّـجْـعَـانِ
هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ الـمَـحَـلُّ الـثَّـانِـي
فَـإِذَا هُـمَـا اجْـتَـمَـعَـا لِـنَـفْـسٍ حُـرَّةٍ
بَـلَـغَـتْ مِـنَ الـعَـلْـيَـاءِ كُـلَّ مَـكَـانِ(٤)

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢٢.

(٢) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

(٣) السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٤٦.

(٤) البرقوقي؛ عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، الجزء الرابع، ص: ٣٠٧.

- وهذا موقف آخر يبين لنا بوضوح أن الملك عبدالعزيز كان يقدِّم الرأي على الشجاعة؛ فأثناء الاجتماع العام الذي عقده للتشاور في مسألة مدينة جدة التي كان يحاصرها الجيش السعودي، تَفوَّه خالد بن لُؤَيّ(١) وسلطان بن بِجَاد(٢) بكلمات وجهت إلى الملك عبدالعزيز، وفيها إشارة إلى تخاذله، فأجاب الملك بهدوئه: «الرَّأْيَ الرأي! الأناةَ الأناة!»، وقد أخطأ خالد وسلطان؛ فلم يكن ما بالملك عبدالعزيز جبنٌ، ولكنه الشجاعة البصيرة(٣).

ومع شجاعة الملك عبدالعزيز وحكمته وصحة رأيه، فلم يفاخر يومًا ببطولته وشجاعته، ولا نظر إلى نفسه على أنه بطل عَزَّ نظيره، بل كان يردد دائمًا:

"إن ما وهبني الله لم يكن بسبب قوَّتي، بل بسبب ضعفي وقوَّته سبحانه"(٤).

---

(١) الشريف خالد بن منصور بن لُؤَيّ؛ من العبادلة نسبة إلى عبدالله بن حُمُود، كانت له ولأسلافه إمارة الخُرْمة في شرقي الحجاز، وثار على الترك في الحرب العامة الأولى مع الشريف حسين، ووجهه الشريف مع ابنه عبدالله لحصار بقايا الترك في الطائف، واعتدى أحد شيوخ عُتَيْبة على خالد، ولم ينتصر له عبدالله، فتركه وعاد إلى الخُرْمة، وكتب إلى الملك عبدالعزيز يعرض عليه طاعته وولاءه، وظل مع الملك عبدالعزيز حتى كانت ثورة الأدارسة، وأرسله الملك عبدالعزيز بقوةٍ قَصَد بها مدينة صَبْيَا، ومرض في أَبْهَا، وتوفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م عن عمر يناهز السبعين.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٢٩٩.

(٢) سُلْطان بن بِجَاد بن حُمَيْد؛ من عُتَيْبة، صاحب الملك عبدالعزيز في غزواته وحروبه، أقام في هجرة الغَطْغَط، ولما بدأت حركة التجديد والإصلاح في المملكة انضم إلى فيصل الدَّوِيش، ومات في السجن بالرياض عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ١٠٩.

(٣) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٧٢٩.

(٤) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

٥ - فِرَاسَتُهُ:

الفِرَاسَةُ: اسمٌ مِن التَّفَرُّسِ؛ وهو النظر والتثبت والتأمل للشيء والتعرف عليه بالظن الصائب[١].

وللفراسة سببان؛ أحدهما: جودةُ ذهن المتفرِّس، وحِدّة قلبه، وحسنُ فطنتِه، والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرَّس فيه. فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطئ للعبد فراسةٌ، وإذا انتفيا لم تكد تصحُّ له فراسة، وإذا قوي أحدهما، وضعف الآخر كانت فراستُه بينَ بين[٢].

والفراسة الإيمانية سببها نورٌ يقذفه الله في قلب عبده، يَفْرُق به بين الحقِّ والباطل، وهي على حسب قوة الإيمان؛ فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسة[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٤] قيل في تفسيرها: للمُتَفرِّسين، وقال أيضًا في حق المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ﴾[٥]؛ فقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ﴾: فراسة

---

(١) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، التعريفات، مرجع سابق، ص: ٢١٢.
وابن منظور؛ محمد بن مقرن بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الجزء السادس، ص: ١٦٠، مادة (ف ر س).
والفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص: ٤٦٧، مادة (ف ر س).

(٢) ابن القيم؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٦٠.

(٤) سورة الحِجر، الآية: ٧٥.

(٥) سورة محمَّد، الآية: ٣٠.

النظرِ والعين، وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: فراسةُ الأُذُنِ والسمع[١].

ورُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**»[٢].

ويوصف الملك عبدالعزيز بأنه قد أوتي قدرًا كبيرًا من الفراسة مَكَّنه من الحكم على الأشياء، بحُسْن تبصُّر، ونظر كلي للأمور، والشواهد كثيرة على ذلك، ومنها:

في إحدى السنين شحَّ القَطْر عن المملكة، وارتفع ثمن الأغنام والسمن، فأمر رحمه الله بمنع تصديرهما، وكان في تبوك تاجرٌ بدا له يومًا نقل عشرين صفيحة من السمن من دكانه إلى منزله، فقبض عليه رجال الشرطة، وصادرتها المالية، فأبرق الرجل للملك عبدالعزيز يتظلَّم، ويدَّعي أنه نقلها من دكانه إلى بيته، وهذا غير ممنوع، وأن مصادرة سمنه ظلم، ووصلت برقيته إلى الملك عبدالعزيز قبل أن ترفع إليه المالية شيئًا من ذلك الأمر، فأمر بالرد عليه حالًا، وقال: "أنت ينطبق عليك المثل الذي يقول: الصاحب المزَّاح، إن شيف وإلا راح؛ وأنت لم تقصد من إخراجها من دكانك إلى بيتك إلا التهريب في الليل، والمالية تعمل واجبها"؛ فأتاه الرد في اليوم التالي من التاجر يعترف فيه بأن هذا هو الواقع، ويطلب العفو، ومع ذلك فقد أمر رحمه الله بإعادة السمن إليه على ألا يعود إلى ذلك مرة أخرى.

---

(١) ابن القيم؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين في منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٣٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي؛ محمد بن عيسى، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الحديث (٣١٢٧).

فقد كشف الملك عبدالعزيز بِفِرَاسَته قصد ذلك التاجر الذي حاول تجاوز القانون؛ ظنًّا منه استحالة انكشاف أمره، وبمواجهة الملك لذلك التاجر أثار العجب في نفسه؛ لقدرة الملك على مكاشفة الحقيقة[١] .

- وهذا نموذج آخر من فراسته ﷺ: ففي ذات يوم هاجمت مجموعة من إحدى القبائل قافلة تجارية في الصحراء ونهبوها، فذهب المنهوبون إلى الملك عبدالعزيز، وأبلغوه بالحادث، فسألهم قائلًا: هل تعرفون الجناة؟

قالوا: لا.

قال: ألم تستنطقوهم، فتحدِّدوا لهجتهم؟

قالوا: لم يتضح لنا شيء من ذلك.

قال: هل لاحظتم وُسومَ مطاياهم؟

قالوا: نعم، هو كذا وكذا.

فقال: هؤلاء من القبيلة الفلانية.

ثم أمر على الفور بإحضار شيخ القبيلة، وطلب منه إحضار المنهوبات والفاعلين في مدة محددة، وتَمَّ له ما أراد[٢]. هذه الحادثة فضلًا عن كونها دالة على حسن فراسة الملك عبدالعزيز، فهي تدل كذلك على تمكنه في معرفة القبائل.

نموذج آخر يظهر فراسته ﷺ بجلاء؛ وهو تلك الحادثة التي تشير في

---

(١) الدجاني؛ زاهية، عظماء من التاريخ، الملك عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٢٦ - ٢٧.

(٢) العفنان؛ سعد بن خلف، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص: ٣١ - ٣٢.

مجملها إلى أن بعض الأشخاص في تُرَبَة قد قاموا بالسرقة، وأُلقي القبض عليهم، لكنهم هربوا من السجن، وذهب أحدهم إلى الرياض ليشتكي للملك من أن أمير تُرَبة قد ألحق به ظلمًا، وعندما رآه الملك عبدالعزيز قال له: أنت سارق وخائن، وأمر بإيقاف هذا الرجل إلى أن تتبين حقيقة أمره، ثم أبرق الملك لولده فيصل يُعلِمه بهذا الأمر، وجاء الجواب بأن هذا الشخص هارب من سجن تُرَبة، وهو سارق الإبل، وكذا وكذا، وأمر الملك بإرساله بالخَفَارة إلى فيصل في مكة(١).

- وهذا موقف آخر: فقد زار الملكَ عبدالعزيز وفدٌ من العراق يترأَّسه نُورِي السعيد(٢) وزير الخارجية، بغرض التباحث في بعض القضايا المهمة؛ وكان من أهمها قضية الحدود، وقد حضر الأمير فيصل بن عبدالعزيز - وهو يشغل آنذاك منصب وزير الخارجية - ذلك الاجتماع، فقال الملك عبدالعزيز لِنُورِي السعيد: ماذا تريد يا نُورِي؟ فشرح له نُورِي مهمته، فأمر الملك عبدالعزيز بإحضار دفتر وقلم، وأعطاهما لنوري السعيد، وقال له: اكتب ما تريد، وفيصل يوقِّع عليه، وبعد أن انتهى نوري أعطى الدفترَ للأمير فيصل رحمه الله، الذي أراد أن يقرأ ما كتبه نوري، لكن الملك عبدالعزيز أمره بالتوقيع

---

(١) السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص: ١٠٣.

(٢) نوري بن سعيد بن صالح بن المُلَّا طه، من عشيرة القُرَة غُولِي البغدادية، سياسي عسكري المنشأ، ولد ببغداد، وتعلم في مدارسها العسكرية، حضر حرب البَلْقان، وشارك في اعتناق الفكرة العربية، وكان عضوًا في جمعية العهد السرية، وشارك في الثورة في الحجاز عام ١٩١٦م، آمن بسياسة الإنجليز، وظل يجاهر بذلك حتى وفاته، تولى رئاسة الوزارة العراقية في عهد فيصل، وابنه غازي، وحفيده فيصل بن غازي، وقامت الثورة في العراق عام ١٩٥٨م، فاختفى نوري، ثم خرج في زي امرأة فعرفه بعض أهل بغداد، فقتلوه.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص: ٥٣.

دون قراءة، ووقَّع الأمير فيصل فعلًا الوثيقة، ودفعها إلى نوري السعيد، وأخبره بأنه موافق على كل ما كتب، وبعد خروج نوري قال الملك عبدالعزيز ﷺ: "لاحظتُ أنكَ انزعجْتَ يا فيصل لعدم إلمامك بما في الوثيقة! إن نوري لم يحضُرْ وهو يقصد الاتفاق بل أراد الخلاف؛ فلذلك كلَّفته كتابة ما يريده، وأمرتك بالتوقيع عليه، وتساهلُنا معه هو الذي سيبعث في نفسه الرِّيبة، وينقض ما وافق عليه، فاتركها تأتي منه".

وهذا ما حصل بالفعل، فبعد أن رجع نوري السعيد إلى بغداد عارض بعض بنود الاتفاقية(١).

هذه فراسة المؤمن، وهذا هو الملك عبدالعزيز؛ فلولا ثقته بالله أولًا، ثم بنفسه، ولولا فراسته السياسية وذكاؤه، لما استطاع أن يفعل مثل ذلك، فيأمر بالتوقيع على اتفاقية - دون قراءتها - وقد تكون فيما بعد سببًا في ندمه؛ فهذا التعامل مع نوري السعيد وهذا الدهاء السياسي لدى الملك عبدالعزيز، لم يكن ليتأتى إلا بتوافر أسباب الفراسة لديه المتمثلة فيما يلي:

- قوة إيمان الملك عبدالعزيز بالله تعالى، وحسن التزامه بطاعة ربه.
- جودة ذهنه، وحِدَّة قلبه.
- تفكير الملك عبدالعزيز المتأني المتبصر بعواقب الأمور، وهي سِمَةٌ لازمته في جميع مواقفه.

٦- كرمه وسخاؤه:

الكرم صفة محمودة حثَّ عليها القرآن الكريم، كما حث على الإنفاق

---

(١) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٤٦ - ٤٧.

ابتغاء مرضاة الله؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)]، كما حذَّر من البخل والشُّحِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۞ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ على الإسلامِ شيئًا إلا أعطاه؛ قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غَنَمًا بين جَبَلَيْنِ، فرَجَعَ إلى قومه فقال: يا قَومِ أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَاقَةَ!**»[(٣)].

ولقد اتصف الملك عبدالعزيز بالكرم، والكرم ليس مقتصرًا على فيض العطاء وحسب، بل يشمل الناحية الأخلاقية أيضًا؛ فالكرم يعني السماحة في النفس إلى جانب بسطة في اليد، وفي مجال الحكم نجد أن بسطة اليد: إما أن تكون هادفة لمساعدة ذوي الحاجة، وإما لتحقيق أهداف سياسية مهمة، على أن كرم الملك عبدالعزيز ضم الناحيتين معًا: معونة المحتاجين من منطلق ديني أخلاقي، ثم بذل العطايا لأهداف سياسية من قبل السائلين، وهي موجَّهة نحو توحيد الجزيرة من أجل إقرار الأمن فيها؛ ومن ثم توفير الطمأنينة للناس[(٤)].

لقد أيقن الملك عبدالعزيز بأن كل ما أوتي من مال وخير ما هو إلا من محض كرم الله، فيجب ألا يَضِنَّ به على عباد الله؛ لذلك كان - تغمَّده الله

---

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ٢٧٤.

(٢) سورة الليل، الآيات: ٨-١١.

(٣) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٣١٢). والفاقة: الفقر؛ كما في لفظ رواية أخرى للحديث.

(٤) الدجاني؛ زاهية، عظماء من التاريخ، الملك عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٩٩.

برحمته - يكرم الضيف، ويجزل العطاء لكل زائر(١)، وكان يعطي بنفس سَمْحة، حتى وإن كانت الخزينة على وشك النفاد، وهو الذي طالما وصف نفسه بأنه كالجَزور؛ يستطيع كلُّ إنسان مستحق ذي يد ماهرة أن يقتطع منها ما يريد، هذا السخاء كان يُحزِن عبدالله بن سليمان(٢) وزيرَ ماليته حزنًا شديدًا؛ حيث كان ذلك يُلزمه أن يعدِّل في ميزانيته باستمرار!.

وكان الملك عبدالعزيز ﷺ يردِّد دائمًا قوله: "إن الله عوَّدني عادة أن يتفضل عليَّ، وعوَّدت عباده عادة أن أوسِّع عليهم، فأخاف أن أقطع عادتي فيقطع الله عادته عني ... كل ما يَرِد أنفقه على المسلمين، وهذا حق لهم"(٣).

إن حياة الملك عبدالعزيز مملوءة بذلًا وسخاءً، فلنذكر منها بعض الأمثلة فيما يلي:

- ذات مرة كان مسافرًا، فعَلِقَ عدد من سيارات حاشيته في الرمل، ورفض جلالته كعادته أن يبرح مكانه حتى يتأكد من أن السيارات جميعها قد

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢٨.
والمانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) عبدالله بن سليمان بن حَمْدان (١٣٠٥ - ١٣٨٥هـ = ١٨٨٧ - ١٩٦٥م)، ولد في عُنَيْزة من بلاد القَصِيم، ورحل إلى الهند في صغره، فنشأ في بعض مدارسها، وتنقل للتجارة بينها وبين البحرين والبلاد المجاورة، ودخل في خدمة الملك عبدالعزيز عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، فكان من كُتَّاب ديوانه، وتولى وكالة المالية عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ثم الوزارة، واستقال بعد وفاة الملك عبدالعزيز، وتوفي بِجُدَّة.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٩١ - ٩٢.

(٣) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩١٩.

أخرجت من الرمل، وفي غضون ذلك نزل من سيارته، واستظلَّ بشجرة، وفجأة بدا بين يديه بدوي، لم يعرف أنه الملك؛ لأنه كان يلبس ثوبًا بسيطًا وغُتْرة، ثم جلس بجانب جلالته، وقال له: أين الشيوخ؟ فأجابه مبتسمًا: لابد أنه مع الرجال الذين تراهم، وانتظر البدوي أن تسنح له فرصة لرؤية الملك، وحين أخرجت السيارات من الرمل، استعد جلالته لمغادرة المكان، وأخذ حَفْنة من الريالات وأعطاها إياه، وحينئذ مَدَّ البدوي يده، وقال: السلام عليك يا عبدالعزيز، فسأله الملك: كيف عرفت أني عبدالعزيز؟ فقال له البدوي: لا أحد يعطي بكرمٍ مثلك(١).

- قدم عليه وافد ذات يوم، فأمر الملك بإكرامه، وأخذ قلمًا وكتب له بثلاث مئة ريال، ولكن القلم زاد صفرًا، وتردد المختص وراجع الملك، فقال الملك: إنها شطحة قلم، أعطوه ثلاثة آلاف، ولا يكن قلم عبدالعزيز أكرم من عبدالعزيز(٢).

- أضف إلى ما ذُكِرَ آنفًا: أن الملك عبدالعزيز كان يكثر من زيارة القبائل في مضارب رحالهم بين حين وآخر، ويحمل معه كيسين من النقود، الأول للنقود الفضية، والثاني للنقود الذهبية، وذات يوم أقبل على سيارته أعرابي هَرِم، فمَدَّ الملك يده يريد كيس الفضة، وأخرج منه قبضة، فكانت من كيس الذهب، وبعد طرفة عين من التردد دفعها إليه، ولاحَظَ أنه أعمى، فقال الملك: إن النقود التي أخذتها ذهب، فلا يضحكوا عليك، والتفت إلى من كان خلفه في السيارة، وقال: سبحان الله ! أردت أن أعطيه بعض الريالات الفضية، ودخلت يدي في كيس الذهب، فلما عرفت ذلك راودتني

---

(١) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣١٨ - ٣١٩.
(٢) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١٤٦ - ١٤٧.

نفسي أن أردَّ الذهب، وآخذ من كيس الفضة، ولكن قلت: هل تكون يدي أكرم مني؟! [(١)].

- مرة أخرى تحدِّثنا الصحافة عن مزيد كرم الملك عبدالعزيز؛ حيث كان ﷺ يومًا في نزهة خارج الرياض، فالتقى به رجل تستر جسمَه أطمار بالية، وكان ذلك في الشتاء، فنهض الرجل من المكان الذي كان جالسًا فيه على قارعة الطريق، واعترض جوادَ الملك، قائلًا:

يا عبدالعزيز، البرد شديد وليس عندي عباءة ألتحف بها!

حينئذ نظر إليه الملك، وكان التأثر باديًا على وجهه، ثم نزع عباءته عن كتفيه، وألقى بها إلى الرجل، وأشار إلى أحد أتباعه بصرف مبلغ من النقود له ليستعين به على أمور الحياة.

- ليس ذلك فحسب، بل كان ﷺ ذات يوم يمتطي ناقة مشهورة بقوتها وجمالها، ولما وصل إلى مكان خارج المدينة، أوقف ناقته، ودعا رفاقه إلى الاستراحة، وإذا برجل كان يستريح في ذلك المكان، فحَيَّا الملكَ باحترام قائلًا: السلام عليكم يا عبدالعزيز.

فأجاب الملك: وعليكم السلام، من أنتم؟

فقال الرجل: إني قادم من المدينة.

قال الملك عبدالعزيز: وأين ناقتك؟

فقال الرجل: ماتت في الطريق، وليس عندي مال يكفي لشراء غيرها.

قال الملك عبدالعزيز: أنت عازم على العودة إلى المدينة؟

---

(١) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١٤٧ - ١٤٨.

قال الرجل: بعد أيام، بإذن الله.

قال الملك: إذن خذ هذه الناقة؛ لأنه لا يسعك أن تعود على قدميك[١].

هذه جوانب من إنسانية الملك عبدالعزيز وأخلاقه التي تكشف عن كرمه، وحبه للمواطنين، وشفقته عليهم، كما تجسِّد مروءته، وتصور عظمة أخلاقه، ولقد نُعِت في مجتمعه بالكريم؛ لأنه كريم بطبعه، فشتان بين من يفعل الكرم مرائيًا أو مزايدًا، وبين من يبذل لأن الكرم سَجِيَّة له؛ يبذل مع أعدائه بنفس الروح والخُلُقِ اللَّذَيْنِ يبذل بهما مع أصدقائه، وهذا ما عَبَّرَ عنه أبو الطيب المتنبِّي بقوله:

وَلِلنَّفْسِ أَخْلاقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى
أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا[٢]!!

- لقد عرف الفقراء حبَّ الملك عبدالعزيز للإنفاق؛ فصاروا يترقبون رؤيته؛ سواء في المدن أو القرى، بل وفي قلب الصحراء؛ لذلك تراه لم يكن يركب سيارته إلا بعد أن يملأها بمئات الريالات بل بالألوف، وكلما صادف فقيرًا أوقفه وأمر مرافقه بإعطائه بعض الأموال[٣].

---

(١) الجهيمي؛ ناصر بن محمد، الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ٢٥، نقلًا عن مجلة "كل شيء والدنيا"، العدد (٤٨٤)، في ١٣/ ٢/ ١٩٣٥م.

(٢) المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢. وانظر بيت المتنبي في: البرقوقي؛ عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٤٢٠.

(٣) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢٩. والخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٠٢ - ١٠٣.

وفي ذات يوم استوقفته عجوز في الطريق، وقالت له: يا عبدالعزيز، أسأل الله أن يعطيك في آخرتك كما أعطاك في دنياك؛ فسُرَّ جلالته لهذه الدعوة أعظم السرور، وأمر أن يعطى لها كل ما كان لديه في السيارة؛ فإذا بها عشرة أكياس كل كيس به خمس مئة ريال، الجميع خمسة آلاف ريال، فلما أعطيت لها عجزت عن حملها فأمر لها جلالته بذَلولٍ تحمل عليها هذا المبلغ، وأمر لها بأحد الأشخاص يوصِّلها إلى منزلها في قلب الصحراء[١].

- لم يكن هذا فحسب، بل نجده على الجانب الآخر قد أقام للفقراء عمومًا - ورجال البادية خصوصًا - دارًا للضيافة، والتي عرفت باسم "ثُلَيْم"، وأطلق عليها أيضًا: "المُضِيف" يقدِّم فيها للفقراء الأرز والجَرِيش واللحم، هذا بخلاف قصره الذي يكتظ كل يوم بمختلف الوافدين عليه من كل جهة، خصوصًا رجال القبائل والأجانب. وقد عوَّدهم عادة لم تتخلَّف أبدًا؛ وهي أن يقدِّم لكل وافد ضيافته من اللحم والأرز والسمن وما أشبه ذلك، ثم يعطى عند ارتحاله كسوة تختلف باختلاف مكانة الزائر، وهي لا تقل عادةً عن عباءة، وتكون غالبًا كسوة كاملة، وقد تزيد إلى ما لا نهاية له؛ من سيف، أو خِنْجَر، أو ساعة، إلى سيارة وسيارات؛ يضاف إلى هذا نفحة مالية لكل منهم تبدأ من عشرة ريالات إلى مئات الجنيهات تسمى "الشَّرْهَة"[٢].

أمَّا ما يعطى للنساء فغالبًا ما كانت تسمى "الصَّوْغة"، وكان من دواعي

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٢٩. والخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٠٣.

سرور الملك أن تُقْبَل منه الهدية؛ خاصة بُقْجَة (بُقْشَة) الملابس[١].

- ومن مواقف كرمه: أنه بعدما تم له ضمُّ حائل لم يقف عند حدود وفائه بالعهد فحسب، بل إنه عامل أهل البلاد معاملة المضيف الكريم السخي، خصوصًا أن المدينة كانت قد مرَّت بما يشبه الحصار الاقتصادي، فارتفعت أثمان المواد الغذائية ارتفاعًا كبيرًا، إن لم يكن قد انعدم بعضها في الأسواق، وبانتهاء ضم مدينة حائل قام الملك عبدالعزيز بفتح (مضيفٍ) للمواطنين ذوي الفاقة، وظل على عمله هذا حتى تقلَّص غلاء المعيشة في البلاد - بسبب ما تم توفيره للمواطنين من المواد الغذائية - تقلُّصًا هبطت به الأسعار إلى درجة كبيرة[٢].

- وفي أثناء الحرب العالمية الثانية شهد العالم أزمة اقتصادية حادة أثرت على جميع الدول، وهنا لاح للناس في الجزيرة شبح الموت بالمجاعة؛ نتيجة توقف المسلمين عن أداء الحج بسبب الحرب؛ وإذا بجلالته يبادر إلى جمع زعماء قومه مُطَمئنًا لهم على حياتهم، قائلًا: لا تخافوا سنشاطركم ما لدينا من مال ورزق، ولم يكن ذلك قولًا بل أيَّدَه بالعمل، حيث أمر جلالته بإجراء مَبَرَّة ملكية من الخبز في سائر المدن والقرى، وتألَّفت اللجان لذلك[٣]، كما أعطى إعانات سنوية لكثير من رجال الدولة؛ عرفت باسم "قَواعِد"[٤] تُعِينهم على قضاء بعض الضرورات؛

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، الوجيز، مرجع سابق، ص: ٣٦٥.

(٢) المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٢١.

(٣) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٠.

(٤) القاعدة: تُعَدّ من الأعطيات المالية المقرَّرة في كل سنة لكل فرد من أفراد الهِجَر، الذين قيدت أسماؤهم في سجل جلالته، وهي خاصة - غالبًا - بالأشخاص الذين سجلت أسماؤهم في ديوان الحرب. =

كأجور المساكن والكسوة في أول العام، وأجرى على بعضهم مخصَّصات مُعيَّنة من الأطعمة شهريًّا لحساب الخاصة الملكية، وقد كان في الوقت نفسه لا يحرم الألوف من فقراء شعبه من مبالغ مقررة سنويًّا، أطلق عليها اسم "عوايد"؛ يتقاضونها في رأس كل سنة[(١)].

- ومن لطيف ما يروى عن كرمه: أنه وفد عليه يومًا رجل من أهل مَسْقَط، وقدَّم لجلالته نُوقًا عُمَانيَّة أصيلة، فأمر جلالته بشَرْهة قدرها عشرة آلاف ريال، وقَيَّد اسمه ضمن ضيوف ذلك اليوم، ولما حان وقت توزيع الشرَّهات نودي بأسماء أصحاب الشرهات، فتقدم رجل آخر من البادية قد تشابه اسمه مع اسم صاحب النُّوق، فتسلَّم المبلغ وانصرف، وفي اليوم التالي جاء العُمَاني صاحب النوق، وسلم على الملك عبدالعزيز، فقال أيده الله: هل أُعْطِيتَ شَرْهتك؟ فقال: لا، فغضب الملك، وسأل عن سبب ذلك، فقال أمين المال: إنه دفع المبلغ، وأخذ إيصالًا من صاحبه، ولدى تحرِّي صحة ذلك تبين أن ثمة تشابهًا في الاسم، وأرسلوا في طلب البدوي وأحضروه، فلما حضر وأُفْهِمَ ما حدث، خشي عندها أن يُسترجَعَ منه المال الذي أخذه، وعندما وقف بين يدي الملك قال له: ما اسمك؟ فذكر اسمه المتشابه مع اسم صاحب النوق، فقال له جلالته: كم أخذت؟ قال: عشرة آلاف ريال، فقال له الملك: هي لك من عند الله، فخرج من مجلسه يحمد الله، ويدعو للملك، وأمر الملك لصاحب النوق بمثلها أيضًا[(٢)].

= الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٧٨.
والزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣١، ٤٧٨ - ٤٧٩.

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣١.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٣٢.

- ولم يقتصر كرم الملك عبدالعزيز على أفراد شعبه، أو على الصعيد المحلي؛ بل تخطاه إلى الصعيد الدولي، حتى أصبح الجميع يعلم أنه لو التقى والملك فإنه بلا شك سوف يعود محمَّلًا بأرفع الهدايا؛ فهذا هو الجنرال "جلبرت كلايتن" الذي زار الملك في جدة عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، ثم انتابه مرض جعله يغادر المدينة في أسرع وقت، وكان من عادة جلالته أن يقيم حفل وداع عند مغادرة ضيوفه، فَعُرض الحفل المعتاد على "جلبرت كلايتن" إلا أنه اعتذر عنه بلطف بسبب مرضه، وألمح إلى أنه لا يشعر بالرغبة في تناول أي طعام، وبناء على ذلك أمر الملك فورًا أن تزوَّد باخرته بالتموين الكافي لإطعام طاقمها برمَّته في رحلة العودة إلى بريطانيا(١).

- وفي مناسبة أخرى عقب معركة السَّبَلة(٢) بقليل، وصل إلى الرياض

---

(١) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣١٩ - ٣٢٠. والسبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٣٩٥.

(٢) وقعت هذه المعركة بعد انعقاد مؤتمر الجمعية العمومية في عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م، وفيها جُدِّدت البيعة للملك عبدالعزيز على السمع والطاعة، وإبطال ما كان يدعيه الغلاة من حق إعلان الجهاد بغير إذن الإمام، وأصبح المخالف له حلال الدم والمال، وتجاهل البعض هذه القرارات، وأذاعوا في الهِجَر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي يهدمها عبدالعزيز! وعُرِفَ هؤلاء بالعصاة، وفي خضم الأحداث، كثرت غارات بعضٍ منهم على عرب العراق في بادية الكُوَيْت والزُّبَيْر، كما قام ابن بِجَاد بقتل جماعة من تجار القَصِيم، وأرسل سرية كبيرة بقيادة فَرْحَان بن مشهور من الرُّولَة للقيام بغارة في الشمال، وحدث أن صادف سرية أخرى بقيادة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي وهزمها، كل هذه الأحداث اضطرت الملك عبدالعزيز إلى القيام بالزحف عليهم في روضة السَّبَلة على مقربة من الزُّلْفِي، وقبل نشوب المعركة أرسل إليهم من يدعوهم إلى النزول عند حكم الشرع، ولكنهم أبَوْا، فَهُزِموا في ١٩ شوال عام ١٣٤٧هـ - ٣٠ مارس ١٩٢٩م.
الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، مرجع سابق ص: ٥٠٥ - ٥٢٠.

وفد من شيوخ الكويت برئاسة الشيخ أحمد الجابر الصُّبَاح[١]؛ لتهنئة الملك على انتصاره في تلك المعركة الحاسمة، وكانت الخزينة مرهقة بعد ذلك الصراع الطويل، ولكن ذلك لم يَفُتَّ في عَضُد الملك الذي استطاع بطريقة ما أن يكرم ضيوفه بأجزل العطايا[٢].

- وإن ما يزين هذا السخاء حَقًّا: أنه كان مقترنًا بعظم تواضع الملك لربه سبحانه، وتحدُّثه بنعمته عليه؛ فقد كان ينفق كل هذه النفقات، ويعطي كل هذه العطايا، وهو يقول لشعبه: "إني لم أحصل على كل هذه الأموال بمجهودي، بل هي رزق من الله قدَّره لي، وجميعكم شركاء لي فيه؛ ولذلك أرجو أن ترشدوني إلى ما يقربني إلى ربي، ويكون وسيلة لغفران الله لي"[٣].

٧- نخـوته:

النَّخْوَة: الفخر والاستنكاف؛ انتَخَى فلانٌ: افتخَرَ، وانتخَىٰ من كذا: استنْكَفَ منه، والعرب تنتخي من الدَّنَايا، أي: تستنكف عنها وتترفَّع[٤].

---

(١) أحمد بن جابر بن مُبَارَك آل صُبَاح؛ من أمراء أسرة آل صُبَاح الحاكمة في الكويت، ويأتي ترتيبه العاشر في حكم هذه الإمارة، ولد عام ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م، تولى الحكم بعد وفاة عمه سالم بن مبارك الصباح عام ١٣٣٩هـ، ظهرت في عهده ينابيع النفط، وبقي في الإمارة إلى حين وفاته سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
الحازمي؛ إبراهيم بن عبدالله، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي من سنة ١٣٠١ - ١٤١٧هـ، دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، الجزء الأول، ص: ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٢) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

(٣) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٣.

(٤) الزمخشري؛ جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الجزء الثاني، ص: ٢٥٨، مادة (ن خ و). والزَّبِيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء الأربعون، ص: ٥١، مادة (ن خ و).

وتؤكد المواقف التالية أن النخوة صفة من صفات الملك عبدالعزيز وتظهرها لنا بجلاء:

كانت معاهدة المحمَّرة التي عقدَهَا الملك عبدالعزيز مع العراق في ٧ رمضان ١٣٤٠هـ/ ٥ مايو ١٩٢٢م - وما تلاها من بروتوكولَيِ العَقِير في العام نفسه - تنصُّ في أحد بنودها على تسليم المتسلِّلين، ولما كانت قبيلة شَمَّر تتوزع بين المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية وبين العراق، فقد رأى الملك أن يضع حدًّا فاصلًا بين شَمَّر الذين يعيشون في المملكة العربية السعودية وقبيلة شَمَّر التي تعيش بالعراق، وذلك بإعادة من كان يسكن بادية نجد إلى أرضه؛ ومن يسكن العراق إلى أرضه؛ تحاشيًا لخلافات القبائل، وحتمت المعاهدة على العراق رد المتسللين من المملكة العربية السعودية إليها، ويعد من أبناء بادية العراق كل من كان يقطن العراق من هذه القبيلة قبل توحيد الجزيرة، وأن على المملكة العربية السعودية أيضًا أن تسلِّمه للعراق في حال طلب حكومته له.

وقبيل توحيد الجزيرة بسنوات قليلة نزح إلى العراق عُقَاب بن عِجْل[1] رئيس فخذ من عشيرة عَبْدة[2]، لكن لما كان عُقَاب يعد من بادية نجد طبقًا للمعاهدة، فقد رأى الملك أن يطالب الحكومة العراقية بتسليمه، وسعت

(١) عُقَاب بن عِجْل؛ من عَبْدة من شمَّر، اشتهر بالشجاعة والكرم، وكان صاحب رأي ومشورة في إمارة آل رشيد.
العاني؛ خالد عبدالمنعم، آل الجربا ومشاهير قبيلة شَمَّر في الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٢٥٥.

(٢) عبدة: من بطون شَمَّر الرئيسة، ويعود نسبها إلى قحطان، وجذورها في الضياغم، وسكناها في نجد إلى اليوم، وتسمى شمر الجبل، وقسم منها في العراق وسورية.
المرجع السابق، ص: ٣٢.

الحكومة العراقية في تحقيق رغبته، بَيْدَ أن شيخًا من كبار مشايخ قبيلة شَمَّر في العراق هو عجيل اليَاوَر[١] - وكان عضوًا في البرلمان العراقي يومئذ - وقف من هذا الأمر موقف المعارض، لا بصفته نائبًا في البرلمان، بل بصفته عربيًّا استجار بحماه عربي لا حول له ولا طَوْل. حاول عجيل اليَاوَر أن يقنع الحكومة العراقية بأن هذه المعاهدة تنافي الشيم العربية، فردَّت عليه حكومته بأنه ليس أعلم من الملك عبدالعزيز بشيم العرب وعاداتهم وتقاليدهم، ولو كان الأمر كما تظن لما أقدم الملك عبدالعزيز على توقيع هذه المعاهدة، ولما أقدم أيضًا على مطالبته لنا بتسليم ابن عِجْل، ولمَّا كان عجيل اليَاوَر أحد أذكى زعماء العشائر، فقد استطاع أن يقنع الملك عبدالعزيز بالتخلي عن مطالبته بابن عِجْل؛ حيث قال للمسؤولين العراقيين: اكتبوا على لساني إلى الملك عبدالعزيز، وقولوا له: إن عجيل اليَاوَر يناشدك الله والنَّخْوة العربية، ويسألك: هل تسلِّم عُقَاب بن عِجْل إلى حكومة العراق لو كان من باديتها، وطالبتك حكومته بتسليمه بعدما لاذ بحِمَاك كما لاذ بحماي؟

وأُرسلت الرسالة إلى الملك عبدالعزيز، وهنا تظهر نخوته العربية الأصيلة وذكاؤه السياسي؛ حيث إنه لم يطالب بابن عِجْل، كما أنه لم يرسل رَدًّا إلى حكومة العراق، بل كان ردُّهُ عمليًّا عندما استجار به بعد ذلك بسنين رَشِيد عالي الكِيلَاني[٢] بعدما أخفق في ثورته التي قام بها ضد بريطانيا إبان

---

(١) عجيل عبدالعزيز الياور، من زعماء قبائل شَمَّر بالعراق، عينه الملك فيصل الأول ملك العراق شيخًا لمشايخ شمر عام ١٩٢٢م، وشارك عمليًّا في الشؤون السياسية حيث كان ممثلًا لشَمَّر في المجلس التأسيسي، توفي إثر سكتة قلبية عام ١٩٤٠م.
وليامس؛ جون فريد، قبيلة شمَّر العربية: مكانتها وتاريخها السياسي، ترجمة مير بصري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٢٤٣، ٢٤٩.

(٢) رَشِيد عالي الكيلاني (١٣٠٩-١٣٨٥هـ=١٨٩٢-١٩٦٥م)، زعيم ثورة اشتهرت باسمه في العراق، ولد في بغداد، واحترف المحاماة، وشارك في ثورة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، وعُيِّن =

الحرب العالمية الثانية؛ ولذلك اضطر إلى الهرب من العراق، ولجأ إلى المملكة السعودية، وطالبت الحكومة العراقية بتسليمه إليها، وكان جواب الملك عبدالعزيز ينبئ عن ثاقب فكره السياسي، وعن نخوته العربية التي تميز بها؛ حيث أشار إلى أن المعاهدة التي بينه وبين الحكومة العراقية تقضي بتسليم اللاجئ إذا كان مُجْرِمًا بحق الوطن، أما رَشِيد عالي الكيلاني، فلم يكن مجرمًا بحق الوطن، بل كان عمله موجهًا ضد حكومة أجنبية؛ كالحكومة البريطانية؛ ومِنْ ثَمَّ فهو مجرم في نظر الحكومة المستعمرة، وليس مجرمًا بحق العراق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قال: "أنا رجل عربي مؤمن بالتقاليد العربية مطبِّق لها، وقبل أن أكون مَلِكًا يقتضيني الأمر أن أكون رمزًا لخُلُقِ العرب؛ ولذلك لكم أن تطالبوني بتسليم من تشاؤون من أبنائي وعليَّ أن أجيب طلبكم فورًا، أما أن أسلِّم من استجار بي، فهذا هو المستحيل ما دام فِيَّ عرق ينبض بالحياة"[1].

= وزيرًا للعدل، قاتله البريطانيون إبَّان إقامته حكومة الدفاع الوطني المناهضة لهم عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، حماه الملك عبدالعزيز رحمه الله، وحال دون وصمه بمجرم حرب، وبعد وفاة الملك عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م غادر المملكة السعودية إلى القاهرة، ومنها إلى بغداد ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ثم انتقل بعدها إلى لبنان فتوفي ببيروت، ونُقل جثمانه إلى بغداد.
الزركلي، خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٢٣ - ٢٤.
هذا؛ ومما يجدر ذكره هنا أن رشيد عالي الكيلاني لم يكن المستجير الوحيد بالملك عبدالعزيز، بل استجار به كثير من المناضلين العرب، منهم - على سبيل المثال - الشيخ سلطان الأطرش، ورفاقه بنو معروف، ونَبِيه العَظْمة، وصبري العَسَلي، والدكتور محمد الشَّوَّاف، وخالد الحَكِيم، وغيرهم من الشخصيات العربية البارزة في ميدان النضال الوطني.
المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٢٧٨.

(١) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٨٦-٩٠.
والسبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص: ٧٧ - ٧٨.

موقف آخر نشرته مجلة "المصور" على لسان جَمِيل مِرْدِم بك[١]: أنه في أثناء زيارته يومًا للملك عبدالعزيز دخل عليه خصوم من قبيلتين متنازعتين ليفصل بينهم، ففصل جلالته في موضوع الخلاف بحكمة وبراعة، ودعا رؤساء القبيلتين إلى التعانق والتصافي، ونتيجة للنخوة العربية الأصيلة المتمثلة في خلقه، فقد أمر بأن يتحمل هو شخصيًّا قيمة الخسائر التي لحقت بالقبيلتين من جَرَّاء هذا النزاع[٢]، وذلك لا يعني أن الملك عبدالعزيز قد ألغى عمل القضاء، أو أنه قد انفرد بإصدار أحكامه، بل إن الملك كان يَعْنِيه من ذلك حَلُّ النزاعات في جانبها الإنساني والإداري، أما الجانب القضائي منها، فكان يحيله إلى القضاء المختص.

هذه المواقف وغيرها تؤكد لنا أن الفائدة من تدوين التاريخ لا تكمن في سرد أحداثه، إنما في استخلاص العِبَر، والعودة إلى الأصول المتمثلة في المُثُل والأخلاق التي نشأ عليها الملك عبدالعزيز، فهو يُعَدُّ - بحق - من قادة العرب الخبراء بشيمهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ ومِنْ ثَمَّ كانت نخوته العربية موافقة ومطابقة لهذه العادات.

---

(١) جَمِيل بن عبدالقادر مِرْدِم بك (١٣١١ - ١٣٨٠هـ = ١٨٩٤ - ١٩٦٠م)، وزير دمشقي من رجال السياسة، تعلم بفرنسا، وكتب منها إلى صحف دمشق، بإمضاء (طالب سياسة)، ثم أصبح مستشارًا خاصًا لفيصل بن الحسين في دمشق عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وحكم الفرنسيون بإعدامه بعد دخولهم سورية، فأقام في القاهرة ١٢ عامًا، ثم عاد إلى دمشق، فكان وزيرًا للمالية، واستقال عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وَهَمَّ الفرنسيون باعتقاله، ففرَّ إلى العراق، ثم عاد إلى دمشق في عهد القُوَّتْلِي، وزيرًا للخارجية، وتوفي بالقاهرة، ونقل إلى دمشق.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٣٨.

(٢) الجهيمي؛ ناصر بن محمد، الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، مرجع سابق، ص: ٢٠، نقلًا عن مجلة "المصور"، العدد ١١٥٠، في ٢٥/ ١٠/ ١٩٤٦م.

٨- صبــره:

الصَّبْر في اللغة: الحَبْس والكَفُّ في ضيق؛ ومنه: قُتِلَ فلانٌ صبرًا: إذا أُمْسِكَ وحُبِسَ للقتل، وهو نقيض الجَزَع[١]، والصبر يحمل صاحبه على التحلي بأخلاق أخرى؛ كقوة الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والعطف، والرفق، ويمنعه من الطيش والعجلة؛ ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له؛ كما أنه لا جسد لمن لا رأس له[٢].

فالصَّبْر والحِلْم والأَنَاة من أسمى الأخلاق الفاضلة التي يحبُّها الله ورسوله؛ قال تعالى في وصف الصابرين: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال للأشج؛ أشجِّ عبدالقيس: «**إنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ والأَنَاةُ**»[٤]، **وقد كان للملك عبدالعزيز نصيب وافر من هذا الخلق، ليس صبرًا فحسب؛ ولكنه صبر ممزوج بأناة وحِلم وحسن تدبير، وغير ذلك من ثمار هذا الخلق الكريم، ولعلَّه يكفيك للدلالة على ذلك: هذا التصرف الذي قام به أحد الحجاج الهنود الذين قدموا للسلام على الملك عبدالعزيز، فبعدما وضع الرجل يده في يد الملك، بدأ ينشد قصيدة مكتوبة في ورقة، لا تقل أبياتها عن مئة بيت، وكان الرجل سيِّئ الإنشاد؛ لأنه لا يحسن العربية، والملك واقف وحوله ذلك**

---

(١) الزَّبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء الثاني عشر، ص: ٢٧١ - ٢٧٢، مادة (ص ب ر).

(٢) ابن القيم؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٢٤، والجزء الثالث، ص: ٧٣.

(٣) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٤٦.

(٤) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (١٨).

الجمع الحاشد من الضيوف، وكلهم وقوف في شيء من السأم والملل والضجر، إلا الملك عبدالعزيز الذي أراد أن يُجَسِّد من هذا الموقف رمزًا للصبر والحلم والأناة، فلم يترك الرجل وينصرف، ولم يقاطعه بشيء من الحدة في الكلام، بل صبر على الرجل، ثم قاطعه بدعابة حلوة؛ حيث قال له: لمن هذه القصيدة؟ فارتبك الرجل قليلًا، وقال: إنها لي، فقال الملك: وقلتها فيمن؟ قال: قلتها في جلالتكم، وهي لكم، فبادره الملك عبدالعزيز بابتسامة حلوة رقيقة أخرى، وقال له: هات إذن القصيدة، ما دامت لي، وأنا صاحبها؛ لكي أقرأها على مهل في بيتي، فناوله الرجل إياها، وانفضت الأزمة، وتتابع الضيوف في السلام على جلالته والانصراف[١].

- وهذا موقف آخر لا يحتاج إلى تعليق، ولكنه يُنْبِئُ عن صبر الملك عبدالعزيز وحلمه؛ إذ وفد أعرابيٌّ على مجلس الملك، وعندما رأى الأعرابيُّ الملكَ يدخل إلى مجلسه، قال له: يا عبدالعزيز، أراك مُسْبِلَ الثوب! فاستعاذ الملك بالله من الشيطان الرجيم، وقال للأعرابي: جزاك الله خيرًا، ونظر إلى من في المجلس، وقال لهم: أتمنى أن تكونوا جميعًا مثل هذا الرجل، ثم وجَّه نظره إلى الأعرابي وسأله: عساك قرأت، فرد عليه الأعرابي: قرأت؛ قال له الملك: إذن، اقرأ وأَسْمِعْني قراءتك، وكان الأعرابي لا يحسن إلا قراءة الفاتحة، فقال له الملك: الحمد لله، إن معك قراءة الصلاة، ثم وقف الملك ونظر إلى من حوله قائلًا: يا إخوان تراني ما أسبَلْتُ؛ ولكن هذا الأعرابي عندما نظر إلى ثوبي ورآه واسعًا ظن أن هذا إسبالٌ[٢].

---

(١) السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) السبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ١٥١ - ١٥٣.

ليس هذا فحسب، بل إن ثَمَّةَ روايات تاريخية تشهد للملك عبدالعزيز بحسن أناته وواسع حلمه وصبره؛ في معاملة أفراد رعيته الذين كانوا ينادونه أحيانًا باسمه مجردًا من أي ألقاب؛ فذاك بدوي ظل يعدو وراء جيش الملك عبدالعزيز، وهو راحل إلى شَقْراء، وبقي ذلك البدوي يصرخ بأعلى صوته ويقول: أوقف مَطِيَّتك يا عبدالعزيز، رجل فقير مظلوم، لا تتركني لغيرك!! حتى وصل إلى الملك عبدالعزيز، فأوقف مطيته، وحين وقف البدوي تحتها والملك عبدالعزيز مستو على ظهرها يريد أن يسمع من الرجل الذي ملأ المعسكر صراخًا، ما كان من هذا البدوي إلا أن قال: يا عبدالعزيز، اتق الله!! الكبرياء له سبحانه، أنت مثلي؛ رجل مخلوق ضعيف لعظمة الله وجلاله، لا تنظر إليَّ مِنْ فوق ظهر مَطِيَّتك، فهذا لا يجوز!! تواضع!! لقد نصرك الله بالأمس، فأَعْطِهِ حقَّه من الشكر!! فأناخ الملك عبدالعزيز ذَلُوله ونزل إلى الأرض، ثم مَدَّ يده وصافحه قائلًا: مرحبًا يا أخ، ما أمرتني إلا بخير، ما اسمك؟ قال: مُطْلَق، قال: من أي القوم أنت؟ قال: من الإخوان، من القوم الذين قاتلوك بالأمس، قال: ما مظلمتك! قال: لقد اقتطع أمير الدَّوَادمي أفضل الأرض المشاعة بين المسلمين لإبله، ومنعهم من الرعي فيها، وحين دخلها جملي صادره ووضع وَسْمَهُ عليه، وقد طالبته أن يتقي الله، ولكنه طردني!! فما كان من الملك إلا أن رَبَتَ على كتف الرجل، وطلب ورقة وكتب عليها: من عبدالعزيز إلى أمير الدوادمي أعط لِمُطْلَق جمله، وأعطه من جمالك جملًا نكالًا لك على ظلمك له، واحذر أن يتكرر هذا منك مع أحد من المسلمين !! وناول الملك مطلقًا الورقة، ثم ركب مَطِيَّته[1].

وعندما تحرك الجيش والملك عبدالعزيز في مقدمته، لحق به هذا الأخ

---

(١) وهذه القصة مما يستشهد به أيضًا على عدل الملك عبدالعزيز رحمه الله.

مرة ثانية، وصاح: ريِّض يا عبدالعزيز - أي قف - فوقف، ثم قال له: انتهيت مني يا مُطْلَق، الله يهديك!! قال: خطك ما فيه رَشْمة - أي: ختم - قال له الملك: أمير الدَّوَادمي يعرف خطي، قال: لا، أعطني ختمك، فجاؤوا للملك عبدالعزيز بحبر، فختم الكتاب ثم مشى، فدعا له ذلك الرجل(١).

هذا موقفٌ غنيٌّ عن التعليق، رصده التاريخ فأظهر لنا بجلاء أن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يصدر إلا عن شخص قد تملَّكه خُلُقُ الحلم، حتى أمكنه من معاملة ذلك البدوي بهذه المعاملة.

وليست تلك هي المواقف الوحيدة التي أظهرت حلم الملك عبدالعزيز وجميل صبره وأناته، لكنْ ثَمَّةَ مواقف كثيرة تؤكد اتصافه بتلك الصفات، خصوصًا إبَّان نشأة المملكة وتوحيدها؛ حيث أجمعت المصادر التي تناولت سيرة الملك عبدالعزيز ونشأة المملكة: أن الملك لم يقم بحرب إلا وهو مضطر لذلك، وبعد استنفاده الوسائلَ السلميةَ كلَّها؛ فكان رحمه الله يميل دائمًا إلى تجنب القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وكان يسعى إلى حقن الدماء والجنوح للسلم والصلح مع خصومه، وإعطائهم الفرصة تلو الأخرى للدخول في الوحدة قبل أن يلجأ للقتال، وكثيرًا ما كان يردد ذلك في رسائله إلى رجال المناطق؛ حيث يقول:

"صار معلومًا حِنَّا مثل ما عرفناكم، وكما تعلمون، وكلٌّ يعلم، والله يعلم ذلك، ما لنا قصد إلا دور الراحة(٢) للعموم، وحقن دماء المسلمين لا غير ذلك"(٣).

---

(١) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص: ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) أي: البحث عن الراحة وتجنب المشاكل والفتن.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٩١- ٩٢.

إن رجلًا بمثل مكانة الملك ﷺ، كان لابد أن يتمتع بكثير من الصبر والحلم والأناة؛ ويشهد لذلك موقفه حين خرج عن طاعته بعض أتباعه من الإخوان الذين خالفوه في أمرين: إنكارهم استعمال المخترعات؛ بزعم أن استعمالها بدعة[١]، والثاني: قيامهم بالغزو. وقد حرص الملك ﷺ على ردِّهم إلى الحق، وبذَلَ في سبيل ذلك كل ما في وسعه؛ حيث خاطبهم أولًا خطابًا مباشرًا، ثم أرسل إليهم الرسائل والفتاوى من العلماء لبيان الرأي الشرعي في وجوب لزوم طاعة الإمام، وفي بيان الوجه الشرعي من بعض القضايا التي أثاروها، وحاول تبصيرهم بالعواقب والأخطار التي تحيط بالمملكة بسبب خروجهم عليه، بعد أن كانوا من جملة جنوده المخلصين، ولم يكتف بذلك ﷺ بل وَجَّهَ إليهم في الوقت نفسه عددًا من كبار العلماء أمثال الشيخين: عبدالله بن محمد بن سُلَيم[٢]، وعمر بن محمد بن سُلَيم[٣]، وقد كانا من أبرز

---

(١) انظر ص: ٦٦ - ٦٩.

(٢) هو: الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حَمَد بن محمد بن صالح بن حَمَد بن محمد بن سُلَيم؛ ولد في مدينة بُرَيْدة عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، شرع في القراءة على والده وعلى ابن عم والده محمد بن عمر بن سُلَيم، سافر إلى الرياض، وتَلْمَذَ على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حتى أدرك التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول العلوم العربية، ثم عاد إلى بلده، وقد صار من علماء ومشاهير عصره، تولى القضاء في البُكَيْرِيَّة ثم في بُرَيْدة، وكان مكرمًا مبجلًا عند الملك عبدالعزيز، توفي في ١١ من شهر المحرم عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٤٦١ - ٤٧١.

(٣) هو: الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن حَمَد بن محمد بن صالح بن حَمَد بن محمد ابن سُلَيم؛ ولد في بُرَيْدة عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، في حجر والده، فنشأ نشأة صالحة، حفظ القرآن الكريم، ثم شرع في طلب العلم، وأرسله والده إلى الرياض للقراءة على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ثم عاد إلى بلده، وعين إمامًا في مسجد عُودة الرُّدَيْني، وأرسله الملك عبدالعزيز إلى الأَرْطَاوِيَّة ليكون قاضيًا فيها، وواعظًا ومرشدًا، =

علماء القَصِيم آنذاك، فأوضحا لهم الأمر، وبيَّنا لهم الرأي الشرعي في مواضع الجدل التي أثاروها، عسى أن يثوبوا إلى رشدهم قبل أن يلجأ الملك إلى الشدة في حسم الأمر معهم؛ لكنهم مع ذلك كله لم يستجيبوا، بل ظلوا على خلافهم، واستمر الملك عبدالعزيز في الاحتمال والصبر والمحاورة(١).

وعندما فشلت جميع الطرق السلمية التي اتبعها الملك عبدالعزيز معهم، رحل الملك من الرياض إلى القَصِيم، وعندما رأى أن الأقدار تتحرك في اتجاه معركة الحسم، خاف أن يقع ذلك، فأرسل إليهم واقترح أن ينتخب علماء يأخذون مكانًا وسطًا، فانتخب الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العَنْقَري(٢)،

= بجانب أكبر زعماء البادية في وقته، ثم عين إمامًا في أحد مساجد بُرَيدة، وعمل مساعدًا لأخيه الشيخ عبدالله على القضاء فيها، ومرض وتوفي في ١٦ ذي الحجة عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ٣٢٩ - ٣٣٥.

(١) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٢٠٣، ٢٠٧ - ٢٠٨.

والعمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٩٠ - ٩٣.

(٢) عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن العَنْقَري (١٢٩٠-١٣٧٣هـ=١٨٧٣-١٩٥٤م)، ولد في ثَرْمَداء إحدى بلدان الوَشْم، وهي بلدة بني سعد، وتوفي والده وهو في الثانية من عمره، فتولت والدته وأعمامه رعايته، ثم كُفَّ بصرُه في السابعة نتيجة إصابته بالجدري، تعلم العلوم الأولية في بلده، على يد عبدالله بن ماجد وحَمَد بن شُعَيْل، ثم انتقل إلى الرياض، حيث تعلم على كبار العلماء فيها، من آل الشيخ وغيرهم، ثم عاد إلى بلاده، حيث أصبح إمامًا وخطيبًا ومعلمًا في جامعها، وذلك بعد وفاة حَمَد ابن شُعَيْل، عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا في سُدَيْر بعد ضمها، ثم تنقل بين عدد من القرى والهِجَرِ معلِّمًا وقاضيًا، إلى أن طلب الإعفاء من العمل في آخر عمره، بعد أن أعيته الشيخوخة، حيث تفرغ للعبادة والتعليم حتى توفي ﷺ، في صفر من عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م. =

والشيخ عبدالعزيز الشِّثْري[١]، وغيرهما، ونصب لهم خيمة بين المعسكرين، واختلف الإخوان على التحكيم، فلم يحضروا ورفضوا الاجتماع بالمشايخ وبالملك عبدالعزيز، ورغم ذلك فقد أتى فَيْصَل الدَّوِيش بنفسه إلى الملك عبدالعزيز، واتفقا على عودة كلٍّ منهم إلى مكانه، وإنهاء الخلاف، لكن ذلك لم يتم، وأرسل الملك عبدالعزيز أحد رجاله وهو سعود بن غَرِير إلى فَيْصَل الدَّوِيش ليقول له: ماذا حصل؟ أين ما اتفقنا عليه؟ لكنهم بادروا إلى إطلاق الرصاص على سعود بن غَرِير؛ عندئذ قال الملك عبدالعزيز: لقد فُرِضَ علينا القتال. فقاتلهم وهزمهم، وأدبر منهم مَنْ أدبر، وقُتِلَ منهم من قتل؛ وذلك بعد أن تَحَلَّى الملك عبدالعزيز معهم بكثير من الصبر[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه: أنه بعد توحيد البلاد أراد الملك عبدالعزيز أن يجدد الفرصة للمعارضين وغيرهم من الذين تركوا البلاد للعودة مرة أخرى إلى الوطن؛ فأعلن العفو العام عن الجميع في اليوم السابع من شهر شوال من عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م[٣].

= البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص:٢٦٥ - ٢٧٠.

(١) عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن حمد الشِّثري، أبو حبيب، ولد سنة ١٣٠٥هـ في حوطة بني تميم، وطلب العلم على عدد من المشايخ في عصره، وولي القضاء عام ١٣٣٧هـ، وعاش حياة حافلة بالدعوة إلى الله تعالى والإصلاح بين الناس حتى وافته المنية عام ١٣٨٧هـ.
الشثري، محمد بن ناصر بن عبدالعزيز، نفح الطيب في سيرة الشيخ أبو حبيب، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الثالثة، ص: ٢١، ٢٤، ٣٣، ٧١، ٧٢، ١٦٩.

(٢) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٢٠٩ - ٢١١، ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٩٤.

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد الذي يُظْهِر لنا جانبًا من الجوانب الإنسانية التي تمتع بها الملك عبدالعزيز، بل إن هناك مواقف أخرى كثيرة أثبتت للجميع أن الملك عبدالعزيز كان متمتعًا بصبر طويل ورويَّة وتعقُّل في الأمور؛ ما أدى بمحصِّلته إلى تحقيق توحيد البلاد؛ ألم يدوِّن التاريخ موقفه من حسن بن علي بن محمد المعروف بابن عائض[١]؟! ومن آل رَشِيد؟! ومن عبدالرحمن بن ضَبْعان حاكم بُرَيْدة وأحد رجال ابن رَشِيد؟! وكذلك مواقفُهُ الإنسانية المشهودة عند حصار جُدَّة؟! والتي تدل دلالة واضحة على تمتع الملك بطول النَّفَس والصبر الطويل في الحصار، رغم توقُّعه رجوح كفته في القتال فيما لو حدث، وما جرى منه من أناة طويلة رغبة منه رحمه الله لدفع الشريف الحسين للاستسلام؛ حرصًا منه على حفظ الأنفس، وحقنًا للدماء من الطرفين[٢]، وكان يردد دائمًا: ما ادخرت جهدًا لحل ما بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن، ولكن الحسين كلما دنوتُ منه تباعد[٣].

وبحكم اقتصار هذه الدراسة على المنحى الإنساني والأخلاقي عند الملك رحمه الله، فإننا لن نخوض في تفصيلات الأحداث بين الملك عبدالعزيز وبين الأشراف، التي استطاع الملك عبدالعزيز بعدها أن يوحِّد البلاد؛ لكننا

---

(١) حسن بن محمد بن علي بن عائض، آخر أمراء أسرة آل عائض، وهي أسرة تنتسب إلى مؤسس إمارتها عائض بن مَرْعِيّ، من أهل رَيْدة، من آل زيد من بني مُغَيْد من قبيلة عَسِير، وقد استقلَّ ابن عائض بحكم عَسِير، بواسطة سليمان شَفِيق كمالي باشا مُتصرِّف أَبْهَا، من قِبل الدولة العثمانية. توفي عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٢٠٧.

(٢) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٩٠.

(٣) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣٢٩ - ٣٣٠.

سنكتفي هنا بالإشارة إلى موقف الملك من ابن عائض الذي يدل دلالة كاملة على أن الملك قد تمتع بالصبر والحلم في جميع مواقفه؛ ففي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وفدت جماعة من زعماء القبائل في عَسِير إلى الرياض، وشكت إلى الملك عبدالعزيز سوء المعاملة التي كانت تعانيها على يدي ابن عائض، فوافق الملك على أن يتوسَّط لهم عنده، لكن ابن عائض رفض أن يناقش ذلك الأمر مع الوفد السعودي، واعتبر الفكرة تدخُّلًا سياسيًّا لا مبرر له في شؤونه الداخلية، ثم ضاعف من اضطهاده لزعماء القبائل، وانتهى الأمر بقيام الملك عبدالعزيز بإرسال جيش بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مُسَاعِد بن جلوي[1] إلى عَسِير في نهاية عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، وحين وصل ابن مساعد إلى منطقة بِيشَة، عسكر هناك، وأرسل رسالة إلى ابن عائض يطلب منه أن يؤكِّد ولاءه للملك عبدالعزيز، فما كان من ابن عائض إلا أن أجابه إجابة مباشرة؛ ذلك أنه أرسل رسولًا ومعه حزمة صغيرة تحتوي على مُشْط من الرصاص، ولم يكن في الإمكان توجيه دعوة للقتال صراحة أكثر من ذلك، وتقدم ابن مُسَاعِد بالجيش إلى وادي حَجَلة[2]، وانهزم جيش ابن عائض، وانسحب إلى أَبْهَا، وأحكم استحكاماته الدفاعية، وتقدَّم الجيش السعودي نحو أبها، واستولى عليها دون مقاومة، واستسلم ابن عائض، وعامله عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بلطف، وأرسله مع أفراد آخرين من أسرته إلى الرياض، وهناك استقبله الملك عبدالعزيز بما عُهِدَ به من الشهامة

---

(١) الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي؛ هو ابن عم الملك عبدالعزيز، وأمير القَصِيم، ثم حائل، وأحد الرجال الذين خرجوا معه من الكويت.
التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٤١٩.

(٢) حَجَلة: واد يقع بين أَبْهَا وخَمِيس مُشَيْط. الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٤٩.

والكرم، حتى إنه عرض عليه أن يكون أميرًا له في عَسِير، ورفض ابن عائض، ومع ذلك فقد سمح له الملك عبدالعزيز بالعودة إلى عَسِير، وقام ابن مساعد بتعيين فَهْد العُقَيْلي أميرًا لِأَبْهَا، وقام ابن عائض بالتمرد مرة أخرى على الملك عبدالعزيز، وحاصر أَبْهَا وسقطت في النهاية، وأُخذ فَهْد العُقَيْلي أسيرًا[١]، وتربَّع ابن عائض على سُدَّة الحكم مرة أخرى، ورغم البعد النسبي لتلك المنطقة عن قاعدة الحكم، إلا أن رد فعل الملك عبدالعزيز كان سريعًا؛ حيث بادر رحمه الله بإرسال حملة جديدة للمنطقة بقيادة ابنه فَيْصَل بن عبدالعزيز رحمه الله، واستطاعت الحملة أن تعيد الأمور إلى نصابها، وقام فيصل بتعيين أمير جديد في أَبْهَا، وهو عبدالعزيز بن إبراهيم[٢]، أما حسن بن عائض فقد أُخذ أسيرًا هو وأسرته مرة أخرى إلى الرياض، حيث استقبله الملك عبدالعزيز - بحلمه وكرمه العظيمين - استقبالًا حارًّا، وعفا عما قام به[٣].

لقد دوَّن التاريخ هذا الموقف وأمثاله ليس سردًا للأحداث فحسب؛

---

(١) المانع، محمد؛ توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٩٦ - ٩٩.

(٢) عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم؛ من مواليد الرياض عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، أول أمير عين على الطائف عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وتقلَّب بعدها في مناصب عدة، ثم نقل إلى المدينة المنورة، ونقل منها عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م إلى مجلس الوكلاء، فكان عضوًا من أعضائه، سافر إلى مصر للعلاج، وتوفي بها عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣٣٧ - ٣٣٨.
ويذكر خالد الفرج أن الأمير فيصل، كان قد عين سعد بن عُفَيْصَان قبل عبدالعزيز بن إبراهيم، ولكنه توفي فأسند الأمور إلى عبدالعزيز بن إبراهيم.
الفرج؛ خالد، الخبر والعيان، مرجع سابق، ص: ٤٣٠.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٥٣.

بل للإشارة إلى ما تنطوي عليه تلك الأحداث من صفات إنسانية قد تجمَّعت في شخص الملك عبدالعزيز الذي وَسِعَ صبرُه جميعَ مَنْ حوله، رحمه الله ووفاه أجره بغير حساب؛ فقد كان مثالًا ونموذجًا للصبر والحلم والأناة.

٩- عفوه وصفحه:

أصل العَفْو والصَّفْح: التَّرْك، ولكن العفو: ترك معاقبة المذنب، والصفح: ترك تأنيبه ولومه[١].

وقد أمر الله تعالى بالصفح والعفو في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

ولقد وُصِفَ الملك عبدالعزيز بأنه كان من أشد الناس تمسكًا بهذا الخُلُق؛ حيث كان يُسَرُّ أعظم السرور إذا قُدِّر له أن يظفر بخَصْمه ثم يعفو عنه، ولابد أن هذا ناشئ عن تَمَسُّكه بالكتاب والسُّنة، وإيمانِهِ الشديد بضرورة تطبيق ما جاء فيهما.

وإن أعظم العفو ما كان عند المقدرة، ولقد تميز الملك عبدالعزيز بذلك؛ ويشهد على هذا أقواله وأفعاله، فمن كلماته الخالدة التي كان يرددها على خصومه إذا وقفوا بين يديه:

"عاهدوني على الإخلاص لله، والعمل على سعادة المسلمين،

---

(١) الزَّبيدي؛ محمد مرتضى الحُسَيْني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ٥٤٠، مادة (ص ف ح)، والجزء التاسع والثلاثون، ص: ٦٧ - ٦٨، مادة (ع ف و).

(٢) سورة فُصّلَت، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

وأما شخصي فدعوه جانبًا"[١].

وهذا لم يكن مجرَّد كلامٍ يردده الملك؛ بل إنه قَرَن ذلك القول بالعمل؛ والدليل على ذلك ما جاء في قوله:

"لما منَّ الله بما منَّ من هذا الفتح الإسلامي الذي كنا ننتظره ونتوخاه، أعلنتُ العفو العامَّ عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى، فقد أحلتُ أمرها للقضاء الشرعي؛ لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو".

فتأمل تلك الدقة في الحكم لدى الملك عبدالعزيز؛ حيث فرَّق بين حقه في العفو عن أصحاب الجرائم السياسية التي تتعلق به شخصيًّا؛ بوصفه قائدًا للبلاد، وبين الجرائم الأخرى التي تحتاج عند الفصل فيها إلى القضاء الشرعي؛ وهذا يعني أنه كان يحث على العفو متى كان هذا العفو لا يخالف منهجه في تطبيق شرع الله[٢].

كما كان ﷺ يؤمن بأن العفو عن العدو أو المسيء هو من أعظم ما يؤلَّف به بين قلوب الناس، بل إنه يبدِّل العداوة إلى درجة عالية من المحبة؛ ومما يُسجل هنا بأحرف من ذهب: أن تَدَيُّنَهُ بلغ به أن تجاوز مجرد العفو عمن أساء إليه؛ وفي ذلك يقول:

"مَنْ خَدَعنا بالله، انخدَعْنا له، وحسابه على الله، والله من ورائه محيط"[٣].

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٤.

(٢) السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٩٦- ٩٧.

(٣) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٤.

ولاشك أن في هذا عملا بقول الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(١)، واقتداء بالسيرة النبوية العطرة وما جاء فيها من نماذج للعفو والصفح.

ومن هذا المنطلق في اتباع النهج الإسلامي القويم سار الملك عبدالعزيز رحمه الله في معاملة أبرز خصومه بالعفو عند المقدرة، ويحتفظ سجل الملك عبدالعزيز التاريخي بالعديد من النماذج التي تدل على التزامه بهذه السمة العالية من سمات الخير في شخصيته، والتي ظهرت في مختلف مراحل مسيرته إبَّان الوحدة السعودية التي تحققت على يديه.

- ومن النماذج المبكرة في ذلك: ما فعله الملك عبدالعزيز عند استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م؛ إذ أعطى الباقين في الرياض من رجال خصمه ابن رَشِيد الأمان على دمائهم؛ فخرجوا وتوجَّهوا إلى حائل، وعلى المبدأ نفسه أمَّن الملك عبدالعزيز رحمه الله عبدَالرحمن بن ضَبْعان أحد رجال ابن رَشِيد وأمير بُرَيْدة من قِبَلِه، وأذن له ولرجال سَرِيَّته بمغادرة بُرَيْدة بعد انضمامها إلى الملك عبدالعزيز عام ١٣٢٢هـ(٢).

- ومن الشواهد الدالة على عفوه وصفحه: ما فعله مع أهل حائل وزعامتهم من آل رَشِيد؛ حين كان العداء مستحكمًا بينهم وبين آل سعود؛ حيث حاصر الملك عبدالعزيز حائل عاصمة آل رَشِيد، وضيّق عليهم الخناق، فانتدب الأمير محمد بن طَلَال آخر أمراء آل رَشِيد أحدَ رجاله، وهو عبدالعزيز بن إبراهيم لمفاوضة الملك عبدالعزيز في أمر التسليم، على

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٢) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٨٥ - ٨٦.

أساس أن يعفو الملك عن الأمير وأسرته وآل رَشِيد وأتباعهم وكل مَنْ بمعيَّتهم، فوافق الملك على ذلك وعفا عنهم عفوًا تامًّا؛ فاستسلموا له، وأسكنهم في قصور شامخة في الرياض، وأجرى عليهم المال الكثير، بل اقترن بزوجة منهم، وأصبحوا من مجالسيه المخلصين؛ كما أن جلالته قد اختص عبدالعزيز بن إبراهيم - رسول السلام - برعايته، وجعله من خيار خاصته(١).

- ومن نماذج عفو الملك عبدالعزيز أيضًا: ما وقع منه عندما نكث السادة الأدارسة عهدهم مع جلالته؛ ذلك أنه عندما وجد محمد بن علي الإدريسي نفسه بين نارَي جارَيْهِ الشريف حسين في الشمال، والإمام يحيى في الجنوب، وأنْ لا قِبَلَ له بهما، التجأ إلى الملك عبدالعزيز - سلطانِ نَجْد وملحقاتها يومئذ - لكي يقوم بتأمينه وتأمين بلاده، وأجابه الملك عبدالعزيز إلى ذلك، وتوفي محمد بعد ذلك، وبوفاته وقعت بلاده في براثن الفتنة؛ حيث تولى مكانه ابنه علي بن محمد، وكان ضعيفًا فعاجله الإمام يحيى فانتزع منه الحُدَيْدة، وتوغَّل في الساحل شمالًا حتى وصل إلى ميدي، ومن ثَمَّ قام أهل البلاد بالثورة على علي بن محمد وخلعوه، وبايعوا عمه الحسن بدلًا عنه، ولجأ عليٌّ إلى الملك عبدالعزيز، وأقام في مكة(٢).

وقام الحسن بمفاوضة عدة جهات في آن واحد، منها الإيطاليون والبريطانيون، كما فاوض الإمام يحيى، والملك عبدالعزيز أيضًا، ونجح في

---

(١) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٣٤.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٣٤ - ٥٣٥. وحمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مرجع سابق، ص: ٣٤٥.

عقد معاهدة مكة مع الملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ووُضِعَتْ بلاده أو المقاطعة تحت حماية الملك بموجب هذه المعاهدة، واحتفظ الملك عبدالعزيز بالشؤون الخارجية تاركًا للحسن إدارة الأمور الداخلية، التي عجز عن إدارتها؛ فاضطر الملك عبدالعزيز إلى إرسال مندوب من طرفه لمعاونة الحسن(١).

كما حضر مندوبون من قبل الحسن إلى الطائف عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م؛ لوضع القواعد الأساسية لإدارة البلاد، ووافق الملك عبدالعزيز على اقتراحات وفد الحسن(٢).

ورغم ذلك فإنه بعد توحيد أجزاء المملكة وجعلها مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية، كان من المنتظر إعادة النظر في تشكيلات الإدارة في مقاطعة الحسن، إلا أنه اغتَرَّ بما زيَّنه له بعضهم في ذلك الوقت كما فعل "حزب الأحرار" الحجازي، الذي قام بتحريضه على الملك عبدالعزيز، ووافق الحسن على ذلك، ورفع راية العصيان ضد حكومة الملك عبدالعزيز الذي جرَّد هو الآخر حملة تأديبية قضت على تلك الحركة، بل ووضعت الحملة حَدًّا لحكم الأسرة الإدريسية الذين رحلوا إلى اليمن، وبانتهاء الحرب اليمنية السعودية أوائل عام ١٣٥٣هـ - مايو ١٩٣٤م، كان تسليم الأدارسة شرطًا من شروط الصلح مع الإمام يحيى(٣).

وبعد تبادل البرقيات المتعددة بين الملك وبين الإمام يحيى، أُرْغِمَتِ

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٣٥ - ٥٣٦.

(٢) حمزة؛ فؤاد، قلب الجزيرة، مرجع سابق، ص: ٣٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٦٦. والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٣٧.

اليمن على تسليمهم، وعلى إثرها تعهد الملك عبدالعزيز بالعفو عن الجميع، ويبدو أن الإمام يحيى قد تخوف من رد فعل بعض الأمراء، فطمأنه الملك عبدالعزيز في ذلك، وأعلمه بأنه وفيٌّ للعهد، حتى وإن كان الخصوم من ألد أعدائه؛ فهو دائمًا يفي بالوعد الذي قطعه على نفسه، ومن ثَمَّ فقد سُلِّموا فعلًا إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز في الحُدَيْدة في ٢٢ صفر سنة ١٣٥٣هـ، وهم بين الرجاء واليأس، وما إن رأوا من سمو الأمير الإكرام والحفاوة حتى بادر السيد الحسن الإدريسي برفع برقية إلى الملك عبدالعزيز، هذا نصها:

«جلالة الملك المعظَّم عبدالعزيز، أيَّده الله، شملنا إحسان واعتناء صاحب السمو نجلكم الموفَّق في الحط والترحال، إلى أن وصلنا الحُدَيْدة في يومنا هذا، الساعة العاشرة، فنشكركم على حلمكم، وحسن مكارمكم، والسلام عليكم».

فتفضَّل جلالته، فطيَّب خاطره - بعد كل ما مضى - بالبرقية الآتية:

«الأخ السيد الحسن الإدريسي- الحُدَيْدة:

الحمد لله على وصولكم بالسلامة، تفهم - بارك الله فيك - أن هذه الأمور التي جرت بتقدير الباري، ثم بأسباب أعدائكم، وإلا فنحن - إن شاء الله - كما تخبرون لكم عاجلًا وآجلًا، والأمور التي فاتت لا شك أنها قضاء وقدر، وأنتم كونوا مطمئني الخاطر، على أننا ما نتغير عليكم، وأنتم - إن شاء الله - ما ترون إلا ما يسركم في جميع الحالات، حالكم حالنا، والله يوفقكم. عبدالعزيز».

ثم إنه في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، عندما سُلِّم إلى سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز في الحُدَيْدة أيضًا السيد عبدالوهاب الإدريسي، وأمر بإرساله إلى مكة المكرمة، رفع السيد عبدالوهاب إلى الملك عبدالعزيز البرقية الآتية:

«جلالة والدنا الملك عبدالعزيز المعظَّم، وصَلْنا الحُدَيْدة بالسلامة، وقد رأينا من سمو نجلكم المعظَّم كل إكرام، وقابلنا أحسن مقابلة، نسأله - تعالى - أن ينصركم على أعدائكم، ويديم لنا عطفكم وشفقتكم الأبوية، ونؤمِّل من مراحمكم أن تصفحوا عما مضى، ما زلتم موفقين لكل خير. ولدكم: عبدالوهاب بن محمد الإدريسي».

فتفضل الملك بالرد عليه بجواب يعد بحقٍّ أصدق تعبير عما جُبِلَتْ عليه نفس الملك عبدالعزيز؛ من العفو عند المقدرة، والوفاء بالعهد، والحرص على أصدقائه القدماء، حتى ولو أساؤوا؛ وهذا نص البرقية:

«الحمد لله على وصولكم بالسلامة، تذكر من قبل إكرام الابن فيصل لكم، فهذا واجب وحق لكم، وتذكر أننا نعفو عنكم عما فات بارك الله فيكم، ما فعلتم معنا شيئًا إنما فعلكم في أنفسكم، والحقيقة أننا نأسف على ما حصل، وأنت ليثبت لديك ثلاثة أمور:

الأول: أننا نشفق على كل عربي.

الثاني: أن الصداقة التي بيننا وبين والدكم محمد ما ننساها، لو لم يبق منكم إلا امرأة واحدة.

الثالث: لو أنكم فاعلون جميع الأعمال، وتأتون إلى محلنا ومقامنا؛ فإننا ننسى ما فعلتم، ولا ترون منا إلا الإكرام عاجلًا وآجلًا إن شاء الله. عبدالعزيز، في **١٤ ربيع الأول ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م**»[(١)].

- إن نماذج العفو لدى الملك عبدالعزيز كثيرة، ومن ذلك موقفه من أحد خصومه من الإخوان، وقد أَتَوْا به إليه أسيرًا؛ ويدعى طامي القُرَيْفَة،

---

(١) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١١٣ - ١١٥.

وهو فارس من فرسان مُطَيْر، وأمير هِجْرة مُبَايِض، وهي هجرة من هِجَر الإخوان، وكيف أثر موقف الملك عبدالعزيز في ذلك الرجل، وحوَّله من خصم إلى رجل من رجاله؛ حيث إن الرجل لما وقف بين يدي الملك عبدالعزيز، قال له الملك: «ما أكثر ما أكرمتك وقدَّمتك على الآخرين!»، ونهره الملك كثيرًا وعاتبه عتابًا شديدًا، والرجل صامت، ثم قال الملك: «أبرأ إلى الله من الظلم؛ في هذا الرجل صفتان: الكرم والشجاعة». ثم نظر إلى الرجل وقال له: «ما تقول؟»، فقال: يا عبدالعزيز، ليس عندي شيء أقوله، ذنوبنا كثيرة، وعفوك أكبر، وعدلك في الأحكام واسع؛ فأنت - يا طويل العمر - يوم تقول عني: إن فيَّ صفتين: الكرم والشجاعة، أضفيتَ عليَّ بذلك شرفًا لا أستحقه؛ أهالي نجد إذا أرادوا أن يثلبوا إنسانًا، قالوا له: ليس فيك واحدة من الاثنتين الكرم والشجاعة، وقد جمعتَهما فيَّ، أبقني رجلًا من رجالك، فنظر إليه الملك عبدالعزيز، وقال له: لقد عفوتُ عنك[1]، فكان بعدُ مِنْ أخلصِ رجالِ الملك عبدالعزيز.

- ومن عفوه أيضًا: أنه لما جرَّد حملة بقيادة فهد بن عبدالله بن جلوي لقتال ضِيدان بن حِثْلين[2] وجماعة العُجْمان، ورَغِبَ ضيدان في السلم على كره من أتباعه، فلما أتى ضيدان فهدًا ليفاوضه، أمسك به رهينة عنده ليبلو

---

(١) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٢٢٠.

(٢) ضيدان بن خالد بن حِزَام آل حثلين؛ زعيم العُجْمان، وقف مع الدَّوِيش والإخوان في موقفهم المشهور ضد الملك عبدالعزيز، كما كانت له إغارات متعددة على أطراف العراق، والكويت، وقتل في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م على أيدي جنود الحملة التي قادها فهد بن عبدالله، والتي خرجت من أجل إلقاء القبض على ضيدان، وتولى رئاسة العجمان بعده ابن عمه نايف بن حثلين الملقب بأبي الكلاب.
الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص: ٥٢١ - ٥٢٥.

حقيقته؛ خشية أن يكون قدومه تجسُّسًا لا رغبة في السلم والسلام؛ ولإحساسه بالغدر أوصى حرَّاس ضيدان بقتله إذا حاول قومه إطلاقه، وقامت امرأة من العُجْمان بإثارة النخوة في أتباع رئيسهم، فهجموا - وهي معهم - وفتكوا بفهد وكثير ممن كانوا معه، ونفذ الحراس قتل ضِيدان، ثم ظفر بهم الملك عبدالعزيز بعد ذلك، ولم يقربهم بسوء(١).

- ومن عفوه كذلك: ما وقع مع فئة من أتباع فيصل الدَّوِيش كانت قد شذت عن الطاعة، وخرجت عن الجماعة، وناوأته وتمردت، وشَهَرت السلاح في وجهه، وأبت مسالمته وطاعته، ورفضت عفوه ودعوته، وشاء الله أن يحدث الصدام المسلح، وأن يحسم تمردهم وينتصر عليهم، وهرب عدد منهم إلى خارج الوطن، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأيقنوا أن غضب الملك أرحم من عطف الآخرين، وأن قسوته أجمل من إكرام المجاورين؛ ولهذا قرروا اللجوء للملك عبدالعزيز خصمهم بالأمس، وحين وصلوا إلى معسكر الملك المنتصر، وجدوا قبولًا وضيافة، وباتوا ليلة آمنة.

وفي الصباح كان موعد المقابلة مع الملك، وجاء المذنبون وجلس الملك في صِيوَانه (خَيْمته)، وقال لهم ما معناه: «ماذا أتى بكم؟! بالأمس كنتم فرسانًا متعطِّشين للدماء، جندلتم في هذه الصحراء أعدادًا كبيرة من المسلمين، وتجاوزتم كل الحدود؛ الآن لو أمرتُ بقتلكم جميعًا، فهل أنا ظالم لكم؟! هل أنا خائن لعهد؟! هل بيني وبينكم أمان؟... ما الذي جاء بكم إليَّ؟!»، وبعد أن عنف الملك أولئك الجناة وقف أحدهم واستأذن الملك في الكلام، فأذن له، فقال: يا عبدالعزيز، ليس بيننا وبينك عهد

---

(١) الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، مرجع سابق، ص: ٥٢١ - ٥٢٥. وعطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٧٢٦.

ولا أمان، إذا قتلتنا قتلتنا غير مظلومين، وإن عفوت فما جاء بنا إليك إلا معرفتنا بك وبمكارم أخلاقك، أخطأنا في حَقِّك كثيرًا، وأسأنا الأدب وزعزعنا الأمن، وبقدر ذنوبنا وأخطائنا ينتظر هؤلاء منك العفو، وهو أقتَلُ لنا من السيف، نحن كرامٌ سنحافظ على ولائنا، سنقدِّر هذا العفو إن شاء الله، فاعف عنا ولا تؤنبنا؛ فإننا لا نتحمل التأنيب!.

سكت الملك هُنَيهة، ولسان حاله يردد قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَـا قَـتَـلَ الأَحْـرَارَ كَـالـعَـفْـوِ عَـنْـهُـمُ
وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ اليَدَا؟![١]

ثم قال الملك ما معناه: حسبي الله عليكم، والله إنكم مني بمنزلة الأبناء، إذا قَطَعْتُ رحمي فيكم، وأنتم عضدي الأيمن، فبأيِّ عضد أتقي مصائب الحياة؟! أنتم أبنائي وقد عفوت عنكم. ثم التفت إلى أنصاره وإلى الجمع حوله وقال: هؤلاء إخوانكم وأبناء عمومتكم، إنهم من خيرة شعبي، إنهم مَنْ أعطى من نفسه ومن دمه وعَرَقه لهذه الدولة الشيء الكثير، وماضيهم يشفع لحاضرهم، لا أسمع من واحد منكم يقول: نحن أنصار عبدالعزيز ورجاله، وهؤلاء أعداؤه وخصومه؛ لهم عندي مثل ما لكم[٢].

ما هذا القلب الكبير الذي استطاع أن يحوِّل بحكمته شديدي العداوة إلى أنصار مخلصين؟!

وما موقف رَشِيد الناصر بن ليلى[٣] بأقل من المواقف السابقة، فلقد كان

---

(١) البرقوقي؛ عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١١.
(٢) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٢٢٧ - ٢٢٩.
(٣) رشيد بن ناصر بن رشيد بن ليلى (١٢٩٤-١٣٦٢هـ)، ولد بمدينة حائل، وتلقى تعليمه =

رَشِيد هذا يتمتع بثقة مطلقة من ابن رَشِيد لا حدود لها، ويكفي للدلالة على ذلك قيام عبدالعزيز بن متعب بن رَشِيد بختم عدة دفاتر على بياض وسلَّمها إلى رَشِيد الناصر ليفاوض السلطان العثماني نيابة عنه، وكان أهم عمل قام به رَشِيد الناصر بن ليلى أنه أتى بأسلحة حديثة من صنع الألمان عندما كان الأتراك والألمان يشكلون حلفًا واحدًا في الحرب العالمية الأولى، وعُرِفَ السلاح الذي أتى به رَشِيد الناصر عند أهل نجد بسلاح ابن ليلى، عمومًا فقد ظل رَشِيد الناصر في تركيا عدة سنوات، أراد بعدها أن يعود إلى بلاده، لكن هل إلى عودةٍ من سبيل، وقد أصبحت البلاد تحت حكم الملك عبدالعزيز؟! ثم بدا لابن ليلى أن يكتب رسالة للملك عبدالعزيز يطلب فيها السماح له بزيارة أهله في حائل، وبالفعل فقد سمح له الملك عبدالعزيز بذلك، بل قابله بكل حفاوة وتقدير، وذهب الملك إلى أبعد من ذلك، حيث عينه عضوًا في مجلس الشورى، ثم وكيلًا له في دمشق، وظل في منصبه هذا إلى أن وافته المنية[1].

– ومن نماذج عفوه أيضًا: ما فعله مع مجرِّي القديحة بن الجِذْعان الرَّوْقي العُتَيْبي عندما أخل بالأمن، فبعثت إليه إحدى الدوائر جندًا للقبض

= في الكتاتيب فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، كما كان يحفظ ثلاث مئة حديث من صحيح البخاري، وقرأ على عدد من علماء حائل. بعثه عبدالعزيز بن رشيد إلى مجلس (المبعوثان) في القسطنطينية وكيلًا له في تركيا، فأقام بها مدة، ومنحته الدولة العثمانية لقب (باشا). كان يجلب السلاح إلى الجزيرة العربية، وكان سلاحه معروفًا في نجد بـ«سلاح ابن ليلى». وبعد توحيد المملكة أصبح أثيرًا عند الملك عبدالعزيز. وعين عضوًا بمجلس الشورى عام ١٣٤٩–١٣٥١هـ ثمّ عين قنصلًا في دمشق ووكيلًا للملك عبدالعزيز، قبل إنشاء السفارة عام ١٣٥٢هـ واستمر في هذا العمل حتى وفاته بدمشق سنة ١٣٦٢هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير.

القشعمي؛ محمد، رشيد بن ليلى ممثل الملك عبدالعزيز بدمشق، المجلة العربية، العدد ٣٠٤، السنة ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ/ أغسطس ٢٠٠٢م.

(١) المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٦١-١٦٦.

عليه، فما كان منه إلا أن أضاف إلى إخلاله بالأمن جرمًا آخر؛ حيث شهر سلاحه في وجه رجال الأمن، وعندما علم الملك عبدالعزيز بذلك غضب غضبًا شديدًا، وأرسل قوة كبيرة أحضرت مجرّي القديحة وولده، وبعد أن مَثَلَ بين يدي الملك عبدالعزيز، أقرَّ بما اقترفته يداه، وقال: إن الذنب يُخْرِسُ الألسنة، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك؛ حيث عُلِمَتِ الجريمةُ وانقطعتِ الحُجَّة. وبالفعل؛ فقد سبق عفوُ الملك عبدالعزيز عقابَه[١]!

هذا هو الملك عبدالعزيز، وذاك هو سمو تفكيره، وقدرته على قهر النزعات التي تُنقِص من قدر السمو الإنساني؛ حيث إن من شيمه التي شهد بها الكثيرون: أنه إذا عفا أتبع عفوه إحسانًا، وهذا ما حدث فعلًا مع الشيخ مِشَلّ التِّمْيَاط الشَّمَّري[٢]، الذي نزح عن المملكة العربية السعودية، وذهب إلى العراق غاضبًا (لاجئًا سياسيًّا)، وكانت المعاهدات المبرمة بين الحكومتين السعودية والعراقية تقضي بأن اللاجئ إلى إحدى الدولتين ينبغي تسليمه إلى حكومة بلاده؛ وبناءً عليه فقد أرسل الملك عبدالعزيز يطالب حكومة العراق بتسليم الشيخ مِشَلّ التِّمْيَاط، فتريثت حكومة العراق في بداية الأمر تريثًا تصور منه الشيخ التمياط أنه قد بات في حصن منيع؛ لذلك فقد أرسل إلى الملك عبدالعزيز رسالة يوضح فيها أسباب التجائه، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حيث أتى في رسالته بكلمات يُفْهَمُ منها أنه نزح عن البلاد غير

---

(١) الحقيل؛ حَمَد بن إبراهيم، عبدالعزيز في التاريخ، تاريخ وأدب، مطابع المدينة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص: ٢٤١.
والسبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٣٣٧.

(٢) مشل بن برغش بن مقحم بن وطبان التمياط، أحد زعماء عشائر شمَّر، ولد بالحجرة سنة ١٣١٧هـ، وتوفي بالطلعة سنة ١٤٠٧هـ.
الطويان؛ عبدالله زايد، رجال في الذاكرة: سيرة ذاتية لبعض رجال نجد المعاصرين، ١٤١٨هـ، الجزء الأول، ص: ١٨٩.

آسف، فلما أصر الملك عبدالعزيز بعدها على ضرورة إحضاره، أتَوْا به فعلًا إليه، وعندما نظر الملك في وجه مِشَلٍّ التمياط، أبدى الأخير طلب العفو، فعفا عنه الملك، بل وأجرى عليه مرتبًا يصرف له بانتظام، وأغدق عليه الهدايا، وبهذا العمل استولى الملك عبدالعزيز على قلب مِشَلٍّ التمياط، ليس بعفوه فقط، ولكن بإحسانه إليه أيضًا[١].

وهذا موقف آخر يعطينا فيه الملك عبدالعزيز دروسًا في التربية والتعليم والأدب والحلم والعفو والتسامح، وما هذا إلا دليل على إنسانيته وأخلاقه العظيمة؛ فبعد أن دخل الملك ورجاله قصر بُرَيْدة، عفا عن رجال الحامية، وقال الملك: عما قريب سيكون - إن شاء الله - دخولنا قصر بَرْزان في حائل، وتسرَّع رجل من رجال الحامية؛ وهو مبارك الشِّمْران وقال بصوت منخفض: إلا أن يكون ذلك بالقيد! وسمعه الملك، ولم يحاسب الرجل على ذلك، ودارت الشهور، واسترد الملك ذلك الإقليم الجامح، ودخل قصر بَرْزان، وقال: ها نحن ندخل قصر بَرْزَان يا أخا شِمْران بدون قيد!

إنه الملك عبدالعزيز الذي لا ينسى المواقف المسيئة إليه، لكنه - في الوقت عينه - لا يحمل غِلًّا في قلبه على أحد؛ إنه ملك يربي ويعلم ويلقن ويؤدب، وهذا موقف - بلا شك - يكشف عن حسن سياسته، كما يظهر مدى حلمه وعفوه، ويصوِّر لنا إنسانيته وكرمه، وقد كان بوسعه أن ينتقم من ذلك الرجل الذي تفوَّه بما يسيء، وشكك في قدرة الملك على تحقيق ما يرمي إليه، لكنه لم يفعل[٢].

كان ﷺ يعلم بأن الزعيم لا ينبغي له أن يحقد؛ فهو لا يضمر لخصمه

---

(١) المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٤٥ -٤٧.
(٢) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١٤ - ١٧.

الحقد، وإذا مد إليه يَدَ السلم والطاعة والمحبة فهو أسرع ما يكون إلى مصافحتها، وأبعد ما يكون عن رَدِّهَا كبرياءً ومَخِيلة.

وقد جلس يومًا بين خلصائه وصفوة أصحابه، فالتفت يَمْنة ويَسْرة، وابتسم ثم سأل جلساءه: لماذا لا تسألونني عن سبب تبسُّمي؟ ثم بادر إلى الإجابة بنفسه قائلًا: "إن سبب ابتسامتي هو أنني مددت بصري إليكم، واستعرضتكم واحدًا واحدًا، فما وجدت فيكم إلا من كان بيني وبين أهله خصومة وصلت إلى حد المواجهة بالسلاح والقتال العنيف الذي لا هوادة فيه، ومع ذلك أرى لكم في نفسي منزلة من المودَّة؛ هي بمنزلة الأبناء البررة، والأشقاء الأوفياء؛ فالمودة هي الأصل الكريم الذي يجري في دمائنا، وكل ما عداه من الصغائر والتنازع يزول"[1].

رحم الله الملك عبدالعزيز؛ إذ كان يعفو عن خصومه، ويحسن إليهم.

١٠- عِزَّة نفسه وشَهَامته:

إن عزيز النفس هو قويُّها، الذي لا يرضى لنفسه بالدُّون، ولا يقعد عن الجِدِّ والاجتهاد المبلِّغَيْنِ له إلى أعلى ما يراد؛ فإن النفوس الأبِيَّة والهمم العلية لا ترضى بدونية الغاية في المطالب الدنيوية؛ من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرفة.

والشهامة هي: الحرص على مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذِّكْرَ الجميل[2].

كان الملك عبدالعزيز يمتلك الكثير من الصفات الخُلُقية التي تنبض بالعزة؛ ولولا قوة نفسه لاستطاعت زخارف الحياة أن تدخل إليها من الباب

---

(١) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٨٣ - ٨٤.
(٢) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، التعريفات، مرجع سابق، ص: ١٧٠.

الذي يَقِرُّ منه الزهد والتقوى والصلاح؛ ولولاها لما احترمته رعيته وهابته؛ فهو - بوصفه قائدًا وزعيمًا وملكًا - مسؤول عن الرعية، والرعية تنظر إلى أعماله باعتباره قدوة؛ فإذا ما أَلْفَتْهَا حسنةً مرضيةً قَدَّرَتْها ووهبته قلبها فداء[١]، وقد كان لهم ذلك عندما رأَوْا في خُلُقِهِ ذلك التواضع الجَمَّ، وأنه قد عاش حياته كواحد من أفراد رعيته لا يتميز عنهم؛ والحق أن زهده هذا في الدنيا، ورغبتَه فيما عند الله، هو ما جعله موفقًا دومًا للعمل الصالح.

ويشهد التاريخ بذلك؛ حيث سجل للملك عبدالعزيز مواقف عديدة تؤكد اتصافه بعزة النفس، وبامتلاكه قَدْرًا كبيرًا من الشهامة؛ ومن ذلك أنه حينما وفد الملك عبدالعزيز على الشيخ عيسى بن علي بن خَلِيفة شيخ البَحْرَيْن، وكان الملك حينها فتًى صغيرًا، وكانت العادة في مجالس الشيخ عيسى أن يجلس هو في وسط الغرفة وعن يمينه أمراء آل خَلِيفة، وعن يساره كبار بني هاجر[٢] دون ترتيب.

وفي ذات يوم كان الملك (الفتى) يجلس على يمين الشيخ عيسى، ومن بعده آل خَلِيفة، وعن يساره بنو هاجر، وحضر راكان بن حِثْلِين كبير العُجْمان، للسلام على الشيخ عيسى، وبعد أن سلَّم وقف وسط المجلس

---

(١) عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٦٩٠ - ٦٩١.

(٢) بنو هاجر: من قبائل شريف المشهورة، ومن فرسانهم المعدودين، ومنازلهم سَرَاة عَبِيدة، ثم في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وفي دولة قطر، وفي الكويت، وفي الإمارات، وفي عُمَان، وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري قادهم شيخهم محمد بن شَبْعان، ونزل بهم إلى الجنوب من نَجْد، فلما صارت المَشْيَخة في حفيده شافي بن سفر، نقلهم من جنوب نَجْد إلى منازلهم قرب الأَحْساء، ومن مشايخهم: ابن شافي، ابن عايد، ابن بَعِيث.
الشريفي؛ إبراهيم جارالله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٧٤.

حائرًا لا يدري ماذا يصنع، فما كان من (الفتى) عبدالعزيز إلا أن وقف وأشار إلى راكان: «أَقْبِلْ إلى هنا»، فالتفت إليه الشيخ عيسى، وقال له: جزاك الله خيرًا، وطرَحَ فيك البركة، وإن شاء الله لا يخلينا من حمولتكم التي تحافظ على سمت العرب[(١)]. ولما وصل الملك عبدالعزيز إلى ما وصل إليه لم يشأ أن يتكرَّر ذلك الموقف في مجلسه، فوضع نظامًا في العائلة يقضي بأن يجلسوا في مكان منفصل عن المقامات الأولى الواقعة إلى يمين الملك ويساره، وأن يكون جلوسهم بحسب السن الأكبر فالأكبر.

ويحدثنا خير الدين الزِّرِكْلِيّ في كتابه "الوجيز" نقلًا عن الشيخ محمد سُرُور الصَّبَّان[(٢)]؛ حيث يقول: "في ذات يوم من الأيام وصل الملك عبدالعزيز من جُدَّة إلى مكة، ووقفت سيارته على باب القصر، ولم تحضر "عربة اليد" التي كان يركبها من السيارة إلى الباب، فتحامل على نفسه، ونزل من السيارة ومشى الهُوَيْنَىٰ، وكثير من أهل جدة يمشون وراءه حتى وصل إلى باب البَهْو، وكنت واقفًا بجانب طريقه، ورآني مبتسمًا، فقال لي: ما لك تضحك؟ فقلت: لأنني مسرور، قال: لماذا؟ قلت: لأني رأيت جلالتك تمشي على قدميك ورآك الناس، وأدركوا أنك بخير، ولله الحمد، وظهر السرور على وجه الملك، فأمسك بيدي، وقال: اجلس عندي، وأمر من سار وراءه من أهل جُدَّة بأن يدخلوا لتناول طعام العشاء، وجلست إلى جانبه، فقال لي: إنني فكرت كيف تكون حالتي في حالة عدم ظهور هذه

---

(١) حمزة؛ فؤاد، البلاد العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٢٩، ٣٠.

(٢) محمد سرور الصبان؛ ولد في القُنْفُذة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م، انتقل إلى جُدَّة صغيرًا، ثم إلى مكة وتعلم فيها، وتقدم بأدبه وذكائه إلى أن كان بعد وفاة الملك عبدالعزيز وزيرًا للمالية، وشغل منصب الأمين العام للرابطة الإسلامية بمكة، وتوفي عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ١٣٦.

العربة، أيحملني الناس، وهذا أمر لا يليق؟ أم ماذا أفعل؟ ومن ثم تحاملت على نفسي، ومشيت بكلفة كما تراني، ولكني متأثر»[١].

هذا هو الملك عبدالعزيز رحمه الله الذي لو أمر بحمله على الأعناق لحمله الناس، لكنه آلى أن يسير على قدميه، رغم تأثره الشديد بما به من آلام؛ اعتزازًا بنفسه.

أضف إلى ذلك ما رواه خير الدين الزِّرِكْلِيّ من أنه سمع الملك يخاطب بعض رؤساء قبائله أيام الفتن الداخلية، فقال لهم: «لا مِنَّةَ لأحد عليَّ في امتلاك هذا الملك إلا الله وحده، فما منكم إلا وقد قاتلت آباءه وأجداده بحد هذا السيف، لم آت منكم أحدًا غدرًا أو خيانة، أقدم لكم معروفي وأقدم لكم السلام والأمن، فتعاهدوني، فإذا خنتم عهدكم أعانني الله عليكم»[٢].

رحم الله الملك عبدالعزيز، فإنه لم يكن مغترًّا بنفسه بل كان معتزًّا بها مقدرًا لها، ومع ذلك فهو لم ينس فضل الله عليه، لقد تمسك بدين الله، فوفقه الله وأعانه على حسن سياسة الرعية، وكان مثالًا للخُلُق الرفيع، وإنه ليصدُقُ فيه البيت القائل:

مِثْلُ السِّنَانِ تُضِيءُ الليلَ صُورَتُهُ
جَلْدُ المَرِيرَةِ[٣] حُرٌّ وَابْنُ أَحْرَارِ[٤]

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٣٣١ - ٣٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص: ٣٣٠.
(٣) المريرة: عزة النفس. انظر: الفيروزآبادي؛ محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٣١.
(٤) الخنساء؛ تُمَاضِر بنت عَمْرو بن الحارث، ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق د. إبراهيم عوضين، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص: ٢١٥.

١١- وفـــاؤه:

الوَفَاء: القيام بمقتضى العهد والمحافظة عليه(١)؛ وهو ضدُّ الغَدْر.

وإنَّ صدق الوعد وحفظ العهد والوفاء بهما من عظيم فضائل الأخلاق التي حثَّ الإسلام على التَّحلِّي بها؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾(٢)؛ كما أثنى الله سبحانه على نبيِّه إسماعيل ﷺ بأنه كان صادق الوعد؛ فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾(٣).

وكان هذا الخُلُقُ مما عرف عن العرب قبل الإسلام من محافظتهم على الصدق في الوعد والوفاء بالعهد(٤).

لقد كان للملك عبدالعزيز مواقف كثيرة شاهدة على وفائه وحفظه للعهد؛ منها ما يلي:

موقفه من ابن رَشِيد حين زحفت قبيلة الرُّوَلَة(٥) على مدينة الجَوْف

---

(١) الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، التعريفات، مرجع سابق، ص: ٣٢٧.
والكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليَّات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص: ٢٠٩.
والزَّبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء الأربعون، ص: ٢١٨- ٢١٩، مادة (و ف ي).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٤) الميداني؛ عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٥٤.

(٥) قبيلة الرُّوَلة: من ضَنَا مسلم، من عَنَزَة، واحدهم: رُوَيْلي، ومن عشائرهم: الدُّغمان، والمُرْعض، والفُريحة، والقعقع، وآل مانع.
الجاسر؛ حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، دار اليمامة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، القسم الأول، ص: ٢٥٤.

واحتلتها، فخرج سعود بن رَشِيد من حائل مع جنده، ودخل الجَوْف، وحوصر فيها، فأشار بعض الناس على الملك عبدالعزيز بأن هذه هي فرصته السانحة للهجوم على حائل، والقضاء على ابن رَشِيد، فقال ﷺ مستنكفًا عن ذلك: "لو هاجم حائلًا أحدٌ وابنُ رَشِيد في محنته، لدافعت عنها، فأنا لست ممن يطعن من الخلف"[(١)].

وفي رواية أخرى قال الملك عبدالعزيز: "إن بيني وبين ابن رَشِيد عهد الله وميثاقه، ولا يمكن أن أتخلص من عهد الله الذي وضعته في عنقي إلا بعذر يقبله العقل والدين والخلق، وتطمئن إليه النفس، حتى لو لم يكن بيني وبين ابن رَشِيد عهد، فإن ديني وخلقي وشيمتي لا تقبل أن أغزو بلدًا لم يكن فيها إلا الأطفال والنساء".

رحم الله الملك عبدالعزيز؛ فقد كان أبعد الناس عن الانتهازية؛ فالمقاصد الحسنة والغايات السامية لا يُتوصَّل إليها إلا بما يناسبها من الوسائل النبيلة السامية[(٢)].

- ومما يدل على وفائه أيضًا: أنه سبق للأمير محمد بن عبدالرحمن[(٣)] - شقيق الملك - أن حج عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، مع رهط من أهل نجد،

---

(١) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٤٧.

(٢) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٥٧.

(٣) محمد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود (١٢٩٨ - ١٣٦٢هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٣م)، أمير، كان عضد أخيه الملك عبدالعزيز في إنشاء المملكة أيام الملاحم والمغامرات بنجد، مولده ووفاته بالرياض، وهو أحد الذين كانوا مع الملك عبدالعزيز ليلة اقتحام الرياض، خاض كثيرًا من المعارك. ولما استقرت الأمور في قلب الجزيرة اختار العزلة وابتعد عن المظاهر إلى أن توفي. وكان شجاعًا بطلًا، من الأجواد.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ١٩٩.

وعندما بلغوا حدود الحجاز، أبى عليهم الشريف حسين بن علي الدخولَ إلى الحجاز مدجَّجين بالسلاح؛ فاضطروا إلى تسليم سلاحهم، وتركوا بعض أموالهم ورجالهم، ودخلوا الحجاز مُحْرِمين ملبِّين، ومروا في طريقهم بقرية يقال لها: "الزِّيمة"، وتعرفوا إلى شيخها عبدالرحيم القِنَاوي؛ فعرض عليهم مساعدته، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من الطعام والإبل بالثمن، فذهبوا إلى الحج، وفي عودتهم أيضًا قدَّم لهم جميع التسهيلات اللازمة كما هو شأن العرب، ثم إنه عندما تَمَّ للملك عبدالعزيز مُلْكُ الحجاز، ومر بـ"الزِّيمَة" في طريقه إلى نجد، قابلهم شيخها عبدالرحيم القِنَاوي، وعرض عليهم ضيافته، وذكر الأمير محمد لأخيه ما كان من القِنَاوي في تلك الأيام الغابرة التي ناصبهم فيها الحسينُ العداء، ولم يجدوا من يحتفل بهم آنذاك سوى عبدالرحيم القِنَاوي، فشكر الملك للقِنَاوي سابق صنيعه، وقَبِلَ ضيافته، وأمر له بمبلغ ٢٥٠٠٠ ريال، وصارت عادة للقِنَاوي أن يضيف الملك في كل عام ويحصل على المبلغ المذكور، وعندما عدل الملك عبدالعزيز عن ركوب السيارات، واختار الحضور إلى الحجاز بالطائرات، قال القناوي لجلالته: أرجو ألَّا تغيِّروا عادتكم، فقال الملك: لا؛ بل أحضر لي ضيافتك إلى هنا، وأمر ألَّا تقطع عادته بصرف المبلغ المذكور للقناوي، وصارت عادة سنوية جارية إلى ما شاء الله[١].

ومن حسن وفائه ﷺ: ما فعله مع إسماعيل بن مُبَيْرِيك أمير رَابِغ؛ الذي حظي بالمنزلة الرفيعة لدى الملك عبدالعزيز؛ والسبب في ذلك أنه كان قد سهَّل للملك عبدالعزيز سبل الاتصال بالخارج عبر مينائه في أثناء حروبه حول جُدَّة، فحفظ له الملك هذا الموقف، وقرَّبه إليه؛ وفاءً وتقديرًا لموقفه هذا[٢].

---

(١) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١١١ - ١١٢.
(٢) المرجع السابق.

ومما يدل على ذلك الوفاء أيضًا: أنه لما وصل إلى الكويت زائرًا، سمع أن معلمًا له - كان يقرأ عليه القرآن في أيام الطفولة - موجود بها، فاستدعاه ولاطفه ومنحه ثلاثة آلاف روبية(١).

ومن أروع الأمثلة على حُسْن وفائه ﷺ: أنه حين كان منشغلًا بشؤون دولته الفتية، إذا بالشيخ مُبَارَك الصُّبَاح - مُضَيِّفه بالأمس - يكتب إليه مستنجدًا ومستعينًا على أمرٍ دهاه وخَطْبٍ سيحلُّ به؛ وذلك أن الدولة العثمانية قد حرَّضت سَعْدون باشا رئيس قبائل المُنْتَفِق في العراق على قتال مبارك الصُّباح، الذي تفرق مِنْ حوله الأنصار، وكان في أمسِّ الحاجة إلى نجدة الملك عبدالعزيز الذي بادر بدوره إلى تلبية ندائه؛ وذهب من فوره إلى الكويت، وقابل شيخها ابن صُبَاح وتفاوضا في الأمر، وأبدى الملك عبدالعزيز نصحه إلى شيخ الكويت بضرورة التفاهم مع سَعْدون بما يكفل حلَّ المشكلة دون إراقة دماء، بل إنه عرض عليه التوسط في هذا الأمر، فأبى مُبَارَك الصُّبَاح إلا أن يخوض غمار الحرب، وبذلك وجد الملك عبدالعزيز نفسه يخوض حربًا لم يكن مضطرًّا لخوضها، ولم يكن له رأي في تدبيرها؛ لكنه رجل يقدِّر معنى الوفاء وردِّ الجميل لشيخ الكويت مضيفه بالأمس(٢).

ومن الأدلة التاريخية الجليَّة على تقدير الملك عبدالعزيز لمعنى الوفاء: ما فعله مع الملك فاروق ملك مصر آنذاك، فبعد قيام ثورة يوليو **١٩٥٢م**، كان الضباط الأحرار حريصين على معرفة رأي الملك عبدالعزيز فيما قاموا به من أعمال ثورية، وجاءهم الرد على لسان الأمير فيصل ﷺ بأن الملك

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٦١٦.

(٢) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٤٥.

عبدالعزيز لا شأن له فيما يتصرف به الضباط في شؤون بلادهم، فهم أهلها ولهم أن يتصرفوا فيها كيفما يشاؤون، أما الملك فاروق فلن يتخلى عنه الملك عبدالعزيز متى طلب منه دعمًا؛ حيث إن شِيَمَهُ تفرض عليه ألَّا يترك صديقًا له في محنته(١).

لقد ضرب الملك عبدالعزيز أروع المثل بهذه الأخلاق العالية، فهو يستعرض دومًا ماضيه، ويذكر أصدقاءه القدامى، ويحفظ ودَّ كل من أسهم معه في تأسيس المملكة، ويحرص على مكافأتهم على ذلك بأكثر مما كانوا يتوقَّعون؛ فكم من رجال برزوا وارتقَوْا وأُفْسِح لهم المجال لأعمال جليلة أدَّوْها للبلاد وأهلها، ولم تكن وسيلتهم إلى ذلك غير إخلاصهم للملك من قبل(٢).



(١) المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٢- ١٥.
(٢) الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٢١.

الفصل الثالث

علاقة الملك عبدالعزيز برعيتـــه وأسرتـــه

- المبحث الأول: علاقته بالرعية وعطفه عليهم.
- المبحث الثاني: رعايته للأيتام.
- المبحث الثالث: صلته للأرحام وذوي القرابة.

المبحث الأول

علاقته بالرَّعية وعطفه عليهم

العطف على الرعية أو الرفق بهم من الأمور التي حَثَّ عليها ديننا الحنيف، وهو من صفات القائد القدوة نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ الذي وصف الله علاقته بالمؤمنين بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

فكان ﷺ رفيقًا يحبُّ الرفق ويحث أمته عليه؛ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[2].

ويمكن القول بحق: إنَّ الملك عبدالعزيز كان رفيقًا بالناس عامَّة، وبرعيته خاصَّة؛ فلم يحتجب عنهم أميرًا ولا سلطانًا ولا مَلِكًا[3]؛ بل كان يؤكد المرة تلو المرة أنه للجميع ومن الجميع، وأنه لا يبخل على أحد بما يستطيع من رعاية أو عون؛ فيدعو الناس أن يأتوه، وأن يضعوا بين يديه متاعبهم، وأن يَصْدُقُوهُ الشكوى في مظالمهم، وظلَّ يردد هذا القول في أحاديثه، كما ردده في بلاغات رسمية كان يُصْدرها بين الحين والآخر، منها

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (١٨٢٨).

(٣) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ٧١

على سبيل المثال قوله:

"إن من كانت له مظلمة على كائن من كان؛ موظفًا أو غيره، كبيرًا أو صغيرًا، ثم يخفي ظلامته؛ فإنما إثمه على نفسه"[(١)].

لقد كانت علاقته بالرعية مبنية على النصح والتناصح في المقام الأول، وأرساها بعدة أسس منها: الإحسان والعدل، والتواضع والرحمة[(٢)].

هذه الأسس التي سار عليها الملك عبدالعزيز تُعَدُّ ميزانًا ثابتًا للعلاقة بين الراعي والرعية، وقد حدد الملك عبدالعزيز ملامح هذه العلاقة وثوابتها في مجالي الحقوق والواجبات، تحديدًا دقيقًا وواضحًا في البلاغ العام الذي أصدره بجُدَّة في ٨ جمادى الثانية عام ١٣٤٤هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٩٢٥م، بقوله:

"إن لكم علينا حقوقًا، وإن لنا عليكم حقوقًا؛ فمن حقوقكم علينا: النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم؛ إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم: المناصحة، والمسلم مرآة أخيه؛ فمن رأى منكم منكرًا في أمر دِينه أو دُنياه فليناصحنا فيه؛ فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء"[(٣)].

وحيث إن الملك عبدالعزيز كان حريصًا الحرص كله على مراعاة أحوال

(١) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٢٠.
(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٨٨ - ٨٩.
(٣) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٣٠٥ - ٣٠٧.
والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣٥٠ - ٣٥١.
والسماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٩٠.

رعيته، فلا عجب أن نجد كلامه مطابقًا لمقتضى الحال؛ فهو لم يخاطب البَدْو بلغة الحَضَر، ولا الحضر بلغة البدو؛ بل عَرَفَ كيف يخاطب رعيته بما يناسب عقولهم، والشاهد على ذلك: ما فعله مع رؤساء القبائل عندما أراد أن يؤسس مجلس الشورى؛ فلقد خاطبهم بلغتهم التي هي أقرب الطرق لإقناعهم، حيث أشار عليهم بأنه إذا شرد القَعُودُ(١) هل يستطيع أحد أن يدركه فيمسك به شخص واحد؟ أجابوا: لا يا عبدالعزيز، لابد من اثنين أو ثلاثة أو أكثر لنمسك به، قال لهم: كذلك الرأي، كلما اجتمع رأيان أو ثلاثة أو أكثر، تمَّت الشورى بمعناها الشرعي(٢).

- وهذا موقف آخر يؤكد ما سبق؛ فعندما طال حصار جُدَّة على غير المتوقع، ضاقت صدور الرجال حين قلَّت المؤن، فنظر الملك عبدالعزيز إلى من حوله وأعلمهم بأن المؤن متوافرة في نَجْد، غير أن الجِمَال مشيها وَئِيدٌ، فمن شاء منكم الرحيل فليرحل، أما أنا فمقيم والفرج من عند الله(٣).

تأمَّل! كيف أن رأفة الملك عبدالعزيز بمن معه لم تكن رفقًا بهم فحسب، ولكنها رأفة لم تصحبها مِنَّة، بل إنه ساق لهم العذر مُقدَّمًا؛ بالرغم من حاجته إليهم؛ ليطيِّب خواطرهم فيما لو اختاروا الرحيل(٤).

---

(١) القعود من الإبل: ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع.
الزبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء التاسع، ص: ٥١، مادة (ق ع د).

(٢) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٥٥- ٥٧.

(٣) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٥٨ - ٥٩. والسماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٩٤ - ٩٥.

(٤) السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٩٥.

لقد كان ﷺ عظيم الرفق بالرعية؛ وها هو حفيده الأمير عبدالله الفيصل يحدثنا عن هذا الجانب قائلًا: "تشرفت بمصاحبته مرة في رمضان من قصر الدِّيرَة إلى المربَّع، وكان هناك عُمَّال يقومون ببعض الترميمات، فوقف وسأل عن رئيسهم، فاستُدْعِيَ له فسأله عن مواعيد عملهم؟ فقال: نبدأ العمل من الساعة الثانية صباحًا حتى الساعة الثامنة بالتوقيت الغروبي - أي: من الساعة الثامنة صباحًا حتى الثانية ظهرًا بالتوقيت الزوالي(١) - فتعجب الملك، وقال: أنا لا أعمل بيدي وأستعمل السيارة في ذهابي لقصر الحكم وعودتي منه، ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات، وأشعر مع ذلك بالعطش، وأنتم تعملون مُعرَّضين للسَّمُوم ست ساعات، من الآن وصاعدًا لا تعملوا في رمضان أكثر من أربع ساعات في أول النهار، ولكم أجركم كاملًا"(٢).

ففي هذا الموقف دليل حي على رحمة الملك عبدالعزيز برعيته، وتفقُّده لأحوالهم، كما هو شأن القائد الموفَّق، هذه الرعاية التي كانت مستمرة وغير محددة بوقت أو مكان، هي التي جعلته يتوقف عند منظر عدد من العُمَّال يراهم منهمكين في العمل دون أن يتمتعوا بقسط من الراحة(٣)، وهذا فهمه ﷺ لحقوق العمال قبل أن تؤسس لها المحافل والمعاهدات الدولية.

---

(١) ثمة نوعان من التوقيت؛ الأول: التوقيت الغروبي، وهو يمثل التوقيت الشرعي؛ قال تعالى في سورة الحاقة، الآية ٧: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، أي: الليالي تسبق الأيام وتتبعها في الحكم؛ ومن ثم فإن هذا التوقيت يبدأ يومه من غروب الشمس، والنوع الثاني: التوقيت الزوالي؛ وفيه يبدأ اليوم من منتصف الليل فيأخذ نصف هذا ونصف هذا.
السبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٢٥١.

(٢) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٤٥.

(٣) السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٩٥.

- وهذا موقف آخر يتعلق بخصوص سلامة حياته وأمنه الذي تناساه بسبب مزيد عطفه على الرعية وإشفاقه عليهم؛ فقد استيقظ كعادته في منتصف الليل في صِيوَانه، فتوضأ وصلى، ولاحظ أن الجنود يتناوبون على حراسته في ظل طقس سيئ؛ فالبرد شديد، والمطر غزير، فاستدعى المسؤول عن ذلك، وقال له: ألا تخاف الله؟ لماذا أوقفت هؤلاء الجنود في هذا البرد، قال: لحراستك يا طويل العمر، فرد عليه الملك قائلًا: الله يحرسني، أدخل الجنود في الصيوان ليحتموا به من قسوة هذا البرد(١).

هذه المواقف وغيرها تؤكد بالدليل القاطع عطف الملك وإشفاقه على الرعية، ومما يزيد هذه الدلالة رسوخًا: قيامه رحمه الله باتخاذ مجموعة من الإجراءات الإصلاحية - في أزمنة متتالية - مَكَّنته من توفير مستوى عيشٍ كريم لأفراد شعبه؛ منها:

- إلغاء الإتاوات والأخماس التي كانت تُفْرَضُ عليهم مقابل حماية الطرق والمراعي، والتي كانت تُفرض أيضًا على المزارعين.

- جعل الوطن مُلكًا مشاعًا بين الناس، وذلك فيما عدا الأملاك الشرعية؛ فهي لأصحابها حسبما نصَّت عليه الشريعة الإسلامية؛ فالمراعي مشاعة، والمياه غير المملوكة مشاعة، وكل مواطن له الحق في التنقل بحرية داخل حدود الوطن.

- عمل رحمه الله على توفير الأمن في البلاد(٢).

---

(١) السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص: ٣٤١-٣٤٣ .

(٢) العفنان؛ سعد بن خلف، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٤٥.

- كان حريصًا على مراجعة النُّظُم والرسوم الحكومية بين الحين والآخر، مع تعديل ما يلزم تعديله منها بما يصلح أحوال الرَّعِيَّة[١].

هذا؛ ولم تقتصر رأفته بالرعية على شخصه فقط، بل كان يحث الموظَّفين دومًا على الحرص على إنفاذ مصالح الناس؛ حيث أكد ذلك في حفل الاستقبال الذي أقيم في مبنى وكالة المالية في الطائف في ١٨ من شهر المحرَّم ١٣٥١هـ، الموافق ٢٤ مايو ١٩٣٢م، بقوله:

"وإني أوصيكم بتقوى الله، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم، ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليَّ؛ لأن المُلْقَى على عاتقي من الأمور عظيم، وبعضكم به أَبْخَص[٢]، وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس، وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة، وإذا ما اطلعتُ على شيء عَيَّنْتُ هيئة مخصوصة منكم؛ للنظر في ذلك، ثم أشرف على أعمالها بنفسي، وأتراجع وإياهم في خصوصها؛ حتى يُبَتَّ في أمرها بما جاء في كتاب الله، واللهِ - يا أهل هذا البلد الطاهر المُقَدَّس - إني أرى الكبير فيكم كأبي، والوسط كأخي، والصغير كابني، وإن الذي أقوله هو الذي أعتقده، والله على ما أقول شهيد"[٣].

كلمات إذا دلَّت على شيء؛ فإنما تدل على مزيد حبه لأبناء وطنه، وإشفاقه عليهم، وحرصه على رفع المظالم عنهم أينما كانوا؛ ومَرَدُّ ذلك كلِّه

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٢٣٦.

(٢) أبخص؛ من البَخَصِ؛ وهو لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق الناظر إذا أنكر شيئًا وتعجب منه. والمراد: بعضكم به أبصر وأدرى.
وينظر: ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، الجزء السابع، ص: ٤.

(٣) مختارات من الخطب الملكية؛ مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٤.
والقابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٠.

إلى خوفه من الله؛ لذلك فإنه كان دومًا يأمر بتشكيل هيئات للتفتيش؛ يبعث بها إلى القرى والبلاد النائية، وينفق عليها الأموال الطائلة، ويأمرهم بتفقد أحوال الناس، والاستماع إلى شكواهم، على أن يُدوِّن ذلك في تقارير ترفع إلى جلالته؛ فيأمر بتنفيذ ما يرى فيه مصلحة للرعية، وهو إلى جانب ذلك كله كان كلما عاد من نجد إلى الحجاز، جمع أهلها وسألهم عن أحوالهم، وطلب إليهم أن يكاشفوه بما يكون لديهم من شكايات ضد الأمراء أو الموظفين، وزودهم بالنصائح النافعة.

ولقد عَلِمَ ذات يوم - من أحد الحُجَّاج - أن بلدية مكة المكرَّمة، لا تعتني بشؤون نظافة الشوارع، وتنويرها، وحالة الأسواق، وكان على رأس هذه الدائرة عين من أعيان البلاد هو الشيخ عَبَّاس قَطَّان[1]، وكان من المقرَّبين لدى جلالته، فما كان من الملك إلا أن استدعى مجلس الشورى بأكمله إلى مجلسه، وقال لهم: إنكم محل ثقتي، وقد عهدت إليكم بالنظر في شؤون هذه البلاد؛ صغيرها وكبيرها، ولكن - ويا للأسف - لم أسمع منكم يومًا نقدًا لأمر من الأمور، أو تنبيهًا لخطأ من الأخطاء، وكلنا بشر لابد وأن نخطئ، وقد اتصل بعلمي من أحد الحجاج أن بلدية مكة المكرَّمة لم تقم بواجباتها الملقاة على عاتقها من أمر النظافة، وما أشبه ذلك، وإذا كان الحجاج قد لاحظوا ذلك، فأنتم أهل البلاد لابد وأنكم تعلمون به حق العلم، ولكنكم تسكتون عليه مجاملة لعَبَّاس قَطَّان لمنزلته عندي، وهذا غير لائق منكم؛ ولذلك فإني رأيت أن أنقلَهُ من هذا العمل وأُعَيِّنَه عضوًا معكم

---

(١) عباس يوسف قطان؛ عين من أعيان البلاد، لم يسند إليه من الأعمال الحكومية سوى رئاسة البلدية في مكة، وبعد أن تركها عمل في الأعمال التجارية بين مصر والمملكة العربية السعودية.
شاكر؛ فؤاد، دليل المملكة العربية السعودية، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، (د.ن)، ص: ٤٣٨.

في مجلس الشورى[١]، وأطلب إليكم أن تختاروا لي حالًا من يستطيع القيام بأعباء هذا العمل كما يجب، وبعد نقاش طويل عُيِّن الشيخ عبدالرؤوف الصَّبَّان مدير الأوقاف العامة لهذا المنصب[٢].

رحم الله الملك عبدالعزيز الذي لم تمنعه الأعباء الجسيمة الملقاة على عاتقه يومًا من تفقد أحوال رعيته؛ ففي عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، بعد اشتداد البرد، أرسل يسأل عن أحوال البادية، ويطلب الإفادة عن جميع أحوال أهلها، وأحوال المواشي التابعة لهم، وهل نفق منها شيء أو لا[٣]، وفي الغالب كان يرسل إليهم المعونات، ويتابع عن كَثَب أمر توزيعها، وخصوصًا الأشخاص الذين أرسلت إليهم، ودومًا كان يُحَذِّر رجاله في هذه المناطق من قيامهم بتوزيع هذه الإعانات على من لا يستحقونها[٤].



(١) من الجدير بالذكر: أنه عند مراجعتنا لأسماء المعينين في مجلس الشورى في تلك الحقبة لم يكن عباس قطان من بينهم، فلعل الأمر بتعيينه في مجلس الشورى لم ينفَّذ لسبب أو لآخر.
(٢) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٧ - ٧٨.
(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.
(٤) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٧٠٦ - ٧٠٧.

المبحث الثاني

رعايته للأيتام

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[(١)]، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا»**[(٢)]، **وأشار بالسَّبَّابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا.**

وعملًا بهذه المبادئ التي نص عليها القرآن الكريم، وأكدتها السُّنة النبوية الشريفة؛ اهتم الملك عبدالعزيز رحمه الله بهذه الفئة من المجتمع فشملهم بعطفه ورعايته، وأقام لهم ما يعرف بدور الأيتام، وتشير المصادر التاريخية إلى أن البداية الرسمية لهذه الدُّور كانت بمبادرة خيرية من الملك نفسه؛ حين قام بافتتاح رسمي لمدرسة خاصة في مبنى خاص بالأيتام في الرياض، تولى رعايتها والإشراف عليها بنفسه؛ لتنضم في الوقت ذاته في تبعيتها وإدارتها لإدارة القصر الملكي مباشرة، جنبًا إلى جنب مع المدرسة الخاصة الأخرى التي كان الملك عبدالعزيز قد افتتحها في قصره خلال عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م؛ لتعليم صغار الأمراء، وحَفَدته، وأبناء إخوته[(٣)].

وفي عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م افتُتحت مدرسة "دار الأيتام" في مكة

---

(١) سورة الضّحىٰ، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (٥٣٠٤). وأخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٩٨٣)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١٩٣ - ١٩٤.

المكرَّمة؛ افتتحها مَهْدِي المُصْلِح[١] بإرشادٍ وتوجيه من الملك عبدالعزيز، وشُيِّد للدار مبنى خاص افتتحه الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م؛ وهي تشمل المرحلة الابتدائية فقط، ومنهجها مطابق لمناهج مديرية المعارف، وكانت الدار في بداية أمرها تعتمد على تبرعات المحسنين، ولكن لما قَلَّت التبرعات، خصصت لها الدولة مساعدات مالية، وقد تخرج أول فوج منها عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، وظلت تؤدي دورها حتى ألحقت بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بعد ذلك[٢].

ولعل نجاح دار الأيتام في مكة المكرمة في تأدية دورها الاجتماعي والتعليمي المنوط بها، كان - فيما يبدو - عاملًا مشجعًا للملك عبدالعزيز في اتخاذ قرار خيري مبارك يقضي بضم إدارة دار الأيتام الأهلية في المدينة المنوَّرة إلى دار الأيتام الحكومية في مكة المكرَّمة؛ خصوصًا وأنها كانت تعاني من تقلبات كثيرة في ميزانيتها؛ نتيجة لاعتمادها على الجهود الذاتية، وعلى التبرعات الخيرية المحدودة من الأعيان والتجار في المدينة؛ لتنطلق

(١) مَهْدِي بك؛ ويعرف باسم مهدي بك المُصْلِح، وقد كان الملك عبدالعزيز أول من دعاه بالمُصْلِح، فظل لقبًا له ولأبنائه. عراقي الأصل، التحق بخدمة الملك عبدالعزيز منذ فجر حياته في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، وأحيل على التقاعد في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، خدم ١٩ سنة مديرًا للأمن العام، وتولى مديرًا للشرطة في المدينة المنورة، ثم في مكة، وأسس دار الأيتام والعجزة بمكة، وتوفي عام ١٣٧٢هـ - فبراير ١٩٥٣م، في القاهرة.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٦٢١.
والأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٢١١ - ٢١٢.

(٢) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ١٦٠.

هذه الدار بعد ذلك في أداء رسالتها على أفضل وجه، ولتنضم إلى مثيلاتها من دور الأيتام الأخرى التي كانت تحظى بالرعاية الملكية الخاصة؛ ومن ذلك مدرسة الأيتام الأهلية التي تأسست في الرياض عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ومدرسة الأيتام الأخرى التي افتتحت في الرياض في عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م؛ ومقرُّها حِلَّة الأحرار، وفي العام الذي يليه توسعت المدرسة؛ حيث ضُمَّت هي ومدرسة الأمير منصور بن عبدالعزيز في مدرسة واحدة سمِّيت بالمدرسة السعودية، ووضع لهما ميزانية واحدة تصرف من قبل القصر الملكي[1]، أضف إلى ذلك دار الأيتام الكائنة في قصر المربَّع في الرياض، والتي كانت تشترك مع دار أيتام المدينة المنوَّرة في منهج دراسي ذي شِقَّيْنِ، الأول نظري، والآخر مهني، يشمل التدريب على النِّجَارة، والحِيَاكة، وعمل الحقائب الجِلْدية، وغير ذلك من الحِرَف البسيطة[2]، وقد أدت تلك الدور الخاصة بالأيتام مجتمعة رسالتها المأمولة منها، وكانت النواة الطيبة والغرس الخيِّر للرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، بفضل الله أولًا، ثُمَّ بجهود الملك عبدالعزيز المباركة.

❁❁❁❁❁

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) عطار؛ مصطفى عبدالغفور، الملك عبدالعزيز والتعليم، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ، المجلد الثالث، ص: ٨١٤.

المبحث الثالث

صِلَتُهُ للأرحام وذوي القَرَابة

يأمرنا ديننا الإسلامي الحنيف بصلة الأرحام وينهانا عن قطيعتها، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[(١)]، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[(٢)]، وعن جبير بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**» يعني: قاطع رَحِمٍ[(٣)].

ولم يكن الملك عبدالعزيز رحمه الله لِيَغْفُلَ عن الاهتمام اللازم بشؤون أولي قرباه وذوي رحمه - بالرغم من مسؤولياته الكبرى بوصفه حاكمًا وراعيًا للبلاد وأهلها - عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[(٤)].

فلقد عُرِفَ عنه رحمه الله حرصه التام على صلة الرحم، وعلى حسن العَلَاقة فيما بينه وبين أفراد أسرته، أو فيما بينهم أنفسهم، كما عُرِفَ عنه في الوقت نفسه الاهتمام بشؤون أفراد الأسرة، وقضاء ما تحتاج إليه من الشؤون العامة والخاصة، ويظهر ذلك جَلِيًّا في عطفه الشامل على أفراد الأسرة من

---

(١) سورة النِّسَاء، الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٥٥٥). وأخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (٥٩٨٩) بمعناه.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث (٥٩٨٤)، ومسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج؛ صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٢٥٥٦).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

آل سعود؛ فلكل منهم بحسب منزلته وحاله مكان في داخل ذلك القلب الكبير الذي كان يتسع للجميع[١]؛ فلقد وهبه الله قلبًا كبيرًا يسع حب الأبناء؛ كما يسع حب الإخوة والأخوات والأهل.

١ - عَلَاقته بوالده:

البِرُّ بالوالدين من مهمات ما دعا إليه الإسلام، وقد قَرَن الله هذا الأمرَ بوجوب الإيمان به - جلَّ وعلا - في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢]؛ كما أرشدنا القرآن الكريم إلى وجوب بِرِّ الابن بوالديه، وحسن معاملته لهما؛ ومن أجل ذلك كان الملك عبدالعزيز يتقرب إلى الله بحبه لوالديه، وبطاعتهما، وكانت علاقته بهما علاقة حميمة منذ مرحلة الطفولة، ولعل مما يسجله التاريخ للملك عبدالعزيز من شرف كبير ينم عن تقديره لوالده أثناء الإقامة معه في الكويت إصرارَهُ على استشارة والده، واستئذانه في البدء في مرحلة التأسيس والسعي لاسترداد الرياض؛ حيث لم يتحرك الابن إلا بعد أن نال موافقة أبيه، ولقي الأب من الابن كلَّ بِرّ؛ فقد استدعى الابن البارُّ أباه من الكويت بعد أن استتب له أمر الرياض، فحضر الوالد، وبادره عبدالعزيز بإعلامه بأن الإمارة معقودة له، وأنه جندي في خدمته، ولكن الوالد - لِمَا يعرفه من عظيم همة الابن وصلاحه وقدرته - أبى أن تكون الإمارة له، وقبلها الملك عبدالعزيز بشرط أن يكون للأب الإشراف على عمله وإرشاده دائمًا[٣].

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١١٣ - ١١٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ٦٣ - ٦٤.

ولو أننا تتبَّعنا سيرة الملك عبدالعزيز مع والده بعد استقراره في الرياض، فإنه يمكن أن نلحظ عمق المحبة والتقدير من الابن للوالد؛ هذا التقدير الذي استمر في تزايد مستمر ومُوَازٍ لتقدمِ العمر عند الابن والوالد؛ فقد ظل الملك يقوم بزيارة والده كل صباح في حين كان الوالد يزور الابن بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وكان يَلْقَى كل ترحاب ومحبة من الابن الذي كان يسارع في تقديمه إلى صدر المجلس، ويجلس هو بين يديه مع الزُّوَّار، صامتًا ينتظر ما يأمره به، وإذا همَّ بفعل شيء أو اتخاذ قرار، كان لابد من قيامه بعرض ذلك على الوالد أولًا[1]، وفي المقابل كان الوالد يرد رسائل عبدالعزيز الخاصة بهذا الشأن كما هي، ويقول: "عبدالعزيز مُوَفَّق؛ لقد خالفناه في آرائه كثيرًا، ولكن ظهر لنا فيما بعد أنه هو المصيب، ونحن المخطئون، إن نِيَّته مع ربه طيبة لا يريد إلا الخير للبلاد وأهلها، فالله يوفقه، ويأخذ بيده".

وتحتفظ دور الوثائق بالعديد من المراسلات المتبادلة بين الإمام وبين ابنه عبدالعزيز، وتدل على ذلك التقدير والاحترام بينهما؛ والشاهد على ذلك: هذا النموذج من تلك الرسائل، وهو رسالة جوابية من الملك عبدالعزيز إلى والده مُؤَرَّخة في السادس عشر من رمضان عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م؛ نورد مقتطفات من نصها: "خطكم المكرم وصل، تلوناه حامدين الباري جلَّ شأنه على دوام صحتكم، وما عُرِفَ حضرتكم به كان لدى مملوككم معلومًا"، ويقول أيضًا: "أخبارنا طيبة، ولا يوجد ما يوجب إفادة حضرتكم به سوى دوام العفو والعافية والرخاء والأمنية الشاملة، نرجو الله تعالى أن يَعُمَّهُ على الجميع، ولا يغير على المسلمين بدوام وجودكم، هذا ما لزم تعريفه، والرجاء مواصلة مملوككم بأخبار صحتكم مع إبلاغ السلام

(١) الزركلي؛ خير الدين، الوجيز، مرجع سابق، ص: ٣٦٦ - ٣٦٧.

للأولاد، وكما هنا العيال يُسَلِّمون، والله يحفظكم محروسين»[١].

ظلت العلاقة قائمة على الحب والاحترام، وها هو التاريخ يسجل - بفخر - ذلك الموقف العظيم للملك في بِرِّه بوالده؛ فبعد أن استقرت الأمور للملك عبدالعزيز في الحجاز حضر والده الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود من الرياض ليؤدي فريضة الحج؛ فدخل المسجد الحرام يطوف بالبيت العتيق ومعه ابنه الملك عبدالعزيز، فطاف الوالد والولد، ولكن الأب الذي كان قد بلغ من العمر مبلغه، قد صار ضعيف البنية لا يقوى على المشي، ولما بلغ به التعب مبلغه، وأدركه الإعياء، هبط على الأرض بعد أن أتم ثلاثة أشواط من الطواف، فما كان من الملك عبدالعزيز إلا أن حمل والده على مرأى من الناس جميعًا، حتى أَتَمَّ بقية الأشواط، وقد كان بإمكانه إصدار الأوامر بأن يُحْمَلَ على راحات الأكفّ، ولكنه أبى ذلك وحمله بنفسه[٢].

ومرة أخرى يُجَسِّد لنا الملك عبدالعزيز هذه العلاقة السامية، ويحدثنا عنها الأمير طلال بن عبدالعزيز حيث يقول: اجتمع ذات مرة في الرياض أمراء نجد وعلماؤها وأعيانها ورؤساء قبائلها، وكان في مقدمة الحاضرين الإمام عبدالرحمن ابن فيصل، ثم انفض الاجتماع، وخرج الجميع يتقدمهم الإمام عبدالرحمن، فلما جيء بحصانه ليركبه، بادر الملك عبدالعزيز فتقدم إلى سائس الحصان، وأخذ منه مقود الحصان، وقرَّبه بنفسه إلى والده، ولما هَمَّ الإمام باعتلاء صهوة الجواد، انحنى الملك عبدالعزيز ليجعل من كتفه مرتفعًا يضع عليه والده قدمه؛ ليعتلي الحصان، وظل واقفًا في أدبٍ جَمٍّ حتى وَدَّعَ والده ومن كان معه[٣].

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٣٢-٣٣.

(٣) آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٠٤.

٢ - علاقته بإخوته وأخواته:

تروي المصادر التاريخية نماذج كثيرة لحُبِّ الملك عبدالعزيز لإخوته بصفة خاصة، ولأهله بصفة عامة؛ ومن هذه النماذج مايأتي:

في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م كان سعد أخو الملك عبدالعزيز في البادية في أطراف نَجْد، وأوعز الأتراك إلى الشريف حسين أن يستميل بعض القبائل ضد ابن سعود، فرحل الحسين إلى بادية عُتَيْبة[١]، وأسر سعدًا ليساوم الملك عبدالعزيز عليه، وفي ذلك يقول خير الدين الزِّرِكْليّ: إن الملك عبدالعزيز اضطرب وترك كل شيء إلا سعدًا، وزحف بجيشه غرب الرياض، وكتب إلى شيوخ عُتَيْبة ينذرهم إن تركوا الشريف حسينًا يغادر إلى الحجاز ومعه سعد؛ فإن الحرب واقعة بينهم لا محالة، عندئذ تنبَّه شيوخ عُتَيْبة لتحذير الملك وإنذاره، وطلب الشريف حسين من عبدالعزيز - بواسطة الشريف خالد بن لُؤَيّ - وَرَقَةً يستطيع أن يجامل بها السلطان العثماني، وهي - في الوقت نفسه - لا تضر بالملك عبدالعزيز، فوافق الملك على أن يكتب تَعَهُّدًا بدفع مبلغ من المال سنويًّا للدولة العثمانية، ووصف ذلك بأنه قصاصة ورق، ولكنه حفظ بذلك أخاه[٢].

---

(١) تنسب قبائل عتيبة إلى بني سعد وجُشَم من قبائل هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي من أعظم قبائل العرب، تمتد منازلها من سفوح جبال الحجاز الشرقية إلى الحرار التي بين درب الحج ونجد من الشمال والشرق، وديار قحطان، والبقوم، والشلاوة، وسبيع في الجنوب، ويوجد قسم قليل من عتيبة في الحجاز غربي السلسلة الجبلية في أطراف الطائف، وفي أطراف مكة، والمضيق، والسيل، وتنقسم إلى بطنين كبيرين: الرُّوقة، وبرقا.
الطيب؛ محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، المجلد الخامس، ص: ٧٤٤، ٧٩٣.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، الوجيز، مرجع سابق، ص: ٥٢.

ومما يذكر للملك عبدالعزيز في جانب الاهتمام بشؤون أفراد الأسرة العامة والخاصة: حرصه ﷺ على تأمين احتياجاتهم على مختلف مستوياتهم؛ لأنه كان مدركًا تمامًا ثقل الحمل المادي والمعنوي الملقى على عاتق أفراد الأسرة من آل سعود في المجتمع السعودي، ومن نماذج ذلك الخطاب الذي بعث به الأمير محمد بن عبدالرحمن الفيصل أخو الملك إلى محمد بن شَلْهُوب[١] يطلب فيه السرعة في تأمين البَرْوَة[٢] التي أمر بها الملك عبدالعزيز له حيث يقول: "بعده أخي واصلك بروة من الأخ، الله يسلمه، فيها أربع مية ريال يكون، إن شاء الله، حال وصول الخط إليك

---

(١) محمد بن صالح الشَّلْهُوب، ولد عام ١٢٧٤هـ في الرياض، كان في ذلك العهد وزيرًا للتموين والمال، تشمل مهامه الكبيرة والصغيرة من المدفع إلى عود الكَبْرِيت، فكان يوزع الحطب والثياب والسلاح والمال، وطريقته في الإدارة بدوية أولية، وحساباته قروية، عرف عنه الأمانة والشدة والحرص في العمل، توفي في بيروت في ٦/ ٧/ ١٣٨٩هـ، ودفن بالرياض.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٤٢٣.
والسبيت، عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٤٢٩.

(٢) البَرْوَة: هي التحويل الذي يعطى للطالب ليقبضه من إحدى الجهات التي فيها بيوت المال، أو من عامل الزكاة في داخلية المملكة، وقد تشتمل على أرز وسُكّر وقَهْوة وشاي وتمر، وعلى مال أيضًا، وصاحب البَرْوة قد يطالب بها في كل سنة، ولكن طلبه يكون من ديوان الملك، وهي بذلك تختلف عن القاعدة، وعن الشَّرْهة، وعن المَعُونة؛ حيث إن المَعُونة عبارة عن نوع من الأعطيات، لكنها لا تتقيد بوقت معين، وهي في الغالب أعطيات تكون مع الشَّرْهات؛ حيث إن الوافد على الملك يطلب بعض مطالب شفاهية، فيأمره بالذهاب إلى الديوان فيكتب ما يريد، وفي الغالب يطلب معونة.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ١٧٨.
والزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، مرجع سابق، ص: ٤٧٨ - ٤٧٩.

تعجلها لنا مع أول قادم . . .»[١].

وكانت أعظم مَسَرَّات جلالته الخاصة تواصله مع إخوته وأخواته؛ فكان يحب أن يحيط به أكبر عدد ممكن منهم، وكان يعقد في الساعة السابعة من صباح أغلب الأيام مجلسًا خاصًّا يحضره كبار العائلة وأبناؤه وأخواته وأقاربه يناقشون فيه مشكلاتهم، أو يكتفون بالسلام عليه، وكان غالبًا ما يوصي وكلاءه في بُومْبَاي ودمشق بشراء أشياء ثمينة ليهديها إلى أفراد أسرته[٢].

وكان ﵀ يتفقد نساء الأسرة وبخاصة المسنَّات منهن، ويسأل عن كل واحدة باسمها، فإن افتقد منهن واحدة وعلم أنها مريضة، بادر بعمل اللازم لها؛ حيث كان يأمر طبيبه الخاص بزيارتها مرتين في اليوم وإخباره عنها، ويتصل بها بالهاتف يوميًّا[٣].

عمومًا؛ يمكن القول بأن منابع الخير قد اجتمعت لدى الملك عبدالعزيز، وكانت كثيرة ومتنوعة، تفيض على مواطنيه جميعًا؛ ومن كان هذا سَمْته، فإنه ولا شك لن تضيق راحتاه عن التوسعة على أهله وذوي قُرْباه.

٣- عَلَاقته بأخته نُورة:

ولعل من أبرز الشواهد التاريخية على مكانة المرأة من آل سعود في نفس الملك عبدالعزيز ما تورده المصادر التاريخية عن العلاقة الوثيقة

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١١٨.

(٢) المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٣٣٨.

(٣) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢٠.

المتبادلة بين الملك وأخته نُورة بنت عبدالرحمن بن فيصل؛ كبرى شقيقات الملك عبدالعزيز، التي شاركته شيئًا من آلام الاغتراب في الكويت؛ إضافة إلى أنها كان لها دور كبير في شحذ هِمَّته لاسترداد ملك آبائه وأجداده، ورغم ارتباطاتها العائلية إلا أن علاقتها بأخيها قد ازدادت؛ حتى أصبحت زيارته لها مرتين يوميًّا من عاداته الجميلة التي لا يتخلى عنها إلا في السفر، أو عند الظروف الطارئة، وكان من فرط تقديره لها أنه كان يعتزي بها؛ حيث يقول: "أنا أخو نُورة"، وفي حالات الغضب يقول: "أنا أخو الأنور المُعَزِّي"[(١)]، ويقال بأنها كانت المرجع لحل المشكلات الداخلية في قصره، حيث كان يلجأ إليها لاستشارتها بصدد شؤون الأسرة، وكذلك كانت موضع أسراره، وقد عرف الخاصُّ والعامُّ أن لهذه المرأة دورًا كبيرًا في الشفاعة عند الملك عبدالعزيز، فطلب الناس شفاعتها لدى الملك، وكان من سمتها كثرة فعل الخير، والسعي لنفع الناس[(٢)].

ومن بين الوثائق التي ضَمَّها كتاب "لسراة الليل هَتَف الصَّبَاح" لعبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ما يدل على طبيعة العلاقة بين الملك

---

(١) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١١٦.
والمقصود بـ(المُعَزِّي): أن الملك عبدالعزيز إذا اضطر لقتل أحد الأشخاص، فإنه يبذل ما لديه من العطف والرحمة والشفقة والسخاء لأبناء ذلك المقتول، حتى يُشعِرهم بأنه قد عزَّاهم بمقتولهم فعلًا، ومَحَا ما في نفوسهم من رواسب البغضاء بحسن فِعَالِهِ تلك.
المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١١٦.
والتويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، مرجع سابق، ص: ٦٩٩.

عبدالعزيز وأخته نُورة؛ ومن ذلك الرسالة التي بعثت بها الأخت إلى أخيها في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، ردًّا على رسالة من الملك عبدالعزيز كان قد أرسلها إليها يطلب منها العناية التامة بوالدة ضِيدَان بن حِثْلين، عم راكان بن حِثْلِين زعيم العُجْمان، وهذا نصّ رسالتها:

"إلى حضرة الأجلّ الأمجد الأفخم، حميد الشِّيَم والمكارم المكرَّم، الأخ العزيز عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل المحترم، دام بقاؤه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والسؤال عن عزيز خاطركم، ما زلتم بخير وسرور، وعَنَّا: من كرم الله في حال خير وعافية، والخط المكرَّم وصل، وسرَّنا طيبكم وصحة أحوالكم. تذكر - أدام الله وجودك - من طرف أم ضِيدَان، والذي جنابكم يوصي عليها، إن شاء الله، ما أمرتم على الراس، ونَوَّخَتْ علينا[1]، وهي الآن عندنا. نبشر جنابك عن العيال والعَنُود، وأنهم طيبين وتسرّك أحوالهم، ولا حدث من الأخبار ما يوجب رفعه إليك إلا دايم العافية، إلا سعود بن عبدالرحمن جَا له ولد عساه مبارك، نرجو أن الله يديم لنا حياتك وسلامة عمرك وعز الإسلام، هذا ما لزم تعريفه جنابك، ومن عندنا سيدي الوالد والعيال كافة طيبون ويسلمون، ودم سالمًا محروسًا"[2].

ولم تكن تلك هي الرسالة الوحيدة، بل إن ثمة كثيرًا من الرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز وأخته نُورة؛ منها ماهو خاصٌّ بالمشكلات

---

(١) نوَّخت علينا، أي: أناخت جملها عندنا، ونزَلَتْ علينا ضَيْفة، ومنه: أَنَخْتُ الجَمَلَ فاستناخ، أي: أبركتُهُ فبرَكَ. انظر: الزَّبِيدِيّ؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، مرجع سابق، الجزء السابع، ص: ٣٦٢، مادة (ن و خ).

(٢) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٥١٩.

الأسرية عامة، ومنها ماهو خاصٌّ بعلاقتها بأخيها؛ ففي إحدى الرسائل تعاتبه معاتبة أخوية على التقصير الذي تراه في حق الأسرة - من وجهة نظرها - مقارنة بما يقدِّمه لغيرهم[١]، وهو معذور في ذلك؛ حيث كان منشغلًا بخوض معارك عدة لتوطيد أركان الدولة الفتية، ومع ذلك فإنه لم يغفل عنهم، وهذا واضح من نص الرسالة التي أرسلتها أخته نُورة إليه، والتي تُقِرّ فيها بأن ما أمر به من البَرْوة قد وصلت إليها، وإنما عتابها له كان منحصرًا في تذكيره بأنه إذا ما تناسى هو أحوالهم، فمن ذا الذي يتذكَّرها؟!

لقد توفيت أخته نُورة قبله بسنوات وجيزة، فحزن عليها حزنًا شديدًا، وكأني بلسان حاله يردِّد قول المتنبي في رثائه والدة سيف الدولة الحَمْدَاني:

أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ
وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِي

حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ المُزْنِ فِيهِ
كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ المَقَالِ

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ[٢]

---

(١) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٦٩٩.

(٢) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١٠١ - ١٠٢. وانظر في أبيات المتنبي: البرقوقي؛ عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩.

٤ - علاقته بزوجاته:

مما ذُكر آنفًا تبين لنا علاقة الملك عبدالعزيز العامة بأهله، فماذا عن علاقته الخاصَّة بزوجاته، يروي لنا الأمير عبدالله الفيصل حادثة تبين لنا جانبًا من حياة الملك عبدالعزيز الخاصة مع أهله، ونظرته لحقوق الزوجية فيقول: كان من المعروف عنه حبُّه للنظافة والطِّيب، وكون ذلك في أثناء النهار ليس موضع استغراب بالنسبة لي، ولكني لاحظت في إحدى الليالي، أنه قبل أن يذهب إلى فراشه ذهب إلى الحَمَّام، واستحم ولبس للنوم ملابس نظيفة، ودعا بالبَخُور وتبخَّر بالعود، وتعطر بعطر الوَرْد، ودُهْن العُود الذي كان يحبه، فتجرّأت بسؤاله عن هذا، وهو ذاهب إلى فراشه فقال: "يا بنيَّ، إن زوجي حرصت على أن أراها في أبهى مظهر، وأن أَشَمَّ معها أحسن رائحة، أليس لها نفس الحق في أن تراني في أبهى منظر، وأن تَشَمَّ معي أحسن رائحة"[1].

ليس هذا فحسب، بل إنه كان إذا ماتت إحدى زوجاته لا يتمالك نفسه من الأسى والبكاء؛ فعندما توفيت الأميرة الجَوْهرة بنت مساعد بن جلوي والدة الأمير محمد بن عبدالعزيز، والملك خالد بن عبدالعزيز، وكان لها في قلبه مكانة كبيرة؛ لأنها كانت ابنة عمه، وهي أميرة كبيرة في آل سعود، وأم الملك هي التي زوَّجَتْه بها، وقد قضت نَحْبها وهي في شبابها، فظل الملك عبدالعزيز محزونًا عليها مدة من الزمن، وأكرَمَ مَنْ كان يخدمها في حياتها، ولم يأذن لغير أخته نُورَة بأن تدخل حجرتها في القصر[2].

---

(١) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٤٥.

(٢) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ٦٥.
والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٥٤.

لقد كان الملك عبدالعزيز حقًّا مثالًا للرجل الذي يرأف بالمرأة ويقدِّرها حق قَدْرها، ويعرف تمام المعرفة أهمية هذه الرحمة وتلك المحبة في التعامل معها.

٥ - عَلَاقَتُهُ بصغار الأسرة:

كما كان للنساء من آل سعود مكانة في قلبه؛ فقد كان للصغار من أفراد الأسرة حَيِّزٌ محبة في قلبه الكبير.

ولعل ما رواه الأمير عبدالله الفيصل من قصة طلب الملك حضور أحفاده من الطائف إلى الرياض لرؤيتهم والاستئناس بهم من النماذج التاريخية التي يَحْسُن الوقوف عندها للدلالة على محبته للصغار، ومكانتهم في قلبه؛ حيث يقول: أذكر أنه في أحد الأعوام تأخر الملك عبدالعزيز عن الحج، وبعد الحج وفي الطائف وصلتني منه برقية - وكان مولاي (جلالة الملك) فيصل ابن عبدالعزيز مسافرًا - هذا نصها:

"أنا وَلْهَان على إخوانك وعيالك، أمَرْنا منصور بن عبدالعزيز (وزير الدفاع آنذاك) أن يُحضِر لهم طائرتنا، ابعثوهم لنا في الرياض"، وكان أكبرهم في سن العاشرة، جلست أفكر في الرجل الذي يحمل أعباء أمة ومشاكلها العظيمة؛ وهو لا يغفل مع ذلك عن حفدائه[1].

إن مِنْ بالغِ الحكمة أن الملك عبدالعزيز قد مزج تلك الرعاية الحانية بالحرص الشديد على التربية والتعليم والتأديب لأبنائه، وفي ذلك يقول عنه الملك فيصل: "كان الوالد في تربيته لنا يجمع بين الشدة والرحمة، ونحن وأبناء الشعب عنده شخص واحد لا فروق ولا تمييز، وكان مقتنعًا تمامًا بأن

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٢٠.

العدالة ليس لها ميزانان؛ فالكل سواء عنده والكل أبناؤه، وأذكر أن أحد إخوتي الأطفال اعتدى على آخر، فما كان من الملك عبدالعزيز إلا أن عاقبه، ولم يشفع له أنه ابن الملك، وليس لشفقة والدي وحنانه على أبنائه وأحفاده حدود، بل يغمرهم بعطفه في كل آن، وهو يحب أن يراهم يوميًّا، وخاصة صغارهم فيجتمعون بعد مغرب كل يوم في قصره، ويجلس إليهم فيلاطفهم واحدًا واحدًا، ويقدم إليهم الهدايا والحلوى»[1].

وإن المصادر التاريخية لتزخر بالعديد من الأمثلة التي تدل على حرص الملك البالغ على حسن تربية أولاده؛ فمن نماذج التربية القويمة:

ما رواه خير الدين الزِّرِكْلِيّ في قصة الملك عبدالعزيز مع ابنه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز وهو في سن الخامسة؛ إذ كان بصحبة والده في المقعد الخلفي في سيارته بإحدى رحلات النزهة البرية، فأعطاه الملك قبضة من الريالات، وارتقب ماذا سيفعل بها، وبدأ الأمير يلعب بالريالات، فقال له الملك: أعطِ إخوانك، يقصد الجالسين معه، وهم حمزة غَوْث[2]، وصاحب الرواية - الزِّرِكْلِيّ - فقام الأمير بتوزيع المبلغ عليهم، وهم بدورهم دفعوها إلى الحراس الواقفين على جانبي السيارة، وبعد هنيهة التفت الملك عبدالعزيز سائلًا: أين الريالات يا عبدالمجيد؟

---

(١) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٣٩.

(٢) حمزة غَوْث؛ من أدباء المدينة، انتقل إلى الرياض بطلب من الملك عبدالعزيز، ثم التحق بالسلك الدبلوماسي، وشغل منصب مستشار في الشؤون الخارجية، واشترك في مؤتمر الكويت الأول والثاني، وعين سفيرًا للمملكة في إيران.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٣٣٧، والجزء الثالث، ص: ١٠١٣.
والعمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١٢١.

فمَدَّ يديه فارغتين، فقال: أنفقت ما معك؟ قال: إي، قال: لا تخف يعوضك الله عنها، وأعطاه غيرها، وما زال يعطيه وعبدالمجيد يوزِّع حتى أدركنا أن الأب يُلَقِّن الابن درسًا عَمَلِيًّا في الكرم، ويُشعره من الطفولة أن الجود لا يُفقِر[١].

- ومن مواقف التربية العملية أيضًا: ما روي من أن بناته دخلن عليه ذات يوم، وقد أقبلن يتدافعن كل واحدة تريد التقدم، فسألهن قاصدًا تعليمهن: من هي الكبرى؟ ولم تجب البنات، ثم قال بنبرة أعلى: من هي الكبرى؟ فارتبكن، فكرَّر السؤال وفهمن الجواب، وانتظمن الكبيرة منهن أولًا، ثم التي تليها في السن، وهكذا؛ هذا موقف يؤكد حق الكبير، ويربي الصغير على احترام الكبير، وعلى إجلال من هو أقدم منه، وهذه أخلاق الإسلام يجسدها الملك عبدالعزيز في مواقفه التربوية[٢].

ولعل النموذج التاريخي الآتي يبين لنا شيئًا من اهتمام الملك عبدالعزيز بتربية أبنائه، وهو رسالة بعث بها الملك عبدالعزيز في شهر ربيع الآخر من عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م إلى كبار أبنائه؛ وهم: الأمراء سعود، وفيصل، ومحمد، وخالد، يوصيهم فيها بأمور سياسية أكثر منها تربوية، وفي هذا المقام ينبغي أن نركز على الأمر الأول منها حيث تتضح فيه الأسس التربوية التي أراد الملك عبدالعزيز لأبنائه أن يسيروا عليها، أما الأمور التي أوصاهم بها؛ فهي كما يلي:

"**أولًا**: تكونوا يدًا واحدة فيما بينكم؛ صغيركم يُوَقِّر ويمتثل أمر كبيركم،

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٤٣٠.

(٢) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١٤٠ - ١٤١.

وكبيركم يعطف على صغيركم، كما أن الصغير إذا رأى أمرًا لا يجوز من الكبير يجب عليه أن يبين له ذلك، ويقول: هذا الأمر لا يجوز منك، وعلى الكبير الإصغاء لأخيه الصغير، كما هو لازم عليه مناصحة أخيه الصغير.

ثانيًا: إن كل شيء آمر به أو تدبير أُدبِّره تُنَفِّذوه ولا تعترضوه أو تعارضوا من وكلت إليه أمره.

ثالثًا: كل ما سألتكم عنه أو لزم لكم رفعه إليّ، تَصْدُقونني فيه بأي حال تكون.

رابعًا: ألَّا تعترضوا أمور مالِيَّتي، لا قريبها ولا بعيدها، في قليل ولا كثير.

هذه أمور أربعة، افهموها واحرصوا على تنفيذها؛ حتى لاتكونوا عُرْضة لسخطي عليكم»[(١)].



(١) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٤٥٩.

الفصل الرابع

اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلـم والعلمـاء

- المبحث الأول: ثقافته الإسلامية وتأثيرها فيه.
- المبحث الثاني: جهوده البارزة في نشر التعليم وتطويره.
- المبحث الثالث: حرصه على مشاورة العلماء وذوي الخبرة.

المبحث الأول

ثقافته الإسلامية وتأثيرها فيه

لقد التزم رحمه الله في ثقافته الإسلامية بكتاب الله عَزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ؛ في أقواله وأفعاله وتقريراته، والاقتداء بمنهج صحابته الكرام؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[١].

ولعل أقصر سبيل وأيسره إلى معرفة منهج الملك عبدالعزيز في القول والعمل هو تعريفه لنفسه؛ فمن هذا التعريف الذي قدَّمه في خُطَب ألقاها في مناسبات مختلفة، وفي لقاءات متنوعة يمكننا أن نتبين نظرته إلى نفسه؛ فكان مما قال:

"إنني والله لا أحبُّ إلا مَن أحبَّ اللهَ حبًّا خالصًا من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمّني أن أكون ملكًا أو فقيرًا"[٢].

كما صرَّح في مواقف أخرى كثيرة بأنه لا يسعى للرئاسة ولا يريد عُلُوًّا في الأرض ولا ترفُّهًا بزينتها، وأن غاية ما يسعى إليه هو جعل كلمة الله هي العليا[٣].

وإن الشيء لا يُستغرب من معدنه؛ فالملك قد تَشَرَّب منذ صغره

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٧٣.

(٣) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٧٩.

الإسلام عقيدة خالصة نقية خالية من الشوائب والبدع؛ فهو يَعُدُّ الدين ركيزة كبرى في حياة الإنسان، وأساسًا لحياة المجتمع، وعلى هذا فقد كان دائم الحرص على الانطلاق من عقيدة التوحيد الخالص؛ وهذا الأسلوب الذي يعد من أهم أساليب الملك عبدالعزيز في تعامله مع شعبه، لم يكن أسلوب دعاية سياسية هدفها صناعة الرضا الجماهيري، وهندسة المواقف؛ إنما كان أسلوبًا وليد قناعة، يَظْهر مرارًا وتلقائيًا في مجالس الملك العامة والخاصة؛ إذ لا تخلو خُطْبة من خُطَبه من الإشادة بأهمية العقيدة، والتمسُّك بالدين الإسلامي[(١)].

ويؤكد لنا ذلك في الخطاب الذي ألقاه في المأدبة الملكية الكبرى في ٤ من ذي الحجة ١٣٥١هـ - الأول من إبريل ١٩٣٣م؛ إذ يقول:

"أنا مُبَشِّر، أدعو لدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح؛ وعقيدةُ السلف الصالح هي: التمسُّك بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وما جاء عن الخلفاء الراشدين"[(٢)].

ويقول رحمه الله: "أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، أنا عربي، وأحب قومي، والتآلف، وتوحيد كلمتهم"[(٣)].

ويقول رحمه الله: "دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ، فإما حياة سعيدة على ذلك، وإما موتة سعيدة"[(٤)].

---

(١) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٤٢ - ٤٣.
(٢) مختارات من الخطب الملكية؛ مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٤.
(٣) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٤.
(٤) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٨.

مما ذُكر آنفًا يتضح لنا أن الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ كان يستمد فكره من نبع الإسلام عقيدةً وشريعة، وكان الدين عنده عبادة وسياسة وإصلاحًا للمجتمع، وكم كان يشرح للرعية أنه على منهج السلف الصالح في العقيدة، وأن أصل الدين كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيِّه محمَّدٍ ﷺ، وما كان عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان؛ وفي ذلك يقول:

"فهذا الذي ندين اللهَ به، ونعتقده نحن ومشايخنا وأسلافنا، وهو الصراط المستقيم، ومن خالفه وهو جاهل، فيجب عليه التوبة والرجوع إلى الله، ومن خالفه وهو معتقد بطلانه، فنُشهِد اللهَ أنه ليس على شيء من الدين لا أصله ولا فرعه؛ لأنه ما كذَّب مشايخنا، بل كذّب كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ وعلماء المسلمين، واعتقاداتهم، أولَهم وآخرهم"(١).

وحينما أراد إرشاد المخالفين إلى ضرورة العودة إلى القرآن الكريم، والسُّنَّة النبويَّة المُطَهَّرة، قال لهم: "كنا عبيدًا للعَجَم، ولكن الإسلام جعلنا سادة، ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته، واتباع مُحَمَّدٍ ﷺ، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ولا ننساهما"(٢).

هذه نماذج من أقوال الملك عبدالعزيز، تبين مدى حرصه على المحافظة على الدين الإسلامي وعلى العقيدة السلفية، والتزامه بها، أما الأسس التي اتبعها في منهجه، فإنها تنقسم إلى ثلاثة أركان أساسية؛ هي: **التوحيد، والشريعة، والوَحْدة**؛ ولقد دعا سائر الأمة إلى التوحيد الخالص، واختار -

---

(١) مختارات من الخطب الملكية؛ مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٥ - ٢٦.

(٢) العبود؛ صالح بن عبدالله بن عبدالرحمن، الملك عبدالعزيز، من صفاته القيادية: العزم والإرادة، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ، المجلد الثالث، ص: ١٤٠.

بسبب محبته للتوحيد والإخلاص فيه والجهر به - الشهادتين شعارًا لراية بلاده "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، ولم يكن اختيار الشهادتين شعارًا لرايته مسألة مصادفة؛ وإنما كان ذلك نابعًا من تمسكه بالدين والشريعة الإسلامية، كما تحوي الراية أيضًا النَّخْلة واللون الأخضر والسيف، والنخلة واللون الأخضر يُعدَّان رمزين آخرين يصوِّران مقاصد الدولة في تحقيق الخير والنماء، أما السيف فيُعدُّ رمزًا للقوة العسكرية اللازمة لحماية الوطن، وتطبيق العدالة والحدود الشرعية.

كانت تلك إذًا وما تزال أعلى الرموز التي اختارها الملك لبلاده، وبها حدد مفهوم الدولة: توحيد الله، واتباع رسوله ﷺ، والأخذ بأسباب القوة المادية(١)، ونتيجة لإيمانه الراسخ بهذه المبادئ، نراها قد أصبحت هي العامل الروحي المساعد لثقافته الدينية، وأصبحت هي الأساس الذي قامت عليه دولته فيما بعد؛ ولعل أفضل دليل على ذلك ما قام به الملك عبدالعزيز رحمه الله من تصرف حسن؛ حينما طلبت منه الأمم المتحدة بعث الدستور الذي تسير عليه البلاد، فأرسل إليهم بنسخة من القرآن الكريم موضِّحًا لهم أن ذلك الكتاب بما فيه من مبادئ ربانية هو دستور البلاد، ومنهجها الذي تسير عليه(٢).

أما بالنسبة لخصائص منهجه في فقه الشريعة: فقد كان أبرزها أنها تقوم على اتباع الدليل، لا اتباع الرجال؛ وذلك لكون هذه الخصيصة من أهم خصائص المنهج السلفي(٣)؛ وقد أكد ذلك الملك عبدالعزيز حينما أعلن أنه

---

(١) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٧٧.

(٢) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٧٨ - ٧٩.

(٣) السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، مرجع سابق، ص: ٣٤.

لن يتقيد بمذهب دون الآخر، فمتى وجد الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة، رجع إليه، وتمسَّك به[١].

أضف إلى ذلك: أن المنهج السلفي عند الملك عبدالعزيز ليس قولًا يقال، ثم يتم إغفاله عند التطبيق، لكنه كان في المقام الأول تطبيقًا وممارسة، لقد أمر ﵀ بعد قيامه بضم الحجاز بهدم بعض المظاهر الشركية التي كانت موجودة بها سواء من قِبَاب أو غيرها؛ مما يدل دلالة واضحةً على أنه كان يعمل على تثبيت العقيدة الصحيحية فِعْليًا؛ وفي هذا يقول الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العَنْقَري، في رسالة جوابية إلى سلطان بن بِجَاد، وجميع الإخوان من أهل الغَطْغَط؛ يطمئنهم فيها إلى أن الملك عبدالعزيز قد وضع هذه الأشياء في أولويات أعماله، وأوصى بعدم مخالفته، أو الاعتراض عليه في ولايته؛ حيث يقول: أما مسألة القِبَاب، فالإمام - وفَّقه الله - قد ثبت عندنا أنه بعث لهدمها الشيخ عبدالله بن بُلَيْهِد[٢]، وهِمَّته في ذلك عُلْيَا، ولله الحمد[٣].

---

(١) القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٨٨.

(٢) عبدالله بن سليمان بن سعود بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن عثمان بن بُلَيْهِد بن عبدالله بن فَوْزان بن محمد بن عائد بن بُلَيْهِد بن عثمان؛ ولد في القَرْعَاء في القَصِيم عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وتلقى علومه على الشيخ محمد بن عبدالله بن سُلَيْم في بُرَيْدة، كما قرأ على الشيخ صالح بن قِرْنَاس، ورحل إلى الهند لطلب العلم، ثم عاد وتولى القضاء والإرشاد في عدد من بلدان القَصِيم، ثم عين قاضيًا في حائل، وبعد ضم الحجاز عينه الملك عبدالعزيز رئيسًا للقضاة ومقره مكة المكرمة، ثم عاد مرة أخرى قاضيًا في حائل عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، جمع بين العلم والشجاعة والعقل، كما كتب عددًا من المؤلفات، واستمر على مكانته الدينية والاجتماعية إلى وفاته، يرحمه الله، عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٣٨ - ١٥٠.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ٧٧ - ٧٨.
=

ومما يجدر ذكره: أنه رغم انشغال الملك بالسياسة، فقد اجتهد في تثقيف نفسه علميًّا؛ فكان ينتقي لنفسه مجموعة من الكتب للمطالعة؛ ولتقرأ عليه في مجلس معين، وهي كتب متنوعة في مواضيع مختلفة؛ ففي التفسير كان يقرأ "تفسير الطبري"، و"تفسير ابن كثير"، وفي الحديث: "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، و"رياض الصالحين"، وفي التوحيد: كتاب "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، وفي التاريخ: "سيرة ابن هشام"، و"البداية والنهاية" لابن كثير، وفي السياسة: "السياسة الشرعية" لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وفي الأدب: "روضة المحبين" لابن القيم، و"ديوان المتنبي"، وغير ذلك من الكتب النافعة؛ فأثرى بذلك ثقافته العامة والخاصة[1].

ويظهر أثر هذه الثقافة الإسلامية المرموقة للملك عبدالعزيز جليًّا في خطبه ورسائله ومحادثاته؛ إذ طالما استشهد فيها بنصوص الكتاب والسُّنَّة والتاريخ الإسلامي؛ ويؤكِّد الدكتور محمد السيد سَلِيم هذا الأمر؛ إذ قام بتحليل ٦٨ وثيقة منشورة للملك عبدالعزيز، تحوي ٢٩ خطبة، و٩ أحاديث، و٢١ رسالة، و٤ محاضر اجتماع، إضافة إلى حديث واحد مُذَاع، و٤ محادثات شخصية، وكانت نتيجة التحليل كالآتي:

- أن المصدر الرئيس للعقائد السياسية لديه هو الدين الإسلامي.

- أن الملك كان يرى أن الحياة الصحيحة هي التي تستند إلى الدين؛ لذلك فإننا نجده حينما يؤكد أن الطبيعة البشرية هي مصدر الصراع في الحياة السياسية؛ فإنه يستشهد بالقرآن الكريم، وحينما يوضح عقيدته السياسية،

= والتويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، مرجع سابق، ص: ٣٢٨ - ٣٣١.

(١) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٢٠ - ١٢١.

وتصوُّرَه عن دور القائد السياسي في التطور التاريخي؛ فإنه يستند في ذلك إلى نصوص القرآن الكريم، كما كان يستشهد بالحوادث التاريخية؛ لتأكيد صحة العقيدة السياسية التي يعبر عنها[١].

هذا هو الملك عبدالعزيز، وهذه هي القوة الإيمانية التي تعد هي المسيطر الأكبر على كل خُلُقٍ من أخلاقه، وكل رأي من آرائه؛ بل ساعدته على الرقيِّ بالمملكة في مجالات عديدة، منها: العناية بالجوانب الدينية، والإدارية، والتعليمية، والثقافية؛ إلى غير ذلك من أعمال حضارية ونهضة إصلاحية عظيمة اعتمدت في أساسها على مبدأ التعاون الجماعي بين أفراد المجتمع.



(١) سليم؛ محمد السيد، التحليل السياسي لفكر الملك عبدالعزيز، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ، المجلد الأول، ص: ٢٣٠ - ٢٣٢، ٢٣٥ - ٢٣٦.

المبحث الثاني

جهوده البارزة في نشر التعليم وتطويره

لقد اهتم الملك عبدالعزيز ﷬ مبكِّرًا بتنظيم مرافق الدولة المختلفة وتطويرها، بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد كان التعليم من أهم المرافق التي حظيت بدعمه المادي والمعنوي نظرًا لإدراكه أن أي حضارة لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا على التعليم؛ وبناء عليه جعل من التعليم المبدأ الأساسي للتطوير، ولقد مرَّ اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ من استرداد الرياض، عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، وتنتهي بضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وفي هذه المرحلة ركَّز الملك عبدالعزيز جُلَّ اهتمامه على تعليم البادية أمور دِينهم ودُنياهم، وكان يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أبعد إلى الأمام، لكن انشغاله في تلك المدة بأمور كثيرة؛ منها: سعيه المستمر لتوحيد البلاد، واهتمامه بنشر الأمن والاستقرار في جميع المناطق الخاضعة لحكمه؛ كل ذلك كان شاغلًا له عن تحقيق ما يرجوه لهذه الدولة الفَتِيَّة[1].

وليس معنى ذلك أنه لم يُولِ هذا الجانب ما يستحقه من عناية، بل إنه كان يسير فيه بخطوات ثابتة، لكنها مُتأنِّية نوعًا ما؛ والدليل على ذلك

(١) ابن دهيش؛ عبداللطيف بن عبدالله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، نشأته وتطوره، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ، المجلد الثالث، ص: ٧٢٠ - ٧٢١.

اتصالاته المبكرة بالسيد محمد رَشِيد رضا[١]، المتعلقة بطبع كتب التراث في مطبعة المَنَار، فقد سبقت هذه الاتصالات دخول الملك عبدالعزيز الحِجَاز، بل إنه باشر فعلًا طَبْعَ بعض الكتب قبل دخوله الحجاز، ثم توسع في مهمته بعد ذلك[٢].

المرحلة الثانية: تبدأ من عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م؛ حيث تحقق له ما أراد من توحيد بلاده؛ فشرع في توجيه طاقاته إلى الإصلاح الداخلي، وكان للتعليم النصيبُ الأوفر من هذا الإصلاح؛ فأنشأ لذلك إدارة خاصة هي مديرية المعارف العامة[٣]، وبقيام هذه الإدارة دخل التعليم مرحلة جديدة؛ فأخذ يسير بطريقة منظَّمة، كما أنه شمل مناطق الدولة كافة، واستمرت هذه الإدارة تؤدي واجبها العلمي حتى عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م؛ حيث تحولت إلى وزارة المعارف؛ وكان الهدف من ذلك هو الارتقاء بالتعليم، وتنظيمه وفتح المدارس والمعاهد بحسب الحاجة، وقد عَيَّنَ لهذا الجهاز نخبة من رجال العلم والفكر؛ للسير به نحو التطور والتقدم على أسس

---

(١) محمد رَشِيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن مُلَّا علي خليفة القَلَمُوني (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥م)، بغدادي الأصل، حسيني النسب، صاحب مَجَلَّة المَنَار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في القلمون، من أعمال طَرَابُلُس الشام، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، وتلمَذَ على يد الشيخ محمد عبده، ثم أصدر مجلة المَنَار لبثِّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، ثم زار سورية، وانتخب رئيسًا للمؤتمر السوري، ثم عاد إلى مصر، واستقر بها إلى أن توفي في سيارته، وهو عائد من السويس إلى القاهرة.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ١٢٦.

(٢) الرفاعي؛ عبدالعزيز بن أحمد، عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص: ١٢.

(٣) ابن دهيش؛ عبداللطيف بن عبدالله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص: ٧٦١.

إسلامية سليمة.

لقد كان للملك عبدالعزيز فلسفة خاصة تجاه نشر التعليم في بلاده، تلخصت في نظام الدولة الأساسي لعام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، في المادة الثالثة والعشرين بما يأتي:

"أمور المعارف العمومية هي عبارة عن نشر العلوم والمعارف والصنائع، وافتتاح المكاتب والمدارس وحماية المعاهد العلمية، مع فرط الدقة والاعتناء بأصول الدين الحنيف في كافة أنحاء المملكة".

من أجل هذا؛ يمكن القول بأن الملك عبدالعزيز قد سعى إلى تطبيق ما نادى به من جعل التعليم الديني في المقام الأول، وأن يكون ذلك في مُقدَّم اهتمامات واضعي خطط الدراسة؛ حيث كانت العلوم الدينية تحتل ٤٠٪ من خطط الدراسة، تليها علوم اللغة العربية، ثم باقي المواد بعد ذلك[1].

ظل الملك عبدالعزيز طوال حياته يشجِّع على طلب العلم، ويحث عليه، ويدعم كلَّ مسار يتجه إلى ذلك، وتمدنا المصادر التاريخية بالعديد من الأمثلة الدالة على ذلك، ومنها:

- قيامه بإنشاء مدرسة الأمراء في مكة المكرمة، ثم في الرياض منذ عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وتوجيه أبنائه للالتحاق بها، وكان لا يتساهل مع من يتخلف منهم عن الدراسة، بل كان يشجعهم هم وأبناء شعبه على طلب العلم دائمًا، ومن مظاهر ذلك حرصه الدائم على استقبال أولى دفعات الخريجين من هذه المدارس أو غيرها، ففي صفر عام ١٣٥٠هـ/ يونيو ١٩٣١م، استقبل

---

(١) عطار؛ مصطفى عبدالغفور، الملك عبدالعزيز والتعليم، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص: ٧٨٩.

أول دفعة تخرجت من المعهد العلمي السعودي بمكة[1]، وألقى فيهم كلمة توجيهية، حثهم فيها على مواصلة طلبهم للعلم، وقال:

"أيها الأبناء إنكم أول ثمرةِ غَرْسِنا الذي غرسناه في المعهد؛ فاعرفوا قَدْر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر"[2].

ونظرًا لتمام وعيه الثقافي فقد أرشدهم إلى ضرورة البحث عن المعلومة

(١) أُنشيء هذا المعهد في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م؛ لتفادي أولى العقبات التي واجهت مديرية المعارف العامة في بدء تكوينها في الحجاز، حيث خلت المدارس الابتدائية الأولية كلها أو معظمها من المتعلمين؛ ومن ثم كان إنشاء هذا المعهد، وأطلق عليه اسم "المعهد الإسلامي"، ثم عرف بـ"المعهد العلمي السعودي" بعد ذلك، وكانت مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات تسبقها سنة إعدادية، ثم صارت مدة الدراسة خمس سنوات بعد ذلك ابتداء من عام ١٣٦٦هـ، وكان الهدف من هذا المعهد هو إعداد المدرسين للمرحلة الابتدائية في عدد من المدن، وكذلك تزويد الدوائر الحكومية بالموظفين المؤهلين علميًّا، ويعد هذا المعهد أول مدرسة ثانوية تنشأ في المملكة رسميًّا، وقد كان له أثر كبير في تطوير التعليم في المملكة، ونظرًا لعدم إقبال الطلاب على هذا المعهد في أول الأمر بسبب انشغالهم بأمور معاشهم، أمر الملك عبدالعزيز عن طريق مديرية المعارف بصرف مكافأة يومية للطلاب، حددت بثلاثة قروش لكل طالب، وخمسة قروش لرئيس الصف، ثم رفعت المكافأة إلى جنيهين ذهبًا تدفع نهاية كل شهر؛ فكان ذلك من أسباب إقبال الطلاب على المعهد بعد ذلك، إضافة إلى التعديلات التي ألحقت بخطة الدراسة، وكان المعهد يقبل خريجي المدارس الابتدائية بالإضافة إلى طلاب حلقات المساجد والمدارس الأهلية، وذلك بعد اجتياز القبول، ثم اقتصر على الطلاب الحاصلين على الشهادة الابتدائية بعد أن زاد الإقبال عليه وزاد عدد المتخرجين منه.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٦٣٦.
والسلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٢٥١- ٢٥٤.

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٥٩. والقابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف، مرجع سابق، ص: ٧١.

المفيدة التي لا تتعارض مع ديننا الإسلامي، ولا مانع من أن نأخذ من غيرنا - أي: من غير المسلمين - ما يفيدنا؛ حيث إن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنَّى وَجَدَها[١]، وليس أدل على مبلغ وعيه الثقافي من حديثه الآتي عندما توجه بالنصح لطلبة العلم، قائلًا:

"إن من كان منكم من بيت رفيع؛ فليحرص على ألا يكون سببًا في خفضه، ومن كان من بيت آخر؛ فَلْيَبْنِ لنفسه مجدًا"[٢].

ومما يؤكد أيضًا اهتمامه بالعلم والحث على طلبه: ما فعله في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، عندما كتب بعض مشايخ وعلماء نَجْد نصيحة في الحث على طلب العلم، والآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتأدب بها، ورُفعت إليه، فصدَّق في أسفلها بأن ما كتبه المشايخ هو الحق، وألزم كل من كان أهلًا لطلب العلم أن يطلبه، ومن تخلف عن ذلك فإنه يجبره عليه؛ فإذا خالف أبعده عن محله إلى محلٍّ لا يرضاه، خصوصًا وأنه كان يعمل دائمًا على توفير جميع ما تحتاج إليه العملية التعليمية لتسير في مسارها الصحيح؛ ففي عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، وعندما كَثُرَ طلاب حلقات الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ﷺ، وكان قاضيًا للخَرْج حينذاك، ووفد إليه طلاب من الأقطار المجاورة من العراق والشام واليمن، أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء مبنى مخصَّص لدراستهم، كما قام ﷺ بدعم جهود الشيخ عبدالله القَرْعاوي[٣] الدينية والعلمية في جنوب

---

(١) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ٦١.

(٣) عبدالله بن محمد بن حَمَد بن عثمان بن علي بن محمد بن نُجَيْد القَرْعاوي، ولد في عُنَيْزة عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، وصار يعمل بالتجارة، ثم شرع في طلب العلم، فتنقل في مناطق كثيرة في المملكة، ثم سافر إلى الهند، والتحق بالمدرسة الرَّحْمانية، تلقى =

المملكة؛ حيث أمر بفتح العديد من المدارس هناك، وأنفق عليها بسخاء، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنه في عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م عندما أنشئت مدرسة دار التوحيد الثانوية في الطائف، كلَّف الملك عبدالعزيز أمراء المناطق في نَجْد أن يجمعوا الشباب في سن التعليم، وينقلوهم إلى الطائف؛ للدراسة في هذه المدرسة بعدما وفَّر لهم السكن والرعاية[١]، ولم يكتف ﷺ بجعلِ التعليم بالمَجَّان، بل أمر بأن تقدَّم الكتب والأدوات الكتابية والقرطاسية لجميع الطلاب في المملكة دون مقابل، كما أمر بتخصيص مكافآت شهرية للطلاب في المرحلتين الثانوية والعالية؛ من أجل تشجيعهم على مواصلة الدراسة[٢]، كما أنه كان يتبرع بالمال والغذاء للطلاب عند زيارته لمدارسهم، ففي أثناء زيارته مدرسة الفَلَاح بجُدّة، والمدرسة الفَخْرية بمكَّة، تبرَّع للأولى بمبلغ مئة جنيه وعشر ذبائح وستة أكياس من الأرز، وللثانية بمبلغ خمسين جنيهًا وست ذبائح وأربعة أكياس من الأرز، وفي العام نفسه أرسل الملك عبدالعزيز كُلًّا من

= علوم الحديث بها، وعاد إلى بلاده، وسمع عن حالة الجهل في جنوب المملكة، فسافر إليها تحت رعاية الملك عبدالعزيز، وأنشأ المدارس هناك، بداية من عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، ويقال: إن عدد هذه المدارس قد بلغ - في نهاية حياته - ما يقرب من ألفين ومئتي مدرسة، وكان الملك عبدالعزيز قد رصد ميزانية لهذه المدارس، ثم ضُمَّتْ فيما بعد إلى وزارة المعارف، وتوفي الشيخ عبدالله، ﷺ، في عام ١٣ٸ٩هـ/ ١٩٦٩م في الرياض.
البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٣٩٨ - ٤٠٩.

(١) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) ابن دهيش؛ عبداللطيف بن عبدالله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، بحوث المؤتمر العالمي، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص: ٧٦٢.

حافظ وَهْبة[١]، ويوسف ياسين[٢]؛ للتفتيش على ثمانية كتاتيب في مكة المكرمة، وقرر تقديم منحة تشجيع لسبعة منها، بواقع جنيهين من الذهب لكل كُتَّاب[٣].

- أما عن التعليم الجامعي: فإن المملكة العربية السعودية قد وصلت

---

(١) حافظ وَهْبة (١٣٠٧ - ١٣٨٧هـ = ١٨٨٩ - ١٩٦٧م)، مصري الأصل والمولد والمنشأ، تعلم بالأزهر الشريف، وبمدرسة القضاء الشرعي، وعمل في صحافة الحزب الوطني بالقاهرة، والآستانة، ورحل إلى الهند، ومنها إلى الكويت مدرسًا، وقدم إلى الرياض، وتقدم عند الملك عبدالعزيز، فعينه وزيرًا مفوضًا بلندن ثم سفيرًا، وأحيل إلى المعاش، وتوفي في روما.
له بعض المؤلفات في التاريخ منها: خمسون عامًا في جزيرة العرب، وجزيرة العرب في القرن العشرين.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٦٠.

(٢) يوسف بن محمد ياسين (١٣٠٩ - ١٣٨١هـ = ١٨٩٢ - ١٩٦٢م)، من كبار العاملين في خدمة الملك عبدالعزيز أيام نشوء المملكة العربية السعودية، ولد ونشأ في اللاذقية بسورية، حفظ القرآن الكريم، ومكث عامين في مدرسة محمد رَشِيد رضا "الدعوة والإرشاد" في القاهرة، ثم التحق بالمدرسة الصلاحية في القُدْس، وبعد احتلال الفرنسيين سورية، قصد مكة لاجئًا، ثم نزل عَمَّان بالأُرْدُنّ، قبل حضور الشريف عبدالله بن الحُسَيْن إليها، وبعد حضوره كتب يوسف ياسين إلى الشريف حسين يشكو إليه سوء سيرة ابنه عبدالله في الأُرْدُنّ، وخاف نقمة الشريف عبدالله، فذهب إلى القدس يكتب في بعض الصحف، وتسلَّم تحرير جريدة الصَّبَاح، ثم عاد إلى دمشق فدخل كلية الحقوق، ثم سافر إلى الرياض، وفاز بثقة الملك عبدالعزيز، وشهد معه معركة السَّبَلة، ورحل معه رحلته الأولى على الإبل إلى مكة، وترأس تحرير جريدة أُمّ القُرَى، ثم عينه الملك رئيسًا للشعبة السياسية في الديوان الملكي، وأضيف إليه منصب وزير دولة، فتولى إدارة وزارة الخارجية بالنيابة، واستمر إلى أن توفي بمدينة الدمام، ودفن بالرياض.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص: ٢٥٣.

(٣) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٢٥.

بطلابها إلى المرحلة الجامعية في عهد الملك عبدالعزيز بطريقين:

الأول: الابتعاث إلى الخارج.

الثاني: إنشاء الكليات الجامعية.

- **أما الابتعاث إلى الخارج:** فقد أرسلت أوَّل بعثة تعليمية في عهد الملك عبدالعزيز إلى مصر في عام ١٣٤٦هـ، وكانت تضم أربعة عشر طالبًا، وُزِّعوا للدراسة في عدة تخصصات، وتكفلت الدولة بكل ما يلزمهم من مصاريف سفرٍ ورسوم إدارية، حتى مأكلهم ومشربهم، وقد عادت هذه البعثة بين عامي ١٣٥٤هـ - ١٣٥٨هـ وهم يحملون شهادات من المعاهد والكليات التي التحقوا بها[١].

ومما يجدر ذكره: أن هؤلاء الطلاب قد لَاقَوْا صعوباتٍ في قبولهم بالمعاهد والكليات في مصر؛ وذلك بسبب عدم توافق دراستهم الثانوية مع مناهج الثانوية المصرية؛ وهو الذي أدى إلى إنشاء مدرسة تحضير البعثات، وذلك في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ووُضع منهج خاص لها استمد من منهج الدراسة المصرية، وأصبحت شهادتها تكفي لدخول حامليها في المعاهد والكليات هناك[٢]، وبعد أن زاد دخل البلاد من عائدات النفط لم يقتصر أمر إرسال البعثات على مصر فقط، بل شملت بلدانًا أخرى، وبعد أن أُنشئت كلية الشريعة بمكة المكرمة في عام ١٣٦٩هـ، اقتصر أمر إرسال البعثات على التخصصات غير المتوافرة في البلاد.

وقد آتت حركة الابتعاث في عهد الملك عبدالعزيز ثمارها في وقت

---

(١) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٢٩٤- ٢٩٥.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٦٣٨.

مبكر، خصوصًا وأن الحاجة إلى هؤلاء المبتعثين كانت ماسَّة وضرورية، وقد بلغ عدد الطلاب المبتعثين في عهده ﷺ ألفًا وعشرة طلاب، منهم ٧٠٥ طلاب ابتعثوا إلى مصر، و٢٥٩ طالبًا ابتعثوا إلى سورية، و٤٦ طالبًا ابتعثوا إلى أوروبا وأمريكا، وقد تكفَّلت الدولة بكل ما يلزمهم؛ وهو ما يدل دلالة واضحة على شدة اهتمام الملك عبدالعزيز بنشر العلم بين أبناء شعبه(١).

أما عن الكليات الجامعية في المملكة: فبعد تزايد عدد خريجي المرحلة الثانوية، أصبحت الحاجة ملحَّة إلى إنتقال البلاد نحو افتتاح المرحلة الجامعية، خاصة وأن نظام البعثات لا يصلح أن يكون نظامًا عامًّا؛ من هنا بَدَأَ التفكير الجاد في إنشاء كليات جامعية، ورُفع اقتراح من مديرية المعارف إلى الملك عبدالعزيز الذي وافق على الفور بإنشاء كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ، وفُتح باب القبول بها في العام نفسه، واشتُرِطَ لقبول الطالب حصولُهُ على شهادة المرحلة الثانوية من المعهد العلمي السعودي، أو مدرسة التوحيد، أو ما يعادلها من خريجي المدارس الأهلية، وتعد كلية الشريعة أول تجربة رائدة للتعليم العالي الحديث في المملكة العربية السعودية، وتوالت بعد ذلك إنشاء الكليات الأخرى مثل كلية المعلِّمين بمكة المكرمة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، وكلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وغيرها من الكليات التي أنشئت لخدمة العملية التعليمية، ويكفي أن نذكر أن ميزانية مديرية المعارف قد قفزت من (٦٦٦٥٠) ريالًا سعوديًّا عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م إلى عشرين مليون ريال عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وأن المدارس الابتدائية في المملكة بدأت مع مديرية المعارف بأربع مدارس عام ١٣٤٤هـ،

---

(١) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٢٩٥- ٢٩٨.

وانتهت عام ١٣٧٣هـ إلى ٣٢٦ مدرسة، كما بدأت بمدرسة ثانوية واحدة هي المعهد العلمي السعودي عام ١٣٤٥هـ، وانتهت بـ ١٢ مدرسة ثانوية؛ كل ذلك دليل واضح على اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم، ورغبته في نشره بين أبناء شعبه، ويُعَدُّ وصول المملكة في عهد الملك عبدالعزيز إلى مرحلة التعليم الجامعي مفخرة من مفاخر ذلك العهد، الذي بدأ بتعليم تقليدي لم يتعد الكتاتيب في كثير من مدنه، وانتهى بوجود كليات جامعية في كلٍّ من الحجاز ونَجْد.

ومهما يكن من أمر فإن التعليم في عهد الملك عبدالعزيز قد أدى دوره المنوط به والمؤمَّل فيه حسب الإمكانات المتاحة، وأنه قد وضع البذور الأولى، وأرسى الدعائم لنهضة تعليمية فريدة[1].

★ قيامه بطباعة الكتب وتوزيعها:

لم يكتف الملك عبدالعزيز بِحَثِّ الطلاب على طلب العلم، وتشجيعهم عليه؛ بفتح المدارس، وإنشاء الكلِّيَّات الجامعيَّة، وتوفيرِ المستلزمات، وصرفِ المكافآت، وإرسال البِعْثات؛ بل حرص أيضًا على نشر العلم والمعرفة داخل بلاده وخارجها؛ ولذلك فقد استشار العلماء في خير الكتب التي ينبغي نشرها بين الناس؛ ليعمل جهده لتوفيرها، فذكرت له الكتب التي تبين حقيقة التوحيد؛ منها ما هو مطبوع، ومنها ما لم يطبع، فاشترى من المطبوع مئات الكتب بل الألوف، وما لم يطبع أَمَرَ بطبعه على نفقته[2]، وكان سخيًّا في هذا الجانب، حتى في وقت ضِيق ذات اليد؛ ويشهد على

(١) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٣٠٠- ٣١٦.

(٢) الخطيب؛ عبدالحميد؛ الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٢٤.

ذلك الاتصالات المبكرة بينه وبين السيد محمد رَشِيد رضا، وكانت خاصة بأمر طباعة كتب التراث في مطبعة المَنَار، وامتدَّت محاولاته في هذا المجال إلى أبعد من ذلك؛ حيث كانت له اتصالات أخرى في الهِنْد، وفي بُومْبَاي على وجه التحديد[(١)]؛ لذا فقد ارتبطت حركة إحياء التراث في الجزيرة العربية في العصر الحديث باسم الملك عبدالعزيز[(٢)].

ولقد جاء اهتمام الملك عبدالعزيز وعنايته البالغة بطبع الكتب ونشرها وتوزيعها؛ ليتكامل مع اهتمامه الشديد بالعلم ونشره والحث على طلبه، وباهتمامه بالعلماء وتطوير التعليم، وليضع لَبِنَةً مهمَّة من لبنات البناء الحضاري الذي كان ﷺ يسعى لإنجازه على أفضل وجه يستطيع القيام به[(٣)]، ويقال: إن هذه المطبوعات التي أعاد طبعها أو أمر بشرائها وتوزيعها، قد بلغت ما يقارب مئة ألف كتاب[(٤)]، ولضخامة هذا الرقم فقد كان لابد من إفراد دراسات مستقلة عن هذا الجانب، لعل أبرزها دراسة الأستاذ عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي في كتابه "عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب"، والدكتور فهد بن عبدالله السماري في كتابه "مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة"، إضافة إلى دراسة عبدالرحمن بن عبدالله الشُّقَيْر، ورغم ذلك فإن هذه الدراسات لم تكشف في طياتها عن جميع

---

(١) الرفاعي؛ عبدالعزيز بن أحمد، عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، مرجع سابق، ص: ١٢.

(٢) السماري؛ فهد بن عبدالله، مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، مرجع سابق، ص: ١٠.

(٣) العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، مرجع سابق، ص: ١٩٩.

(٤) عطار؛ مصطفى عبدالغفور؛ الملك عبدالعزيز والتعليم، بحوث المؤتمر العالمي، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص: ٧٩٤.

ما طُبع في عهد الملك عبدالعزيز، ولكنها توصلت في مجملها إلى النتائج الآتية:

١- أن أغلب الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز كانت من مصنَّفات أعلام السلف؛ مثل الإمام أحمد بن حَنْبَل، والعَلَّامة ابن قُدَامَة المَقْدِسِيّ، وشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم.

٢- تنوع الموضوعات في الكتب المطبوعة؛ حيث شملت مصنفات في العقيدة، والتفسير، والفقه، واللغة العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي، والجغرافية، وكتب الأنساب، وغير ذلك من المؤلفات.

٣- علاوة على الاهتمام بكتب الأعلام من السلف، نشر الملك عبدالعزيز العديد من مؤلفات شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته؛ بهدف التعريف بحقيقة دعوة الشيخ، والعمل على نشرها، والرد على أصحاب الأقاويل المعادية لها.

٤- تعدد المطابع التي طبعت فيها تلك المؤلفات وتنوعها من حيث المكان؛ وكان السبب في ذلك فيما يبدو: تنوع الظروف في البلدان التي يُطبع فيها من ناحية، وظروف توافر الرجال الذين كان الملك عبدالعزيز يعتمد عليهم في تنفيذ الطباعة ومتابعة أعمالها من ناحية أخرى[١].

كذلك، فإن ثَمَّةَ كتبًا أمر جلالته بطبعها باللغتين: الجَاوِيَّة والهِنْدِيَّة؛ لتعميم نشر الدعوة في الأقطار الإسلامية؛ كما أمر أيضًا بطباعة تفسير القرآن باللغة الإنجليزية؛ ووُزِّع مجانًا في البلاد الأوروبية[٢].

---

(١) السماري؛ فهد بن عبدالله، مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، مرجع سابق، ص: ١٣ - ١٤.

(٢) الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٢٨.

وإذا ما حاولنا ربط هذا الجانب بأخلاق الملك عبدالعزيز الخاصة وبالأخلاق الإسلامية عامة، وجدنا أنه يندرج تحت خُلُق حُبِّ العطاء الذي يندرج تحته عدة مفاهيم، منها: عطاء المال، وعطاء العلم والمعرفة، وعطاء النصيحة، إلى غير ذلك من أوجه العطاء، وفي هذا المجال نجد الملك عبدالعزيز لم يبخل على شعبه بالعطاء المباشر؛ حيث خطبه وكلماته التي ظل يرددها ويحثُّ فيها على ضرورة تحصيل العلم، أو العطاء غير المباشر المتمثل في قيامه بطباعة الكتب وإحياء التراث حتى تعم الإفادة على الجميع، سواء من أهل المملكة العربية السعودية أو غيرها في العالم الإسلامي.



المبحث الثالث

حرصه على مشاورة العلماء وذوي الخبرة

لا شك أن لمبدأ الشورى مكانةً عظمى في الإسلام؛ حيث إن الله تعالى قد أمر نبيَّه ﷺ بأن يستشير ذوي الرأي من المسلمين؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١].

ولقد اعْترى الجزيرة العربية - كغيرها من البلاد - حال من الضعف والتفكك؛ وظهرت فيها الفتن المذهبية، والجدل في أصول الدين وفروعه، وعمَّ هذا الداء بلاد المسلمين كافة؛ ومن ثَمَّ فقد تَرَدَّتِ الجزيرة في هُوَّة التخلف[٢]، وقد عبَّر الملك عبدالعزيز عن هذا أصدق تعبير بقوله:

"لقد تفشَّى الجهل وساء التخاذل بين المسلمين، فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها، ولم يبق من الدين إلا اسمه، وتَفَرَّقْنَا أَيْدِيْ سَبَا[٣]،

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٥٩.

(٢) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٦٥.

(٣) هذا مثل عربي، ولفظه: "تفرقوا أيدي سبا"، أو "ذهبوا أيدي سبا"، أي: تفرقوا تفرقًا شديدًا لا اجتماع معه. وأصله: أن قوم سبأ لمّا دُهموا بسيل العَرِم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، فقيل بعد ذلك لكل جماعة تفرقت: ذهبوا أيدي سبا، والمراد بالأيدي: الأنفس.

الميداني؛ أحمد بن محمد بن أحمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م، الجزء الأول، ص: ٢٧٥ - ٢٧٧.

وأصبح المسلمون فِرَقًا وشِيَعًا"[١].

كان الملك عبدالعزيز على دراية تامة بهذه الحال، وهو يدرك مدى خطورة ذلك على الأمة؛ فصوَّر ذلك في كلماته السابقة أبلغ تصوير، وعلم جيدًا بأن سكوت العلماء عن النطق بالحق فيه فساد لأمر الدين والدنيا، وأوضح أن من أسباب التخلف في الجزيرة العربية: ادعاءَ البعض العلمَ بالدين؛ وهم ليسوا كذلك، من أجل هذا فقد أوصى بضرورة التلاقي بين مَنْ يدَّعي ذلك، وبين العلماء المعروفين الذين لهم دراية ومعرفة تامة بأمور الدين؛ وفي ذلك يقول:

"من يرى في نفسه لياقة إلى الدعوة إلى الله، فليعرض نفسه وما عنده على المشايخ المذكورين: إن كان في العارض، فعلى شيخنا وإمامنا أيده الله وأبقاه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وإن كان في الوَشْم، فعلى أخيه الشيخ محمد بن عبداللطيف[٢]، وإن كان في سُدَيْر، فعلى الشيخ عبدالله العَنْقَري، وإن كان في القَصِيم، فعلى الشيخ عبدالله بن محمد آل سُلَيْم، ومن تجاوز بشيء غير ما ذكرنا، وعلى غير أمر المشايخ المذكورين،

---

(١) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٧٦.

(٢) محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ (١٢٧٣هـ-١٣٦٧هـ = ١٨٥٧-١٩٤٨م)، ولد ونشأ في مدينة الرياض، وقرأ القرآن في حياة والده الشيخ عبداللطيف، ثم شرع في طلب العلم، فأخذ يقرأ على أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وغيره من علماء عصره، وصارت له يد طولى في التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، وعلوم العربية، حتى عُدَّ من كبار علماء وقته، عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا في القُوَيْعِيَّة، ثم في الوَشْم، ومقر عمله في شَقْراء، كما بعثه إلى عَسِير وبلاد الحجاز مرشدًا وداعيًا إلى الله تعالى، توفي في ٢ جمادى الثانية عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، الجزء السادس، ص: ١٣٤ - ١٣٩.

فلا يأمن العُتْبَى، إلا النواب المرتَّبين في البلاد الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهم على سنعهم[(١)]، ونحن والأمراء أعوان لهم على ذلك إن شاء الله تعالى»[(٢)].

هذه الكلمات الدالة على حصافة الملك رحمه الله تنبئ عما استقر في ضميره وفؤاده من ضرورة تقدير العلماء، واستعادة مكانتهم وهيبتهم في نفوس الناس، وكان سبيله إلى ذلك حَثَّ العلماء على محاربة البدع والضلالات التي تسرَّبت إلى الإسلام، وأفسدت عقائده وآدابه، ولبَّست على المسلمين أمر دينهم، فأصبحت حقائقه في وادٍ وعقولهم في آخر، ورأى أنه لابد للعلماء من أن تتضافر جهودهم في تبيين تعاليم الإسلام للناس كما جاءت في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ[(٣)].

وبما أن المملكة العربية السعودية قد قامت منذ تأسيسها على أساس تحكيم شرع الله، فلا عجب إذا حظي العلماء فيها بمنزلة عالية عند الملك عبدالعزيز؛ حيث كان يضعهم في مكان الصدارة في مجلسه، كما كان يقدمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه، ويصغي إلى آرائهم، ويبالغ في إكرامهم[(٤)]، وكان يشاورهم في بعض القضايا الشرعية ويناقشهم ويجادلهم، وكانت له جلسة علمية مع بعضهم من بعد صلاة العشاء في القرآن وتفسيره وفي التاريخ، كما كان له معهم جلسة كل يوم خميس من كل أسبوع[(٥)]،

---

(١) سنعهم، أي: عادتهم، وهي لهجة عامية.
(٢) مختارات من الخطب الملكية؛ مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٢٣.
(٣) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ٦٧.
(٤) المرجع السابق، ص: ٦٨.
(٥) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٢٦ - ١٢٧.

ولقد عوَّدهم إذا بدا لهم أمر، ورأوا فيه النصيحة له أن يجتمعوا فيما بينهم ويكتبوا خطًّا (كتابًا) يذيِّلونه بتوقيعاتهم، ثم يحضرون لمقابلته، أو يكلِّفون فيما بينهم واحدًا منهم لعرض ذلك عليه بالنيابة عنهم، وكان لكبارهم هيبة في نفسه لا يصطنعها ولا يتكلفها، لا سيما آل الشيخ حَفَدة من قامت على دعوته دعائم المملكة في سابق عهدها، وأبرز دليل على ذلك قوله: ما لقيت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف إلا تصبَّب العرق من إبطي[1].

لم يكن هذا فحسب، بل إن المواقف التالية تبين لنا بوضوح مدى اهتمام الملك عبدالعزيز وتقديره للعلماء:

لقد وفد على المملكة يومًا أحد الساسة الأجانب للتشاور مع الملك في بعض الأمور، وقابله الملك بحفاوة وأدخله القصر، فغضب الشيخ سعد بن عَتِيق، وجَعَل يتحدث في السوق ويقول: أعوذ بالله! أعداء الله يُكْرَمون هذا الإكرام، وكان من رأيه أن يكون التباحث في مخيم خارجي وليس في القصر، وعلم الملك بغضب الشيخ سعد، فأرسل إليه أحد الشيوخ ليحضر مجلس الملك، وعندما أتى، قال له أحد الشيوخ: حب رأس الإمام - أي: قُمْ وقبِّل رأسه - فرفض الشيخ سعد بن عَتِيق، ومِنْ ثَمَّ قام الملك عبدالعزيز من مجلسه وقال: لا! أنا الذي أحبُّ رأس الشيخ، ونفَّذ ذلك فعلًا[2].

- موقف آخر: دخل ذات مرة أحد العلماء على الملك عبدالعزيز، وهو يتمشى في قصره في الرياض، وعليه ثوب طويل يمس الأرض، فقال له:

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٤١.

(٢) السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، مرجع سابق، المجلد الأول، ص: ٣٥٠ - ٣٥١.

الله ! الله ! يا عبدالعزيز ! لقد دخلك الكِبْر، وصرت تَجُرّ ذيلك وراءك! والتفت الملك إلى الخدم في الحال قائلًا: هاتوا المقص، فلما جاؤوا به أعطاه إلى الشيخ، وقال له: قص ما تراه مخالفًا للدين(١).

ما سبق يعد دليلًا واضحًا على اهتمامه بالعلماء، وأنه ظل دائمًا يوقّرهم ويقدّرهم، حتى قبل وفاته؛ والشاهد على ذلك: ما أوصى به من يلي المُلْك من بعده حيث قال:

"أوصيك بعلماء المسلمين خيرًا، احرص على توقيرهم، ومجالستهم، وأَخْذ نصائحهم، واحرص على تعلُّم العلم؛ لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله، ثم بالعلم، ومعرفة هذه العقيدة"(٢).

وثَمَّةَ من يقول: إن هذا الاهتمام وهذا التقدير ما هو إلا نتيجة للحس السياسي عند الملك عبدالعزيز الذي يشير عليه دائمًا بأن الاختلاف مع العلماء سوف يثير المشكلات الداخلية لديه في وقت هو في أشد الحاجة فيه إلى الاستقرار؛ خاصة وأنه كان يسعى إلى تأسيس دعائم المملكة، أضف إلى ذلك العلاقات الدولية، والأخطار التي تحيط ببلاده من الخارج.

ولو كان هذا القول صحيحًا، فما الذي يفسر لنا بقاء الملك عبدالعزيز على هذا النمط من التعامل معهم بعد تأسيس دعائم الحكم في مملكته، واستتباب الأمور له؟! لقد ظل يتعامل معهم ومع غيرهم من علماء المسلمين من منطلق مبدأ الشورى، والشاهد على ذلك ما كان يفعله في موسم الحج؛ إذ كان يجعل منه مؤتمرًا يلتقي فيه بكبار علماء المسلمين من مختلف

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٤٤.

(٢) الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص:٢٧٩.

الأقطار، ويناقش معهم بعض القضايا الإسلامية؛ أمثال الشيخ عبدالمجيد سَلِيم[١] شيخ الأزهر، والشيخ محمد رَشِيد رضا، والشيخ محمد حامد الفِقِي[٢] من مصر، والشيخ محمود شكري الآلوسي[٣] من العراق، والشيخ بَهْجَت البَيْطَار[٤] من الشام، وغيرهم[٥].

(١) عبدالمجيد سليم الحنفي المصري (١٢٩٩ - ١٣٧٤هـ = ١٨٨٢ - ١٩٥٤م)، مفتي الديار المصرية، تخرج بالأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد عبده، وتقلب في مناصب التدريس والقضاء والإفتاء، وولي مشيخة الأزهر مرتين، والإفتاء نحو ٢٠ عامًا، توفي بالقاهرة.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٤٩.

(٢) محمد حامد الفِقِي (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م)، من كبار علماء مصر، مؤسس ورئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، قدم للمكتبة الإسلامية عددًا كبيرًا من المؤلفات والتحقيقات النافعة.

(٣) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الآلوسي، الحسيني، أبو المعالي (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٤م)، مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، ولد في رصافة بغداد، أخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. ولي عضوية مجلس المعارف في بدء تأليف الحكومة العربية في بغداد. له ٥٢ مصنفًا. توفي في بغداد.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء السابع، ص: ١٧٢ - ١٧٣.

(٤) محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البَيْطَار (١٣١١ - ١٣٩٦هـ = ١٨٩٤ - ١٩٧٦م)، العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، تنقل في وظائف التدريس في سوريا والحجاز ولبنان، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي، ترك عددا من المؤلفات القيمة والتحقيقات المفيدة.
يوسف؛ محمد خير رمضان، المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي (الأول والثاني)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص٨٤ - ٨٥.

(٥) السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

ولم يكن الأمر متوقفًا على موسم الحج فقط من كل عام؛ بل كان الملك أحيانًا يوجِّه الدعوات إلى علماء العالم الإسلامي من مختلف الدول الإسلامية؛ ليشاورهم فيما يجب عمله، ونظرًا لذلك الحس الديني المتميز لديه، فإنه لم يشأ أن يستأثر بقراراته الدينية فيجعلها حِكْرًا على نفسه وعلى علماء بلده، بل كانت لديه قناعة تامة بضرورة مشاركة علماء العالم الإسلامي في ذلك؛ لكون بلاده تضم الأماكن المقدسة التي يقصدها كل مسلم؛ ومن ثَمَّ فإننا نراه قد وجه الدعوات إلى الزعماء والعلماء في العالم الإسلامي لحضور مؤتمر مكة المكرمة الإسلامي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م(١)، وتلا الشيخ حافظ وَهْبة خطابًا في المؤتمر نيابة عن الملك عبدالعزيز تضمَّن الغرض من الدعوة إلى هذا المؤتمر وأنه يهدف إلى إسعاد هذه البلاد، وجعلها في المستوى اللائق بكرامة المسلمين دينيًّا وعلميًّا واقتصاديًّا، واقترح

(١) في هذا العام وجَّه الملك عبدالعزيز دعوة إلى شعوب وحكومات الدول الإسلامية للاشتراك في مؤتمر مكة الإسلامي، وقد دُعِيَ لحضور هذا المؤتمر ملك مصر الذي أرسل وفدًا ينوب عنه برئاسة الشيخ محمد الظواهري شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت، وحذت تركيا حذو مصر فأرسلت وفدًا نيابة عنها، كما وُجِّهت الدعوة إلى ملك الأفغان، وشاه إيران، وملك العراق، والأمير عبدالكريم الخَطَّابي، والإمام يحيى حَمِيد الدين، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس، ورئيس حكومة طرابلس الغرب، والشيخ بَدْر الدين الحَسَني، والشيخ بَهْجَت البَيْطَار من دمشق، والنِّظَارة الدينية المركزية في بلدة أُدِرْنَا بروسيا، والقاضي مصطفى شِرِشْلِي في الجزائر، ورئيس الجمعية الإسلامية في جَاكَرْتَا من جَاوَة، والجمعية المحمَّدية في جاوة، وهؤلاء يمثلون ١٨ مقاطعة إسلامية فقط، ونظرًا لعدم حضورهم دفعة واحدة، تأجل انعقاد المؤتمر من ٢٠ ذي القعدة إلى ٢٦ ذي القعدة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م.
سعيد؛ أمين، تاريخ الدولة السعودية، عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ١٣١٩ - ١٣٧٣هـ، مطبعة كرم، بيروت، المجلد الثاني، ص: ١٧٢، ص: ١٨٥.
ودرويش؛ مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية الأولى حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص: ٣٤.

أن ترسل كل جماعة من العلماء أولي البصيرة والخبرة؛ ليقوموا بالوعظ والإرشاد والمشاركة والمساعدة في إصلاح حال البلاد دِينًا ودُنيا؛ لأن الوقوف موقف الناقد لا يتفق مع الأخوة الإسلامية، ثم عرض على المؤتمر خطته السياسية لبحثها(١).

هذا هو الملك عبدالعزيز الذي تخلَّق بخُلُقِ الإسلام؛ فقد دَلَّت مواقفه على العمل بقول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٣)؛ فكانت الشورى هي الأصل الذي تمسَّك به، وما مجلس الشورى(٤) الذي أسَّسه إلا دليلٌ على ذلك.

---

(١) لمزيد تفصيل بشأن هذا المؤتمر، ينظر: الجريسي؛ خالد بن عبدالرحمن؛ من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: ٦٥.

(٢) سورة الشّورىٰ، الآية: ٣٨.

(٣) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٥٩.

(٤) عُقد اجتماع في ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٢٤م؛ لتأسيس مجلس الشورى، وطلب الملك من الحاضرين ضرورة تنظيم قائمة تضم أشخاصًا سيكونون أعضاء في المجلس، وضمت القائمة اثني عشر شخصًا، تألف منهم مجلس سُمِّيَ بالمجلس الأهلي، وذلك في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وأسندت إليه مهام عديدة؛ منها النظر في نظام المحاكم الشرعية، وتدقيق مسائل الأوقاف، ووضع نظام للأمن الداخلي، وسَنّ لوائح للبلدية، والصحة العامة، ونشر التعليم الديني، وتعميم القراءة والكتابة، وتنظيم التجارة، ووسائل البريد والبَرْق، وفي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، عُدِّلَ نظام المجلس الأهلي؛ فدمج بالمجلس الاستشاري الذي صدر الأمر بتشكيله؛ ليكون إلى جانب نائب الملك في الحجاز، والْتأم المجلس الجديد برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وبعد تشكيل هذا المجلس حررت التعليمات الأساسية، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، صدر مرسوم ملكي يقضي بتعديل القسم الخاص بمجلس الشورى من التعليمات الأساسية؛ بناء على اقتراح وتوصية لجنة التفتيش، وتكوَّن المجلس من ثمانية أعضاء، برئاسة النائب العام الأمير فيصل، أو أحد معاونيه، أو أحد مستشاريه، ووسعت اختصاصات هذا المجلس؛ بحيث بات يُعْرَضُ عليه =

ولعل من أهم نماذج حوارات الملك عبدالعزيز التي تُنْبِئ عن تقديره للعلماء وأصحاب الرأي ومشاورته إياهم، ما يأتي:

- حواره مع العلماء والأعيان بعد دخوله مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م، ودعوتهم للمناقشة ومشاركته الرأي، ويُعدُّ هذا من بدايات تكوين مجلس الشورى؛ حيث أشار عليهم في خطبته بما يأتي:

"أريد منكم أن تُعيِّنوا وقتًا يجتمع فيه نخبة من العلماء والأعيان والتجار، وينتخب كل صنف من هؤلاء عددًا معينًا - كما تقررون؛ وذلك بأوراق تمضونها - من أنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة، والنظر في شؤونهم، ثم يسلم هؤلاء الأشخاص زمام الأمور، فيعينون لأنفسهم أوقاتًا يجتمعون فيها، ويقررون ما فيه المصلحة للبلد، وإني أريد ممن سيجتمعون لانتخاب الأشخاص المطلوبين أن يتحرَّوا المصلحة العامة، ولا يُقدِّموا عليها مصالحهم الخاصة، وأن يكونوا من أهل الغَيْرة، والحَمِيَّة، والتقوى"[(١)].

= أعمال لم تكن موجودة في السابق، وخلال عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، صدر مرسوم بنظام أساسي جديد للمجلس كان من مهمات بنوده: أن يؤلف مجلس الشورى من العدد الذي تصدر به الإرادة السَّنِية بتحديده، ويعين لرئيس المجلس نائب دائم من قبل الملك، ويُنتخب نائب ثان من قبل المجلس؛ ليقوم مقام النائب الأول في حال غيابه، وظلت التعديلات تتوالى على المجلس حتى أصبح عدد أعضائه في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ثلاثة عشر عضوًا، وسكرتيرًا، وآخر مساعدًا، إضافة إلى نائبين للرئيس.

حمزة؛ فؤاد، البلاد العربية السعودية، مرجع سابق، ص: ٩٨ - ١١١.

والزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٦٩ - ٥٨٠.

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٥٧٠.

- حواراته مع أهل الخبرة في الشؤون العسكرية وقضايا الحرب والسلم؛ فنجده لا يُقْدِمُ على عمل يتعلَّق بالحرب وخلافه إلا بعد مشاورتهم في ذلك؛ مسندًا الأمر إلى الشريعة الإسلامية؛ ومن ثم فقد استطاع الملك عبدالعزيز بهذا الأسلوب الحواري المفتوح وانتمائه للشريعة الإسلامية قولًا وعملًا، أن يجعل الرأي العام في هذه البلاد المباركة يتبنَّى ما أجمع عليه أهل الحَلِّ والعَقْد[١].

- حواره مع المتشدِّدين من الإخوان؛ حيث كان واسع الصدر معهم، فدعاهم للحوار مرات ومرات، حتى كان مؤتمر الرياض الثاني، أو ما يعرف بالجمعية العمومية عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م[٢]؛ ووضعت هذه القضية وهذا الخلاف أمام الجميع؛ للتشاور فيه والعمل على إيجاد الحلول المناسبة له[٣].

- حواراته مع رجاله؛ فقد كان كثيرًا ما يسألهم، ويعمل برأيهم في كثير من الأمور، وكان يغضب منهم عندما يقولون: «الشيوخ أَبْخَص»[٤]، ويقول: إذا كان الشيوخ أبخص، فلماذا يَسْأَل؟! وإذا كان الحاكم أدرى، فَلِمَ يستشير؟! لقد كره ﷺ هذه الجملة، ومنع هذه العبارة على مستشاريه؛ بل أمرهم أن يوردوا آراءهم في صراحة، وللجميع حق الحوار والمناقشة حول هذه الآراء إذا لزم الأمر.

- ومن أروع حوارات الملك عبدالعزيز: ما وقع ذات يوم عندما مَدَّ يده

---

(١) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ٩٥ - ١٠١.

(٢) انظر ص: ١١٦ حاشية (٢).

(٣) ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، مرجع سابق، ص: ١٠٢ - ١١٠.

(٤) أي: أنت أبصر وأدرى. وانظر تفسيرها في ص: ١٦٢.

لمعاهدة أحد المستشارين على أن يكون صادقًا وَفِيًّا مُخْلِصًا أَبِيًّا، وأن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه، ودار الحوار الآتي بينهما:

الملك عبدالعزيز: «هيا صافحني وبايعني».

المستشار: علامَ؟

الملك عبدالعزيز: «على الطاعة، وموالاة من والاني، ومعاداة من عاداني».

المستشار: أما الطاعة وموالاة من والاك، فحق لا ريب فيه، وأمر لا خلاف عليه.

الملك عبدالعزيز: «والأمر الآخر؟».

المستشار: معاداة من عاداك! ففي ذلك نظر.

الملك عبدالعزيز: «وكيف؟».

المستشار: إن ذلك للنبيِّ ﷺ؛ فهو المعصوم، ومن عاداه فقد عادى الله.

الملك عبدالعزيز: «وماذا ترى؟».

المستشار: أيُّ بشر يصيب ويخطئ.

الملك عبدالعزيز: «صدقتَ».

المستشار: ألا ترى أن تتركَ لي حقَّ البحث في سبب العداء؟.

الملك عبدالعزيز: «لك ذلك».

المستشار: قد يكون سبب العداء وشايةَ واشٍ، وقد يكون خطأ يمكن إصلاحه، والخير في رجوع من عاداك إلى صوابه.

الملك عبدالعزيز: «صحيح».

المستشار: أليس ذلك خيرًا من استمراره في عدائك؟! إنك لست في حاجة إلى الإكثار من الأعداء، بل أنت في حاجة إلى الإكثار من الأصدقاء.

الملك عبدالعزيز: «صدقت».

المستشار: إني أعتقد يا مولاي أن أول واجب عليّ وعلى رجالك: أن نستأصل جذور الضغينة والحقد من النفوس، وأن تصفو النفوس لك.

الملك عبدالعزيز: «نِعْمَ الْقَوْلُ هَذَا».

المستشار: وإذا اتضح الإصرار والعداء من أعدائك وحاسديك، وجب علينا مناصبتهم العداء.

الملك عبدالعزيز: «هذا حق؛ وإني لم أسمع من أحدٍ تحليلًا معقولًا لهذا الموضوع كما حَلَّلْت؛ ألهمنا الله الصواب، وسَدَّد خُطانا!».

المستشار: شكرًا يا سيدي، وأسأل الله التوفيق.

الملك عبدالعزيز: «ستكون من اليوم من المستشارين الخَوَاصِّ»[1].

واستمر الرجل مع الملك عبدالعزيز، وقَوِيَتْ بينهما الصِّلَة، وزادت المَوَدَّة.



(١) الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مرجع سابق، ص: ١١٢- ١١٥.

الفصل الخامس

وفاته وثناء الناس عليه

- المبحث الأول: وفاة الملك عبدالعزيز ﵀.
- المبحث الثاني: الملك عبدالعزيز في عيون الشرق والغرب.

المبحث الأول

وفاة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

تعرَّض الملك رَحِمَهُ اللَّهُ قبل وفاته بسنوات لأزمات صحية[١]، إلى جانب معاناته المستمرَّة من ألم في إحدى ركبتيه إثر رصاصة قد تعرض لها أيام حروبه الأولى، ولم يأبه وقتها لذلك؛ فنتج عنه تجلُّط أو تجمع للدم في الركبة، تسبَّب له في ألم كلَّما قام أو جلس، وظل عشرات السنين لا ينام إلا إذا دُلِكَتْ ركبتُهُ مدَّة ساعة أو أكثر، كما كان ذلك سببًا في تنقُّله على كرسي ذي عجلات مدة تسع سنوات في آخر حياته[٢]، وظل الملك يصابر تلك الأمراض محتسبًا، حتى كان صيف عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، في مدينة الطائف حيث اشتدت عليه وطأة المرض هناك، واستُقدم ثلاثة أطباء من ألمانيا لمعالجته، يرافقهم طبيبه الخاص، ولكنها مشيئة الله وإرادته، فلم يُجْدِ العلاجُ نفعًا، وكان الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ رغم ما اشتَدَّ به من الآلام - بل وهو في النزع الأخير - يَحُثُّ أبناءه على ضرورة التضامن والتكاتف، وكان آخر ما تحدَّث به إلى ولديه سعود وفيصل:

«فيصل! أخوك سعود!. سعود! أخوك فيصل!».

ثم كرَّر مرارًا قوله:

«لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله، أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن

---

(١) من ذلك: إصابته بمرض تصلب الشرايين في الدماغ، وفي القلب.
الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٤٣٦ - ١٤٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٤٣٦.

محمدًا رسول الله». وأسلم بعدها الروح، وصُلِّيَ على جثمانه الطاهر في الحَوِيَّة[(١)(٢)]، وقبل أن ينتشر نبأ الوفاة في مدينة الطائف، نُقل جثمان الملك إلى مدينة الرياض بمرافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وبعض أصحاب السمو الأمراء، ثم دُفن في مقبرة العُود في مدينة الرياض، وفق الشريعة الإسلامية.

أجل، لقد فاضت روح عاهل الجزيرة العربية إلى ربِّه، في ضحى يوم الإثنين الثاني من شهر ربيع الأول ١٣٧٣هـ - الموافق للتاسع من شهر تِشْرِين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٣م؛ تغمَّده الله بواسع رحمته، وأجزل له الأجر والمثوبة، وجعله الله ممن قال فيهم: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[(٣)]، وجعل في عَقبِهِ البَرَكَةَ والذَّوْدَ عن حياض الدِّين، ولا يسعني في هذا المقام سوى أن أردِّد قولَ الشاعر:

سَرَى نَعْشُهُ فَوْقَ الرِّقَابِ وَطَالَمَا
سَرَى جُودُهُ فَوْقَ الرِّكَابِ وَنَائِلُهْ
يَمُرُّ عَلَى الوَادِي فَتُثْنِي رِمَالُهُ
عَلَيْهِ وَبِالنَّادِي فَتَبْكِي أَرَامِلُهْ[(٤)]

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٤٣٧.

(٢) الحَوِيَّة: واد شهير شمال الطائف به بلدة الحوية على بعد ١٨ كيلًا.
السالمي، حماد بن حامد، المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف بتعاون من الإدارة العامة للتعليم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، الجزء الأول، ص: ٤٠٨- ٤٠٩.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

(٤) البيتان من قصيدة للقاضي أبي يعلى حمزة بن عبدالرزاق بن أبي حصين، تنظر في: =

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[(١)]، لقد مات الملك عبدالعزيز، وتَسلَّم أبناؤه البَرَرة الراية من بعده؛ وغَدَوْا خيرَ خَلَفٍ لخير سَلَف، حتى حُفظت الأمانة - بحمد الله - في يد ابنه البارِّ خادمِ الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، أعزَّه الله، وحفظه، ونصر به دينه، وأعلى كلمته؛ لتظل راية الإسلام عزيزة خفَّاقة، ولينعم هذا البلد وأهله - بإذن الله - برَغَدِ العيش ونعمة الأمان.



= ابن خلِّكان؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الجزء الرابع، ص: ٤٧٥.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

المبحث الثاني

الملك عبدالعزيز في عيون الشرق والغرب

لقد أجمع أهل الإنصاف على أن الملك عبدالعزيز ﷺ كان عبقريًّا في جميع أحواله، فهو لم يكن سياسيًّا محنَّكًا وقائدًا سطَّر التاريخُ إنجازاته وحسب؛ بل إنه قد جمع إلى ذلك كلِّه تلك الصفات الإنسانية الراقية، والمُثُل الأخلاقية الكريمة، التي كانت مثار إعجاب كل من عرفه أو سمع بأخباره؛ وإن الباحث - مهما اجتهد - لا يسعه أن يُلِمَّ بكل نواحي العظمة في شخصيته، ونحن يكفينا بينةً على عظمة الملك واقعُ فعاله وقَدْر إنجازاته، فالنهار لا يحتاج إلى دليل، وصدق الأستاذ عباس العقاد[1] المفكر المصري المعروف في هذا المعنى، حين قال:

«الملك عبدالعزيز من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرِّسون المتمرِّسون، فلا يحارون في أسباب زعامتهم، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا: لماذا كان هؤلاء زعماء؟»[2].

ومع ذلك فسنورد من شهادات كبار أهل الفكر والسياسة ما يلي:

---

(١) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد (١٣٠٦-١٣٨٣هـ=١٨٨٩-١٩٦٤م)، إمام في الأدب، مصري، عمل في عدة جهات حكومية، ثم تفرغ للكتابة في الصحف، وكان يجيد عدة لغات، أقبل الناس على قراءة ما ينشر من مؤلفاته ومقالاته، ظل اسمه لامعًا مدة نصف قرن، أخرج فيها من تصانيفه ٨٣ كتابًا.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٦١.

١- من شهادات العرب والمسلمين:

- يقول عنه الأستاذ عبدالرحمن عَزَّام[١] أمين عام جامعة الدول العربية:

«عرفت جلالة الملك عبدالعزيز وعرفني قبل أن نلتقي ببضع سنين، فلما كان حج سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، وأتيح لي أن أتشرف بلقائه، وأنزل ضيفًا في ساحته، رأيت فيه مثلًا للعروبة في حالتها النظرية، تتجلى فيه المعاني التي ظهرت في حياة العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وأول هذه المعاني: العزة، والثقة في النفس، وما ينطوي عليه ذلك من عقيدة في سُمُوِّ القوم الذين ينتسب إليهم؛ فكل شيء في نظره هو دون المستوى الذي ترسمه العروبة في خاطره، والملك عبدالعزيز في ذلك مثل كل عربي لم تلوثه الحضارة الغربية»[٢].

ويقول في موضع آخر:

«تميَّز الملك عبدالعزيز - فوق خصال الشجاعة، والكرم، والعقل - بتبسطه في الحديث، وعدم التكلف فيه، والمؤانسة لزائره، وهو في جزيرة العرب ليس مَلِكًا فحسب، بل رئيس أسرة.

ومن عجيب شأنه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين، وأعداءه،

---

(١) عبدالرحمن عَزَّام (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ = ١٨٩٢ - ١٩٧٦م)، مصري المولد والنشأة، أول مندوب فوق العادة، ووزير مفوض للمملكة المصرية لدى حكومة المملكة العربية السعودية، قدم أوراق اعتماده لوزير الخارجية الأمير فيصل، في شوال ١٣٥٧هـ - ديسمبر ١٩٣٨م، وهو أول من شغل منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية.
مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مرجع سابق، ص: ١٦٧ - ١٦٩.
ويوسف؛ محمد خير رمضان، المستدرك على تتمة الأعلام، مرجع سابق، ص: ٥٧ - ٥٨.

(٢) الجهيمي؛ ناصر بن محمد، الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، مرجع سابق، ص: ١٩، نقلًا عن مجلة "المصور"، العدد ١١٠٩، في ١١/١/١٩٤٦م.

وأولياءه في ساحته، وكان مما يعجبني - وقد تشرفت بأن كنت ضيفًا له مرتين - أن أرى على مائدته أو في الصيد معه أولئك الذين قاتلهم أو قاتل آباءهم من قبل، يُعامَلون معاملة الإخوة والأبناء»[١].

- ويقول الأستاذ خالد محمد خالد[٢] - المفكر الإسلامي المعروف - عن الملك عبدالعزيز:

«الرجل الذي يستمد التزامه بالتوحيد السياسي والجغرافي لبلاده من إيمانه بالتوحيد الديني لإسلامه، لابد أن يكون واسع الأفق، رَيَّان المشاعر، ذكي القلب والعقل والضمير؛ وكذلكم كان عبدالعزيز. ولابد أن يكون سيد نفسه، وقائدًا طموحًا، رشيد الخُطَا، كريم النفس والهوى، نبيل المقصد والسلوك؛ وكذلكم كان عبدالعزيز. ولابد أن يكون بما عند الله أوثق منه بما في يده؛ لذلك فالسيف في يده كان مِبْضَع جَرَّاح، وليس سِكِّين جَزَّار، وأداة طبيب، وليس خِنْجَر طاغية؛ وكذلكم كان عبدالعزيز. لقد بذل ما وَسِعَه وَوَفْق الظروف التاريخية والتقليدية لعصره وبلاده أقصى ما يستطيع لتوحيد أمة كانت لولا قدومه ستعيش حتى اليوم مِزَقًا وأشتاتًا»[٣].

---

(١) الموجان؛ عبدالله بن حسين، الملك عبدالعزيز آل سعود، بين نصره لله، ونصر الله له، مطابع شركة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ٧٨ - ٧٩.

(٢) خالد محمد خالد (١٣٣٩ - ١٤١٦هـ = ١٩٢٠ - ١٩٩٦م)؛ كاتب ومفكر إسلامي، مصري، ولد بقرية العدوة بمحافظة الشرقية، وتخرج في كلية الشريعة بالأزهر، وعمل بالتدريس، ثم بوزارة الثقافة، وشغل منصب عضو المجلس الأعلى للآداب والفنون، وله مؤلفات كثيرة.
العلاونة؛ أحمد، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص: ٧٧ - ٧٨.

(٣) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٨٣٨.

- ويقول عَوْني عبدالهادي[١]:

«شيئان هائلان في الجزيرة: الصحراء، وابن سعود؛ هو عالَم في رجل، ملمٌّ كل الإلمام بدخائل مُلْكه، مؤمن مُتَدَيِّن إلى حد عظيم، قالوا: إن الذي يصغي إليه وهو يقرأ القرآن في الليل لا يملك نفسه من البكاء»[٢].

- وقال عنه القائد الشهير عَزِيز علي المِصْري[٣]، وهو من كبار القادة في العصر الحديث:

«اهتمامُ ابن سعود بالأسلحة الحديثة، وشجاعتُهُ، وقدرته على تحمل المشاق، وبعده عن التَّرف، وذكاؤه، وصدق عزيمته، وسخاؤه؛ كل هذا

---

(١) عوني بن عبدالهادي (١٣٠٥ - ١٣٩٠هـ = ١٨٨٨ - ١٩٧٠م)؛ محام، من العاملين الأولين في سبيل القضايا العربية، تعلم ببيروت والآستانة، وأنهى دراسة الحقوق في باريس، وكان من مؤسسي جمعية الفتاة العربية عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وشارك في أعمال الوفد العربي لمؤتمر الصلح ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م وعين سفيرًا للأردن بمصر، وتولى وزارة الخارجية الأردنية، ثم رئيس اللجنة القانونية في جامعة الدول العربية حتى وفاته.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص: ٩٨.

(٢) الموجان؛ عبدالله بن حسين، الملك عبدالعزيز آل سعود، بين نصره لله، ونصر الله له، مرجع سابق، ص: ٧٩.

(٣) عزيز بن علي المصري (١٢٩٦ - ١٣٨٥هـ = ١٨٧٩ - ١٩٦٥م)؛ ولد في القاهرة، وتعلم في مدارسها، ثم في المدرسة الحربية بإسطنبول، تولى القيادة في قتال العصابات البُلْغارية، واليونانية، والألبانية، ودخل في جمعية تركيا الفتاة قبيل الدستور العثماني، وقام بالتوسط بعقد الصلح بين الإمام يحيى، والدولة العثمانية، شارك في حروب كثيرة، وحُكِمَ عليه بالإعدام في إسطنبول، وضَجَّ العالم العربي من جرَّاء ذلك، وتدخلت بريطانيا فأطلق سراحه، وعاد إلى مصر، وعين مفتشًا للجيش المصري، عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ثم سفيرًا بموسكو في عهد الثورة المصرية، وعاد إلى القاهرة وتوفي بها.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ٢٣١.

يجيز لنا أن نتتظر منه العظائم»[١].

- وها هو الشيخ محمد رشيد رضا؛ وهو عَلَمٌ من كبار علماء الإسلام والدعاة إليه، يقول في شهادته عن الملك عبدالعزيز:

«صارت نجد في أيامه إمارة كبيرة؛ أحسَنَ إدارتها وحِفْظَ الأمنِ فيها، ونظَّم الدعوة لنشر الدين والحضارة في قبائلها وفي المناطق المجاورة لها، كما نظَّم فيها القوة المقاتلة تنظيمًا كافيًا لحفظها من اعتداء أحد المجاورين لها، فعل كل هذا عبدالعزيز بن سعود، وليس هذا بالقليل، حتى على مثله من الملوك والسلاطين في هذا الزمن القصير، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشته وحُكْمه ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم، لم تجنح نفسه للترف والنعيم، ولا للزينة والزخرف غير المعتاد أو المحظور شرعًا، ولا للعظمة والكبرياء، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة، ولا تسمية أعوانه بالوزراء، والحُجَّاب، ولا للإنعام عليهم بالرواتب وشارات الشرف، وقد سخَّر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبتغيها لأهله، فأغناه الله عن استئجار الأقلام المنافقة»[٢].

- ويقول عنه الصحفي محمود أبو الفَتْح، صاحب صحيفة (المصري):

«ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب، بل هو من أعظم رجال التاريخ»[٣].

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧٣٧.

(٢) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) الموجان؛ عبدالله بن حسين، الملك عبدالعزيز بين نصره لله ونصر الله له، مرجع سابق، ص: ٧٩.

- وهذا أمين الرَّيْحاني[١] الكاتب والأديب المعروف، وقد قابل أمراء العرب وملوكهم في عصره، يشهد للملك عبدالعزيز بتفوقه عليهم في المواهب والخصال، فيقول:

«لقد قابلتُ أمراء العرب كلَّهم، فما وجدت فيهم أكبر من هذا الرجل؛ إن الرجل فيه أكبر من السلطان، ومهما قيل في الملك عبدالعزيز فهو رجل قبل كل شيء؛ رجل كبير القلب والنفس والوجدان، عربي تَجَسَّمَتْ فيه فضائل العرب إلى حَدٍّ يندر في غير الملوك الذين زيَّنَتْ آثارُهم شِعرَنا وتاريخنا؛ رجل صافي الذهن والوجدان، خِلْوٌ من الادِّعاء والتَّصَلُّف، خِلْو من التظاهر الكاذب، رجل فيه ما هو أكبر من السلطان، وقد ساد قومه - ولا شك - بالمكارم لا بالألقاب»[٢].

لقد ذكر الناسُ هذه الصفات التي تمتع بها الملك عبدالعزيز وصفًا لواقع شهدوه من الملك وعرفوه عنه، ولكن ما ينبغي تأكيده في هذا المقام: أن

---

(١) أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف بن عبدالأحد البَجَّاني المعروف بالرَّيْحاني (١٢٩٣ - ١٣٥٩هـ = ١٨٧٦ - ١٩٤٠م)، كاتب وخطيب، يعد من المؤرخين، ولد بالفُرَيْكة من قرى لبنان، رحل إلى أمريكا وهو في سن الحادية عشرة، ثم عاد إلى لبنان عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م، فدرس اللغة العربية، وتردد بين بلاد الشام وأمريكا، ثم زار نجدًا، والحجاز، واليمن، والعراق، ومصر، وفلسطين، والمغرب، والأندلس، ولندن، وشغل منصب رئيس شرف لمعهد الدراسات العربية في المغرب الإسباني، وانتخب عضوًا مراسلًا في المجمع العلمي العربي، عام ١٣٣٩هـ، وتوفي في قريته التي ولد بها عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، وله مؤلفات عدة.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ١٨ - ١٩.
والحازمي؛ إبراهيم بن عبدالله، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: ٩٨٣ - ٩٩١.

(٢) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٣٧٥ - ١٣٧٦.

تلك الصفات الرفيعة التي أكَّدتها تلك الشهادات الموثَّقة ما هي - في حقيقتها - إلا أخلاقٌ إسلاميَّة، وفضائل عظيمة؛ وَفَّقَ الله الملك عبدالعزيز ﷺ إليها، فكانت سجيَّتَهُ التي يتصرف في مواقفه كلها طبقًا لها، دون أن يكون في ذلك مشقة أو كُلْفة عليه[١].

٢- من شهادات غير العرب:

إذا كان الكُتَّاب والمفكرون والساسة في البلاد العربية والإسلامية قد شغلهم ظهور هذه الشخصية؛ فإن الكُتَّاب والمفكرين الأجانب - لما انبهروا بإنجازات الملك عبدالعزيز - لم يفتهم أن يدوِّنوا انطباعاتهم عن هذه الشخصية؛ حيث شهد الكثيرون منهم بقدرتها وعظمتها، ونحن إذ نقرر ذلك؛ فإنه ينبغي علينا أن نورد بعضًا من هذه الشهادات التي أدلى بها بعض الكتاب الغربيين، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- يقول المؤرخ الإنجليزي هـ. س. أرمسترونج في كتابه "عبدالعزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية":

«كان ابن سعود ملوكيًا، وذا هيبة في مظهره، يحكم الصحراء بعدالة، ويطبق العقوبات الرادعة؛ لتكون مثالاً ينظر إليه الناس... كان يعيش بدون مظاهر أو أُبَّهة، يستوي عنده الشيخ والعبد، الفقير والغني... كان يؤمن بالله، وكان الناس ينظرون إليه على أنه قائد المسلمين ضد الكفار واليهود، وتعتمد على قراره كثير من القرارات الدولية، وكان هو يؤمن بأن الله قد هيأ له أن يقود العرب من جديد إلى مواطن عظمتهم السابقة حيث لا تعلو كلمة غير كلمة الله سبحانه وتعالى»[٢].

---

(١) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) هـ.س. أرمسترونج، عبدالعزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص: ٢٤١.

- وقال عنه الوزير الأمريكي المفوَّض بِرْت فيش:

«الملك ابن سعود، عبقري، قوي الإرادة، شديد الذكاء، يشعر الجالس معه بسمو شخصيته المتجلِّية في قامته المديدة، ووجهه الأسمر الذي ارتسمت على قسماته تجارب السنين، وصوته المملوء بالثقة والقوة، وعينيه الناطقتين بالذكاء ودلائل العزم، أثارت إعجابي إحاطته بالمسائل الدولية؛ حتى لكأنه في وسط الجو الأوروبي، وفي محيط السياسة العالمية»(١).

- أما المؤرخ الألماني داكوبرت، فقد قال عن الملك عبدالعزيز:

«نجح الملك عبدالعزيز آل سعود أيما نجاح في إيجاد الحلول لكل مشكلة؛ بحيث أفاد بلاده من جميع المستحدثات العصرية دون المساس بالدين، أو بالتقاليد، أو العادات الموروثة، وهو أمر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة العربية السعودية التي تضم مكة المكرمة، وفيها الكعبة قِبْلة المسلمين»(٢).

- وقال عنه الكاتب البريطاني كنيث وليامز:

«هل بين ملوك الشرق الحاضرين من يضارع ابن سعود؟! لا أذكر حاكمًا قويًا وصل إلى مكانة هذا الملك الذي لا يعدله ملك في العالم الإسلامي؛ فهو الجندي البطل، والمصلح الكبير، والمخلص لدين الله، والإنسان الظريف الكريم الصريح الثابت الذكي الشجاع المتواضع إلى حَدٍّ بعيد»(٣).

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧١٦.

(٢) التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، مرجع سابق، ص: ٨٣٧.

(٣) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧١٥.

- وقال عنه الرَّحَّالة البريطاني فيلبي[١] الذي كان مقربًا من الملك، وتابع أحداث حياته - عن كثب - منذ شبابه:

الملك عبدالعزيز «جندي ناجح، ومصلح أصيل، تقي كل التقى، صريح حازم، ذكي متواضع، ولا أعلم أن في العالم حاكمًا غيره تتحدث معه رعيته بمثل الحرية التي تتحدث بها رعية عبدالعزيز معه، وذلك إلى جانب ما تُكِنُّ له من إكبار وإخلاص عظيمين»[٢].

كلمات صادقة في وصف الملك عبدالعزيز تؤكد اهتمام مفكري الغرب وساستهم به؛ ومن ثَمَّ قالوا عنه الكثير مما شاهدوه أو سمعوه عن هذا الملك؛ فهذا هو المستشرق المجري جرمانوس[٣] يتحدث عن الملك عبدالعزيز قائلًا:

---

(١) هاري سانت جون فيلبي، أو الحاج عبدالله فيلبي؛ مستشرق بريطاني، ولد في سيلان، وتعلم في إنجلترا، وخدم حكومته في الهند ١٣٢٦-١٣٣٣هـ/ ١٩٠٨ - ١٩١٥م، ودعي إلى العراق فعمل في البصرة، وزار الرياض عام ١٩١٧م، مع وفد بريطاني، فتعرف على الملك عبدالعزيز، ويقال: إنه اختلف مع حكومته في سياسة الشرق الأوسط، وسافر إلى بلاده مستقيلًا، وعاد بعد عام إلى نجد، ثم العراق، وشغل منصب مستشار في حكومة العراق، ثم رئيس للمعتمدين البريطانيين في شرق الأردن، واستقال مرة أخرى، وعمل بالتجارة الحرة في جدة بالسعودية، ووثق اتصاله بالملك عبدالعزيز، وأعلن إسلامه عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وله مؤلفات عدة عن الجزيرة العربية.
الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، مرجع سابق، الجزء الثامن، ص: ٦٣ - ٦٤.

(٢) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٧٠.

(٣) عبدالكريم جرمانوس؛ مستشرق مجري، ولد في بودابست، ودرس في جامعات بودابست، وإسطنبول، وفيينا، وليبتزيغ، وعين مدرسًا في أكاديمية التجارة الشرقية عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ولبى دعوة شاعر الهند طاغور، وقام بزيارة الهند، وأنشأ قسم الدراسات الإسلامية في جامعة البنغال، وأسلم بعد ذلك، وسمى نفسه عبدالكريم بدلًا من جوليوس، وسافر إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف، ثم قام بأداء فريضة =

- «إنه بطل بما تَسَعه الكلمة القصيرة من معان، وإنه كان شديد التأثير فيمن يعرفه أو يلقاه».

ويذكر جرمانوس أيضًا كيف تأثرت شخصية فيلبي بالملك عبدالعزيز، وأن هذا التأثر وصل إلى درجة الإعجاب والتقدير الكبيرين من جانب فيلبي، وكان له أثره في مواقفه التي أَيَّدَ فيها الملك، وانحاز إليه ضد حكومته البريطانية.

ويضيف جرمانوس: «الملك الذي جَرَّدَ السيف في سبيل دينه وعقيدته، يجمع بين روح الحرب وروح السِّلْم، لا يقاتل الناس، ولا يعتدي عليهم، وإنما يحارب الجهل، ويقاتل الجمود، ويكافح التآمر».

وفي الأوقات التي جالس فيها جرمانوسُ الملكَ، كان للملك تأثير بالغ فيه؛ حتى إنه يقول:

«استروحتُ في أحاديثه للعواطف التي تصدر عن أب يحيط ابنه بجليل سجاياه، حتى يتأثر بها، ويحتذيها، وكانت هذه الأحاديث دليلًا قويًّا على أنني أجلس إلى رجل عربي التفكير، مع ما هو مفطور عليه من إغراق في رعاية الجانب الديني، وتسويده على مشاعره جميعًا، وهكذا مسَّتني وأنا أصافحه تلك الرهبة التي تمس العارف بأقدار الأبطال حين تكون يده ملء يد البطل»[(1)].

= الحج، ثم عاد إلى بلاده، وعين رئيسًا للمعهد الشرقي في جامعة بودابست عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، كما شغل عدة مناصب أخرى في بلاده.
العلاونة؛ أحمد، ذيل الأعلام، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

(١) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٧١ - ١٧٢.

- وقال عنه حاكم كندا لورد أوف أثلون:

«شهدت بنفسي عندما زرت المملكة العربية السعودية، ما صنع الملك عبدالعزيز لرفاهية شعبه؛ لقد استقر بفضله السلام والأمن في البلاد التي كانت من قبلُ تُمزِّقُها المنازعاتُ الداخلية، وأتيح لي أن أشهد كيف تم الاعتراف به ملكًا وزعيمًا على شعبه الذي أضاء له حكمُه الطريقَ إلى الارتقاء في جميع المناحي الاجتماعية والثقافية»[(١)].

- ويصف الزعيم الهندي جواهر لال نِهْرُو، الملك عبدالعزيز في كتابه "رسائل إلى ابنتي"، فيقول:

«أثبت ابن سعود أنه أذكى من الحسين[(٢)]؛ فقد استطاع أن يقنع الإنجليز بالاعتراف باستقلاله، وأن يبقى على الحياد، وبعد أن نجح ابن سعود كجندي ومحارب كَرَّس كلَّ جهوده لبناء بلاده على أسس عصرية حديثة؛ لقد أراد القفز بها من حياة القبيلة إلى حياة العصر الحديث، ويظهر أن ابن سعود نجح في ذلك إلى حَدٍّ كبير، وأثبت أنه رجل سياسي قدير بعيد النظر»[(٣)].

في كل الأقوال والآراء التي تقدمت من غير العرب نلحظ منحى الإنصاف لملك عربي مسلم، وقبل الإنصاف نجد الحقيقة التي يدركها أشدُّ الناس حبًّا للملك، ولا يستطيع إنكارها الخصوم؛ فالملك عبدالعزيز عند

---

(١) الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: ٧١٨.

(٢) المقصود به: الشريف الحسين بن علي.

(٣) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٧٢ - ١٧٣.

الجميع مسلم تقي، سار على نهج واضح لديه أشدَّ الوضوح: الكتاب الكريم والسُّنَّة النبويَّة؛ يقيس على أحكامهما تصرفاته ومواقفه، ويُلزِم غيرَه اتباعَ حكمهما، وعدمَ الخروج عليهما[(١)].



(١) التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مرجع سابق، ص: ١٧٧.

الخاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته يسَّر إتمامَ هذا الكتاب، وقد عرضنا في ثناياه نماذج تاريخية، ووقائع حَيَّة من أخلاق الملك عبدالعزيز - رحمة الله عليه - كما عرضنا فيه لحياته الشخصية، ونشأته، وثقافته الإسلامية، وتمسكه بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ؛ ما كان له بالغ الأثر في تكوين شخصيته الفَذَّة التي تميزت بالأخلاق الإسلامية العظيمة، ومسيرتِهِ في الكفاح والجهاد، والدفاع عن العقيدة السلفية الصحيحة.

لقد أنهيتُ - بفضل الله - تسطير هذا الجزء الإنساني والأخلاقي من تاريخ الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - بَيْدَ أنه لابد لي من الاعتراف بأن الكتابة عن العظماء في التاريخ الإنساني أو الإسلامي شَأْوٌ بالغ الصعوبة، ومَرَدُّ ذلك إلى ثراء مواهبهم وتعددها، وبخاصة إذا فاقت الشخصيةُ أقرانَها بالمواهب والإنجازات؛ عندها يغدو الأمر أكثر صعوبة، وعليه فإنه قد يكون من المستبعد جِدًّا أن يتصدى باحثٌ واحد لاستجماع هذه الصفات المتنوعة التي تمتع بها الملك عبدالعزيز ﷺ، أو أن تضمَّها صفحات كتاب واحد، بل إن ذلك قد يحتاج إلى تسطير مجلدات عديدة، وإن واقع إنجازات الملك عبدالعزيز وصفاته الأخلاقية لتؤيد ما ذهبنا إليه.

وفي مضمون الوقائع التي ذُكِرَتْ في ثنايا الكتاب ما يُظْهِرُ لنا عبقرية الملك عبدالعزيز، كما يُظْهِرُ لنا بعض الصفات الأخلاقية التي تمتع بها، وإني لا أدَّعي كمالًا في عملي هذا، ولا مقاربةً لذلك، لكني حاولت قدر

الإمكان تسطير ما استطعتُ معرفتَهُ من أخلاق الملك عبدالعزيز؛ إسهامًا متواضعًا مني في إعطائه جزءًا يسيرًا من حقه، وحسبي أني قد أقدمت على عمل لا يُولِيه المؤرخون القدرَ اللائقَ به من اهتمامهم؛ حيث يركِّزون على النواحي السياسية والعسكريَّة وما شاكل ذلك عند الكتابة عن رجال التاريخ العظماء أمثال الملك عبدالعزيز، أما الجانب الشخصي أو الخُلُقي لدى هؤلاء العظماء فإنه لم يَنَلِ القدر الكافي من اهتمامات المؤرخين؛ عِلْمًا بأن عظمة الإنسان لا تكتمل إلا بسموِّ أخلاقه المبنية على أساس إسلامي صحيح؛ ومصداق ذلك ما ورد في الثناء على وصف الرسول ﷺ في القرآن الكريم مقترنًا بعظمة أخلاقه؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]؛ وفي الحديث الشريف: فقد سُئلت أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ كَانَ الْقُرْآنَ»[2].

ونحن نحسب أن الملك عبدالعزيز قد اتخذ رسولَ الله ﷺ أسوة حسنة له في أقواله وأعماله؛ لذا فقد تجلَّت فيه تلك الصفات الإسلامية الحميدة؛ ما بين طاعة لله وقنوت له، وخشية منه وتوكُّل عليه، وإنابة إليه في جميع أموره؛ أضف إلى ذلك اتصافه بالشجاعة، والوفاء بالعهد، والجود، وحب العدل والإنصاف، والرأفة بالصغار، والتواضع، والعفو عند المقدرة، والصبر على الشدائد واحتمال المكاره، وإنصافه للمظلوم، واهتمامه بالعلم والتعليم، ورعايته للعلماء وطلبة العلم، وحرصه على إيجاد روح التعاون والتآخي بين المسلمين، ليس في الجزيرة العربية وحدها؛ بل في أرجاء المعمورة.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، الحديث (٧٤٦).

كان رحمه الله يتحَلَّى بأخلاق الإسلام، ويَسْتَلْهِم معها في ملكه وإمامته تاريخ خلفاء المسلمين الراشدين، فقد اتخذ من الشريعة الإسلامية دستورًا لبلاده؛ فوفَّقه الله تعالى، وكان النصر حليفًا له في مواقفه وأعماله، وفي تطبيقه لشرع الله، وأخذه بالأساليب والمخترعات الحديثة؛ فأثبت بذلك أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

وأخيرًا؛ فقد آنَ لفيض حديثنا عن الملك عبدالعزيز أن يتوقَّف سَيْلُهُ، ولكن أنَّى له أن يوفِّيَ ذلك الطود الشامخ حقَّه؛ فالصرح الذي شيَّده ما زال يعلو بفضل الله ثم بفضل أبنائه وجهودهم، ومن خلفهم شعب عظيم يؤازرهم.

وهذا العطاء المتواصل أضحى سِمَةً واضحة في مسيرة الإصلاح والتجديد التي قادها الملك عبدالعزيز، وتبعه في ذلك أبناؤُهُ البَرَرَةُ الملوك: سُعُود، وفَيْصَل، وخالد، وفَهْد، يرحمهم الله، ويتابع المسيرةَ الآنَ ويقودها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله؛ ولعلَّ خير وَصْف لمنهج الحكم الذي اتبعه الملك عبدالعزيز رحمه الله، وسار على نهجه أبناؤه الملوك مِنْ بعده، هو ما أَجملَه بأوجز عبارة، وأحسن مقال، صاحبُ السمو الملكي الأمير سَلْمان بن عبدالعزيز؛ إذ يقول:

"الملك عبدالعزيز لم يجئ من فراغ، الملك عبدالعزيز جاء على أَثَرِ منهج قام به آباؤه وأجداده، بداية من الإمام محمد بن عبدالوهاب؛ وهي دعوة خالصة في سبيل توحيد الله قبل كل شيء... إن الملك عبدالعزيز لم يَسْعَ لمركز، أو مُلْك، أو شهرة، أو نفوذ، أو أي غرض دنيوي؛ لكن كان هدف عبدالعزيز إقامة دولة تَحْكُمُ بكتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ..."[1].

(١) الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص: ١٢٩ - ١٣٠.

فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	رقمها	الصفحة
سـورة الأنـفـال		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾	١٥	١٠٠
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾	٤٦	٣٢
﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾	٧٥	١٦٩
سـورة الحِجـر		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	١٠٣
سـورة النـحـل		
﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾	٩٠	٨٩
سـورة الإسـراء		
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾	٢٣	١٧٠
﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾	٣٤	١٤٩
سـورة مـريـم		
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾	٥٤	١٤٩

❁❁❁❁❁

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ض)

(ط)

(ع)

(ف)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

الكنى والألقاب والأنساب

الأبنـــاء

النســاء



فهرس القبائل والبُطُون والجماعات(*)

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(ر)

(*) لم تُراعَ «بنو/ بني»، و«آل/ ال» في الترتيب.

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)



فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)



فهرس المصادر والمراجع

١- الأحيدب؛ عبدالعزيز بن محمد، من حياة الملك عبدالعزيز، مطابع الإشعاع التجاري، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢- إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية، حمد الجاسر: دراسة لحياته مع بيليوجرافية لأعماله المنشورة في الكتب والمجلات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٥٦)، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣- البخاري؛ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤- البرقوقي؛ عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٥- البسام؛ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٦- ابن بشر؛ عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه: محمد بن ناصر الشثري، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧- التركي؛ عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز آل سعود، أمة في رجل، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨- الترمذي؛ محمد بن عيسى، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩- التويجري؛ عبدالعزيز بن عبدالمحسن، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، دراسة وثائقية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.

١٠- ثابت؛ سعيد بن علي، أساليب الملك عبدالعزيز في بناء الرأي العام، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١١- الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن، إنسانية ملك، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢- الجاسر؛ حمد، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٣- الجاسر؛ حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٤- الجاسر؛ حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، دار اليمامة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٥- الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٦- الجريسي؛ خالد بن عبدالرحمن، من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٧- الجهيمي؛ ناصر بن محمد، الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٨- الحازمي؛ إبراهيم بن عبدالله، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي من سنة ١٣٠١ - ١٤١٧هـ، دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٩- الحربي؛ فائز بن موسى البدراني، من أخبار القبائل في نجد خلال الفترة من ٨٥٠ - ١٢٠٠هـ، ١٤٤٥ - ١٧٨٥م، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ

٢٠- الحقيل؛ حمد بن إبراهيم، عبدالعزيز في التاريخ، تاريخ وأدب، مطابع المدينة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢١- حمزة؛ فؤاد، البلاد العربية السعودية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٢٢- حمزة؛ فؤاد، قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٣- الخريجي؛ عبدالله محمد، السياسة الاجتماعية للملك عبدالعزيز في توطين البدو، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٢٤- الخطيب؛ عبدالحميد، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، سيرته، بطولته، سر عظمته، تعليق: د. فهد بن عبدالله السماري، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٥- ابن خلدون؛ عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، لتاريخه المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٦- ابن خلكان؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي طويل، و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٧- خميس؛ عبدالله بن محمد، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، معجم اليمامة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٨- الخنساء؛ تماضر بنت عمرو بن الحارث، ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق د. إبراهيم عوضين، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٩- دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة ١٢٢، ملف ٤٩/٨.
٣٠- الداني؛ أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣١- الدجاني؛ زاهية، عظماء من التاريخ، الملك عبدالعزيز آل سعود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٢- درويش؛ مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية الأولى حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٣- ابن دهيش؛ عبداللطيف بن عبدالله، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز، نشأته وتطوره، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ
٣٤- راغب؛ عبدالواحد محمد، فجر الرياض، دراسة تاريخية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٥- الرفاعي؛ عبدالعزيز بن أحمد، عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٣٦- الرويشد؛ عبدالرحمن بن سليمان، الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية، ويليها: الفهرس الأبجدي العام، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٧- الريحاني؛ أمين، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.
٣٨- الزامل؛ عبدالله العلي المنصور، أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣٩- الزبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت.

٤٠- الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٩٧م.

٤١- الزركلي؛ خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٧م.

٤٢- الزركلي؛ خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٩٩٩م.

٤٣- الزمخشري؛ جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٤- الساعاتي؛ حسن، سياسة الملك عبدالعزيز لحفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٤٥- السالمي؛ حماد بن حامد، المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف بتعاون من الإدارة العامة للتعليم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٦- السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبدالعزيز، مطابع الحرس الوطني، (د.ت).

٤٧- السبيت؛ عبدالرحمن بن سبيت وآخرون، كنت مع عبدالعزيز، المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة، مطابع الحرس الوطني، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٨- آل سعود؛ خالد بن ثنيان، العلاقات السعودية البريطانية "١٣٤١ - ١٣٥١هـ / ١٩٢٢ -١٩٣٢م"، دراسة وثائقية، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٩- آل سعود؛ سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، مطابع المدينة - الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٠- آل سعود؛ طلال بن عبدالعزيز، صور من حياة عبدالعزيز، دار الشواف، الرياض، ١٤١٩هـ

٥١- سعيد؛ أمين، تاريخ الدولة السعودية، عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ١٣١٩ - ١٣٧٣هـ، مطبعة كرم، بيروت.

٥٢- السلمان؛ محمد بن عبدالله، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٣- سليم؛ محمد السيد، التحليل السياسي لفكر الملك عبدالعزيز، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ

٥٤- السماري؛ إبراهيم بن عبدالله، الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٥٥- السماري؛ فهد بن عبدالله، مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، مطابع الحياة، ١٤١٧هـ

٥٦- شاكر؛ فؤاد، دليل المملكة العربية السعودية، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، (د.ن).

٥٧- شاكر؛ فؤاد، الملك عبدالعزيز، سيرة لا تاريخ، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

٥٨- الشثري، محمد بن ناصر بن عبدالعزيز، نفح الطيب في سيرة الشيخ أبو حبيب، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الثالثة.

٥٩- الشريفي؛ إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، الخالدية، الكويت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٠- الطويان؛ عبدالله زايد، رجال في الذاكرة: سيرة ذاتية لبعض رجال نجد المعاصرين، ١٤١٨هـ

٦١- الطيب؛ محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦٢- العاني؛ خالد عبدالمنعم، آل الجربا ومشاهير قبيلة شمر في الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٣- عبدالرحيم؛ عبدالرحيم عبدالرحمن، أثر قوة إرادة الملك عبدالعزيز في تكوين المملكة العربية السعودية، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٦٤- العبود؛ صالح بن عبدالله بن عبدالرحمن، الملك عبدالعزيز؛ من صفاته القيادية: العزم والإرادة، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ

٦٥- العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، تطوره وآثاره، "١٣١٩- ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢- ١٩٥٣م"، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٦- العتيبي؛ إبراهيم بن عويض الثعلي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز "١٣٤٣- ١٣٧٣هـ/ ١٩٣٤- ١٩٥٣م"، دراسة تاريخية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٧- العثيمين؛ عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٨- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٦٩- عطار؛ أحمد عبدالغفور، صقر الجزيرة، (د.ن)، (د. ت).

٧٠- عطار؛ مصطفى عبدالغفور، الملك عبدالعزيز والتعليم، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مطابع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٧١- العفنان؛ سعد بن خلف، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، مطابع المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٢- العلاونة؛ أحمد، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٣- العمري؛ عمر بن صالح بن سليمان، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، دراسة تاريخية وثائقية، مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٤- ابن غنام؛ حسين، تاريخ نجد، حرره وحققه: ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل: عبدالعزيز بن محمد الشيخ، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٥- الفرج؛ خالد بن محمد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق ودراسة: عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٧٦- الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧٧- الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٨- القابسي؛ محيي الدين، المصحف والسيف: مجموعة من خطابات وكلمات ومذكرات وأحاديث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٩- القشعمي؛ محمد، رشيد بن ليلى ممثل الملك عبدالعزيز بدمشق، المجلة العربية، العدد ٣٠٤، السنة ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ/ أغسطس ٢٠٠٢م.

٨٠- ابن القيم؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٨١- كحالة؛ عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٢- الكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، كتاب الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٣- الكيلاني؛ كمال، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٤- المارك؛ فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٨٥- المانع؛ محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ

٨٦- مختارات من الخطب الملكية؛ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٧- مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٨- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٩- الموجان؛ عبدالله بن حسين، الملك عبدالعزيز آل سعود بين نصره الله ونصر الله له، مطابع شركة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٠- موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩١- مولين؛ فان در، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، ترجمة: ويسي آي. سي، علق عليه: فهد بن عبدالله السماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٢- الميداني؛ أحمد بن محمد بن أحمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.

٩٣- الميداني؛ عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩٤- هـ س. أرمسترونج؛ عبدالعزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية، ترجمة وتقديم: البروفسور يوسف نور عوض، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.

٩٥- الهيئة العليا لتطوير الرياض، الرياض في خمسين عاما، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٩٦- وليامس؛ جون فريد، قبيلة شمر العربية: مكانتها وتاريخها السياسي، ترجمة مير بصري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٧- يوسف؛ محمد خير رمضان، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٩٨- يوسف؛ محمد خير رمضان، المستدرك على تتمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.



فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

الفصل الخامس

❁❁❁❁❁

صدر للمؤلف

١. رغبــــة — طبعة ثنائية اللغة: (عربي / إنجليزي)

٢. دليلك إلى رغبــــة — (عربي / إنجليزي)

٣. عائلــة الجريســي — (عربي / إنجليزي)

٤. أخلاق الملك عبدالعزيز — (عربي / إنجليزي)

٥. من وثائق العلاقات السعودية المصرية في
عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود — (مجلد ١- ٣)

٦. إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري — (عربي - إنجليزي)

٧. القيادة الإدارية من المنظور الإسلامي والإداري — (عربي - إنجليزي)

٨. سلوك المستهلك: دراسة تحليلية للقرارات
الشرائية للأسرة السعودية
نموذج تطبيقي على شراء الحاسب الآلي — (عربي - إنجليزي)

٩. العصبية القبلية من المنظور الإسلامي.

١٠. الفن : الواقع والمأمول.

١١. فضل تعدد الزوجات — (عربي - إنجليزي)

١٢. نساؤنا إلى أين ؟.

١٣. انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة.

١٤. التحصين من كيد الشياطين — (عربي - إنجليزي)

١٥. الحِـذْر من السِّحْـر — (عربي - إنجليزي)

١٦. الرقيـة الشرعيـة.

١٧. العلاج والرقى بما صح عن المصطفى ﷺ.

١٨. رقيـة الأبـرار.

سلسلة «زاد المؤمن»، وقد صدر منها الكتب الآتية:

١٩. منتقى الأذكار (١) (عربي - إنجليزي)

٢٠. جوامع الدعاء (٢) (عربي - إنجليزي)

٢١. وِرد اليوم والليلة (٣) (عربي - إنجليزي)

٢٢. معلِّم التجويد (٤)

٢٣. ارق نفسك وأهلك بنفسك (٥) (عربي - إنجليزي)

٢٤. الصوم جُنَّة (٦) (عربي - إنجليزي)

٢٥. دليل المعتمر (٧) (عربي - إنجليزي)

٢٦. دليل الحاجّ (٨) (عربي - إنجليزي)

٢٧. أذكار الصغار: مختارات من كتاب منتقى الأذكار (عربي - إنجليزي)

٢٨. الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية
من فتاوى علماء البلد الحرام (عربي - إنجليزي - فرنسي - أوردو)

٢٩. الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية (عربي - إنجليزي - فرنسي - أوردو)

٣٠. سلسلة فتاوى علماء البلد الحرام، وقد صدر منها الكتب الآتية:

- فتاوى العقيدة (القسم الأول) (١)
- فتاوى العقيدة (القسم الثاني) (٢)
- فتاوى العقيدة (القسم الثالث) (٣)
- فتاوى النية والطهارة والصلاة (٤)
- فتاوى الزكاة والصيام والحجّ والعمرة (٥)
- فتاوى النكاح والطلاق والعشرة بين الزوجين (٦)
- فتاوى البيع والمعاملات والربا (٧)
- فتاوى الطب والرقى والتمائم والسحر (٨)
- فتاوى المرأة (٩)
- فتاوى الآداب (١٠)

- فتاوى العلم والاجتهاد والدعوة إلى اللّه (١١)
- فتاوى متنوعة (١٢)

كتب التحقيق بالاشتراك مع الدكتور/ سعد بن عبداللّه الحميد:

٣١. كتاب «العلل» لابن أبي حاتم.

٣٢. معجم الطبراني

(مسند النعمان بن بشير، قطعة من المجلد الحادي والعشرين).

٣٣. معجم الطبراني

(المجلد الثالث عشر).

٣٤. سؤالات السُّلَمي للدارقطني.

٣٥. آفة أصحاب الحديث لابن الجوزي.

الدكتور خالد بن عبدالرحمن بن علي الجريسي

- من مواليد مدينةِ الرِّيَاض بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- حاصل على درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال، من جامعة كنزنجتون بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عن أطروحته في فَلْسَفَةِ التَّشْوِيق.
- حاصل على درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال، من جامعة الإمام الأوزاعي بلبنان، وذلك عن أطروحته التي بعنوان: «أنماط السلوك القيادي في ضوء الفكر الإداري المعاصر والفكر الإسلامي».
- حاصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، من جامعة الإمام الأوزاعي بلبنان، وذلك عن رسالته التي بعنوان «إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري».
- حاصل على بكالوريوس الدراسات الإسلامية من كليَّة الآداب والعلومِ الإنسانيَّة بجامعة الملك عبد العزيز.
- يشغل منذ عام ١٩٩٣م منصبَ الرئيس التنفيذي لشركة بيت الرياض، وهي إحدى أكبر الشركاتِ التجاريةِ الرائدة في المملكة العربية السعوديةِ.
- صدر له عددٌ من الكتب في مجالات متنوعة (دينية - اجتماعية - تاريخية - إدارية).
- عضو في عدد من الجمعيات العلمية:
  - الجمعية السعودية للإدارة - جامعة الملك سعود.
  - جمعية الإداريين العرب - القاهرة.
  - جمعية الاقتصاد السعودية - جامعة الملك سعود.
  - اتحاد الاقتصاديين العرب - بغداد.
  - الجمعية التاريخية السعودية - جامعة الملك سعود.
  - اتحاد المؤرخين العرب - القاهرة.

هذا الكتاب

إن ماتنعم به المملكة العربية السعودية اليوم من أمن ورخاء وتمكينٍ للعقيدة الصحيحة هو نتاجُ لما أسّسه الملك عبدالعزيز رحمه الله عند بناء هذه الدولة الرشيدة ، وهو انعكاسُ أيضاً لما جمعته شخصية الملك عبدالعزيز من صفاتٍ حميدة، وأخلاقٍ كريمة، حيث يرسم لنا الكاتب في هذا الكتاب ماتميزت به تلك الشخصية من خلال :

- التعريف بالملك عبدالعزيز والظروف المحيطة بنشأته، وأهمّ الأحداث التاريخية التي واكبت ظهور شخصيته، والعواملِ التي أثرت في تكوينها.
- استعراض نماذج من حنكته السياسية ، وحدسه في متابعة المستجدات العالمية، والإفادة من المتغيرات في العلاقات الدولية على المستوى السياسي والاقتصادي مما جعل المملكة شريكاً لكثير من دول العالم.
- إظهار معالم شخصية الملك عبدالعزيز الفذة ، خاصةً الجانب الأخلاقي منها والذي يعطينا صورةً واضحةً عن سر تلك العبقرية ، مع استعراض أهم صفاته الخلقية والتي استقاها من معين ديننا الحنيف .
- إلقاء الضوء على علاقة الملك عبدالعزيز بالرعية وعطفه عليهم ورعايته للأيتام ، وصلته للأرحام وذوي القرابة ؛ مظهراً أخلاقه الكريمة في التعامل معهم.
- إبراز اهتمامه بالعلم والعلماء ، وجهوده المميزة في نشر التعليم ، وحرصه على مشاورة العلماء وذوي الخبرة ، وعنايته البالغة بالمحافظة على حدود الشريعة .